

الأعمال الشعرية الكاملة

جورج سفيريس

ترجمة ودراسة

د. نعيم عطية



19 ΓΙΩΡΓΟΣ ΣΕΦ



المجلس ا على للثقا

المشروع القومى للترجمة

دراسة

عن الشاعر اليونانى المعاصر

جورج سفيريس

المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة

جورج سفيريس

الشاعر اليونانى المعاصر الحاصل على جائزة نوبل فى الأدب

«اُعمال الشعرية ا ملة»

ترجمة ودراسة: الدكتور نعيم عطية



١٩٩٨

إهـــداء

إلى الدكتور أسامة الباز

أقدر كفاءتك الدبلوماسية، وأعرف حبك للكلمة.

دعني إذن أهدي إليك ترجمتي هذه لقصائد دبلوماسي آخر، أبلى في الدبلوماسية بلاء حسنا، وحصل على أول جائزة نوبل لبلاده.

ن. ع

القسم الأول

مدخل إلى حياة سفيريس وشعره

الفصل الأول
حياة سفيريس وأعماله

ولد جورج سفيريس فى التاسع والعشرين من فبراير عام ١٩٠٠ فى أزمير بآسيا الصغرى. ومنها نزح مع والديه عام ١٩١٤ إلى اثينا حيث أنجز تعليمه الثانوى. وفى عام ١٩١٨ سافر إلى باريس ودرس بها القانون إلى أن حصل على الليسانس عام ١٩٢٤ . ومالبث ان سافر إلى لندن فى اول زيارة له لهذه العاصمة حيث امضى بها ما بين عامى ١٩٢٤ و١٩٢٥ . ومنها عاد إلى اليونان ليلتحق عام ١٩٢٦ بالعمل بوزارة الخارجية. وأمضى السنوات حتى عام ١٩٣١ موظفا بالديوان العام لهذه الوزارة بأثينا. ثم خدم فى الاعوام من ١٩٣١ إلى ١٩٣٤ بالقنصلية اليونانية بلندن. وأقام بعد ذلك فى اثينا فيما بين ١٩٣٤ و١٩٣٦ . ثم خدم قنصلا فى كورتيزا بألبانيا. وفى عام ١٩٣٨ شغل منصب المستشار الصحفى بمكتب الصحافة والاعلام بوزارة الخارجية.

وفي عام ١٩٤١ صاحب الحكومة اليونانية إلى المنفى بكريت، ثم مصر، وجنوب افريقيا، حيث عمل بالسفارة اليونانية هناك حتى عام ١٩٤٢.

وفيما بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٤ اشتغل ملحقا صحفيا للحكومة اليونانية بالقاهرة. وفي عام ١٩٤٤ رافق حكومة المنفى إلى ايطاليا. وأشتغل مديرا للمكتب السياسي للمطران دمسقينوس.

وفيما بين عامي ١٩٤٦ و١٩٤٨ عاد فاشتغل بالديوان العام لوزارة الخارجية باثينا. ثم اوفد إلى انقرة حيث عمل بها فيما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٠ ثم مستشارا للسفارة بلندن عامي ١٩٥١ و١٩٥٢. وفيما بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٦ خدم كسفير لليونان في لبنان، وسوريا، والأردن، والعراق.

وفي الاعوام ١٩٥٣ و١٩٥٤ و١٩٥٥ توالت زياراته إلى قبرص ثم عين مديرا للمكتب السياسي بوزارة الخارجية باثينا عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ إلى أن اختير عضوا في الوفد اليوناني بالأمم المتحدة بنيويورك وشارك في مناقشة القضية القبرصية. ثم عين سفيرا لليونان في بريطانيا وشغل هذا المنصب من عام ١٩٥٧ إلى عام تقاعده في ١٩٦٢، فاستقر باثينا، وحصل عام ١٩٦٣ على جائزة نوبل في الآداب. وكان بذلك أول اديب يوناني حصل على هذه الجائزة، واعتبر ذلك اعترافا عالميا بالأدب اليوناني الحديث. ومن الجدير بالذكر أن نيقوس كازندزاكي (١٨٨٢ ـ ١٩٥٧) الأديب اليوناني الكبير كاد يصل إلى نيل هذه الجائزة من قبل، الا انها منحت لأديب اسباني في آخر لحظة. كما كان سفيريس قد حصل عام ١٩٦٢ على جائزة فويل، وهي جائزة ادبية كبرى بدورها. وفي

الاعوام ١٩٦٠ و١٩٦٤ و١٩٦٥ منحته عدة جامعات الدكتوراه الفخرية، فحصل من جامعة ثيسالونيك عام ١٩٦٤ على الدكتوراه الفخرية في الفلسفة، وحصل من جامعة برينستون بالولايات المتحدة الأمريكيةعلى الدكتوراه الفخرية في الآداب عام ١٩٦٥. كما اختير عام ١٩٦٦ عضوا أجنبيا شرفيا في الاكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، وعين في العام ذاته زميلا شرفيا في الجمعية الدولية للغات الحديثة. وذلك كله على سند من الملم سيفيريس بتيارات الشعر المعاصرة، ومعرفة أين يمكن أن يقف الآن شاعر معاصر وراءه تراث شعرى لا يضارع من هوميروس إلى سولوموس إلى كافافيس.

وفي سبتمبر عام ١٩٧١ مات سفيريس في أثينا. وقد شيعت جنازته في موكب شعبي ضخم، اعتبر مظاهرة ضد الحكومة العسكرية غير الديموقراطية القائمة آنذاك، والتي حرمت القاء قصائده وتداولها، خوفا من تأثيرها السياسي.

وطوال ما يقرب من خمسين عاما، اسهم سفيريس اسهاما كبيرا في الادب اليوناني المعاصر كشاعر اصيل وكاتب مقال ومترجم (ترجم على الأخص اعمال اليوت إلى اليونانية) وقد كان ديوانه «نقطة تحول» الصادر عام ١٩٣١ نقطة تحول فعلا في الشعر اليوناني الحديث. ثم صدر ديوانه الثاني «خزان المياه» أو «النبع» أو «البئر» عام ١٩٣٢ ثم صدر ديوانه الثالث «رواية» أو «أسطورة التاريخ» عام ١٩٣٥ مرسيا اتجاها جديدا في الشعر اليوناني بعد كافافيس. ثم أصدرت مجلة «الآداب الجديدة» ديوانه الرابع بعنوان «الأولاد العراة» عام ١٩٣٦ وصدر ديوانه الخامس «كراسة التمارين» عام ١٩٤٠ ثم صدر الجزء الأول من ديوانه السادس «مذكرات من على ظهر سفين» عام ١٩٤٠ أيضا، وأعقبه الجزء الثاني عام ١٩٤٤. وفي عام ١٩٥٥ صدر

الجزء الثالث، وقد تضمن عدة قصائد عن قبرص. كما كان قد أصدر ديوانه السابع «الطائر الفرد» أو «السمان» عام ١٩٤٧. وفي عام ١٩٦٦ أصدر «ثلاث قصائد سرية» أو «ثلاث قصائد كتبت في الخفاء».

ومما هو طريف عن الطبعات الأولى لدواوين سفيريس انها صدرت في نسخ محدودة، فصدر ديوان «نقطة تحول» في مائتي نسخة، و«خزان المياه» أو «الذبح» في خمسين نسخة و«رواية» أو «أسطورة التاريخ» من مائة وخمسين نسخة، و«كراسة التمارين» في ثلاثمائة وست وخمسين نسخة والجزء الأول من «مذكرات من على ظهر سفين» في ثلاثمائة وسبع عشرة نسخة، والجزء الثاني من خمس وسبعين نسخة والجزء الثالث من الف وثلاثين نسخة و«السمان» أو «الطائر الفرد» من ثلاثمائة نسخة. وقد طبع الجزء الثاني من ديوانه «مذكرات على ظهر سفين» بالاسكندرية وصدر فيها. وقد احتوى هذا الديوان على أربع قصائد يمكن اعتبارها «قصائد قاهرية».

ولسفيريس أيضا عدة دراسات ومقالات جمعت في كتاب عام ١٩٦٢. كما صدرت دراسته «اللغة في الشعر اليوناني» عام ١٩٦٥.

وقد ترجمت اعمال سفيريس إلى لغات مختلفة، منها الانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والاسبانية والسويدية. وكان في مقدمة من تصدوا لترجمة اعماله إلى الانجليزية ت. س. اليوت، ولورانس داريل، وريكس وارنر، وادموندكيلي وفيليب شيرار.

الفصل الثانى :
تجربة سفيريس الشعرية
المبحث الأول : البحث عن الجذور

مهما كانت العلاقة التى تربط اشعار جورج سفيريس بآداب بلاد أخرى، فإن تلك القصائد تنبع قبل كل شئ من تقاليد يونانية عريقة. وقد شارك سفيريس بذلك النهضة الحديثة التى حققتها طوال المائة والخمسين عاما الماضية جهود شعراء مبرزين من امثال سولوموس وكالفوس وبالاماس وسيكيلياتوس وكافافيس. وكان أحد هذه المصادر هو التقاليد الشعرية التى نمت على ارض جزيرة كريت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد تضمن الأدب الدرامى الكريتى مسرحيات مثل «تضحية ابراهام» وهى مسرحية دينية و«يروفيلى» وهى تراجيدية دامية تلقى فيها الشخصيات الرئيسية كلها مصرعها. ولكن اهم من هذه وتلك كانت الملحمة العاطفية. «ايروكريتوس» التى كتبها شاعر يدعى فيتزينذوس كورناريس فى

١٠٠٥٢ بيتا تحكي عن حب اريتوسا ابنة ملك اثينا والشاب الشجاع أيروكريتوس ابن احدى اسر البلاط البارزة. وقد لقيت هذه الملحمة ذيوعا شعبيا كبيرا عبر العالم اليوناني. ومضى الرواة ينشدون ماتحتفظ به الذاكرة من هذه السيرة الشعبية. وهو ما يشير اليه سفيريس في قصيدته «على لحن اجنبي».

وقد كتب سفيريس افضل دراسة نقدية باليونانية عن ملحمة «أيروكريتوس» وتأثيرها وللتدليل على الصلاحيات الشعرية للغة اليونانية الشعبية يستعير سفيريس في قصيدته «كلمة حب» كثيرا من عبارات الملحمة الشعبية المذكورة، كي يقيم جسرا بينه وبين لحظة حيوية أخرى من ماضي أمته الأدبي.

المبحث الثاني: الإنسان المعاصر والعالم القديم

انضم سفيريس إلى ابناء جيله من شعراء النهضة اليونانية الحديثة الذين راعهم ضحالة الحاضر، فيمموا شطر الماضي السحيق بكل عراقته وأصالته وبهائه. وقد مضى سفيريس في قصائده يبحث بدوره عن ماض تليد مطمور في النسيان.

وقد راح العالم القديم يشغل خيال سفيريس على الدوام. ويبدو هذا الانشغال طبيعيا في بلد مثل اليونان، عامرة ببقايا من ماض قديم، وفي كل مكان تقفز إلى العين تذكارات منه، تشحذ العقل وتلهب الخيال. ان الشاعر اليوناني الذي يترسم خطى الاساطير الكلاسيكية كي يبثي النبض الدرامي في قصائده يتمتع بميزة تفوق مايتمتع به معاصروه من الشعراء في انجلترا أو في امريكا. انه يستطيع أن

يستحضر اشخاصاً ومواقف ذات نبرات اسطورية دون خشية من ان يكون مايفعله مجرد تصنيع لفظي، أو ان يفرض آلهة وابطالا على خلفية متأبية، كأن يصور تيريزياس على نهر التايمز أو بروميثيوس في بنسلفانيا.

وقد استفاد سفيريس مثل أغلب الشعراء اليونانيين المحدثين من هذه الميزة كثيرا. ومن أسرار صنعته انه يقدم على الدوام مشهدا يجمع بين الواقعية والرمزية، يمهد به قبل ان يسمح لأية شخصية اسطورية ان تظهر على مسرحه، أو بعبارة أخرى فانه قبل ان يحاول الارتقاء بقارئه الى مستوى الاسطورة، يقدم له تقديما مقنعا الحقيقة الحاضرة التي تؤكد الأسطورة وتثبت دعائمها ، فلا تبدو وقد وفدت من ماض سحيق غريب، بل تبدو كحقيقة حاضرة، أو على الأقل كحقيقة لم تفقد يقينيتها على مر التاريخ. وبهذه الطريقة تبعث الاسطورة إلى الحياة، ويتلاقى العالم القديم بالعالم الجديد في مجاز لا افتعال فيه. وضياع الاحساس بفارق الزمن محكم للغاية عند سفيريس. لقد اتحد الزمنان القديم والمعاصر والتحمت الشخوص والاحداث، فتجلت العبرة الانسانية التي لا يتطرق اليها زوال. وعلى سبيل المثال، فإن الرحالة الحديث يشارك اوديسيوس قدره. ان الأرض المقفرة الجدباء المكرورة، والبحر الساكن المستفز اللذين نلتقي بهما مرارا في شعر سفيريس رمزان لرحلة أوديسيوس المحبطة، واخفاقه في بلوغ جدته الأرضية التي تاق اليها، وقدره هو قدر كل جواب باحث عن وفاء لمطلب روحه الذي لايبدو أنه بقادر على بلوغه. ان إخفاقات الملاح الهائم على وجهه أبدية. وهو ما يسر عنه

سفيريس في كثير من قصائده.

وفي أحد تعليقات سفيريس على دور الشخصيات الأسطورية في شعره يقول: ان الناس الذين يتأجج في قلوبهم عدم الاستقرار، والتوق إلى الترحال والتصال، مهما اختلفوا وتنوعوا في أوصاف العظمة والقيمة، يتحركون على الدوام بين الغيلان ذاتها مدفوعين بالتوق ذاته. ولذلك احتفظ بالرموز والاسماء التي جلبتها الينا الأسطورة، مدركين في الوقت ذاته ان الأوضاع المتغيرة في عالمنا هي مع ذلك الشروط التي لا بديل عنها متى سعينا إلى التعبير الأدبي.

وهكذا فإن ميثولوجيا العالم القديم تلعب دورا حاسما عند سفيريس، ولكن سوف يكون من الخطأ ان ننظر إلى هذا المصدر بمعزل عن المصادر الأخرى في عطائه الشعري، ذلك لأن الخيوط المتنوعة التي يتألف منها التراث اليوناني، من موروثات شعبية، ونصوص ادبية، وأساطير هي خيوط مغزولة بتماسك واحكام في اعمال سفيريس، فيحس المرء ازاءها بماضي اليونان كله ماثلا امامه. وتحتوي قصائد سفيريس الناضجة من الايقاعات عاليها وخفيضها ما يبلغ في بعض الأحيان إلى حد من الرهافة يجعل من الصعب على الاذن غير اليونانية ان تلتقطها، وعلى الأخص متى كان عليها أن تتلقى هذه الاشعار بلغة غير لغة النص الأصلية. ولكن حتى عندما تلتقط الأذن ذلك الصوت الغني بثروات التراث، والمدرب على افضل ماخلفته الأجيال السابقة من اشعار، فان المرء ليدرك ان ذلك الصوت ينتمي انتماء قويا إلى العصر الحاضر. وليس الماضي في قصائد سفيريس الا وسيلة لتشكيل صورة للحاضر والقاء الضوء عليه. واذا كانت هذه

الصورة تبدو مثقلة بالاشجان، فهذا دليل على صدق الصورة الشعرية، وان سفيريس ليدرك قوى الخراب التى حاصرت الروح اليونانية والصعاب التى حاقت بها، ولكنه ايضا شديد الايمان بأن العمل الشعرى يجب ان يمضى متشبثا بهذه الروح، يشد من ازرها ويتقوى هو ذاته بها.

المبحث الثالث: البحث عن نبض العصر

ولئن كان سفيريس قد تمسك بيونانيته، ولم يترك نفسه ينجرف فيما انجرف اليه الشعراء الانجليز والأمريكيون فى اعقاب الحرب العالمية الأولى، والذى يسميه سفيريس «بالاحساس بالأرض الخراب» فإنه ولاشك قد تأثر ايضا ببعض الشعراء الأجانب، فقد تأثر سفيريس فى مرحلته الأولى بالتجارب الاسلوبية والرمزية لمعاصريه من الشعراء الفرنسيين، وقد بدأ متجها فى قصائده الاولى إلى تحقيق شعر «خالص» على طريقة بول فاليرى وجول لافورج. على انه بظهور قصيدة سفيريس الطويلة «رواية» أو «أسطورة التاريخ» عام ١٩٣٥ بدا تحول واضح فى عطائه الشعرى يعزى من ناحية إلى تحمسه لشعر اليوت وباوند فى بواكير الثلاثينات، ويعزى من ناحية أخرى إلى نوع من التطهر الذاتى من النمط الاسلوبى، وهو ما كان قد بدأ يتجلى منذ ديوانه «خزان المياه» عام ١٩٣٢. وبديوانه «رواية» تخلى سفيريس عن الشكليات الأسلوبية التى اصطبغت بها قصائده الاولى، وذلك من اجل اسلوب أكثر تحررا وطبيعية، وهو ما [illegible] به قصائده الناضجة كلها. ونجد فيها أسلوبا مكثفا ومتحكما فيه، لا يتحلى بزخارف ومحسنات لفظية، مكتفيا بألوان محدودة وخيال قليل. وفى

هذه القصائد الناضجة يحاول سفيريس ان يجمع بين اسلوب «الحديث اليومي» وبين الأشكال والايقاعات التقليدية على نحو يخلق كثافة وايجابية في النص الشعري.

واذا كان بالامكان تمييز المؤثرات الأجنبية في شعر سفيريس، فان بالامكان أيضا ان نتبين أن مادة هذا الشعر قد ظلت شديدة الخصوصية منذ البداية. ففي قصائده على الدوام ذلك الاحساس التراجيدي بالحياة الذي يستمد بقوة من تجربة مباشرة وشخصية للحياة وللتاريخ، مستجيبا إلى ما عرفه الشاعر ولمسه من عذابات الانسان. ولسنا نقول ذلك كي نورد الاشارة إلى العلاقة التي طالما اشير اليها بين تصوير سفيريس لحياة الغربة وبين طرده مع سائر بني وطنه من ديارهم آسيا الصغرى عام ١٩٢٢ ثم طوال السنوات التي عاشها خارج اليونان اثناء خدمته بالسلك الدبلوماسي، فإنه ولئن كانت هذه العلاقة قائمة وصحيحة من عدة جوانب، الا أن الأهم من ذلك قدرة الشاعر على التقاط المعنى الجوهري لبعض الأحداث واحالة تجربة شخصية الى مجاز يحدد ويصف انسان العصر. وعلى سبيل المثال صورة ذلك الرجل «الهادئ»، حسن الطلعة، الذي يسير باكيا في قصيدة «حكاية» مثل آلة تعزف ألما لا يعرف حدودا، وهناك الزوجان اللذان يعودان إلى البيت في «اليوم الأخير» كي يضيئا النور لانهما سئما من السير في عتمة الغسق. وهناك الرسل في «شمسنا» الذين يصلون مدربين مبهوري الأنفاس كي يموتوا دون ان ينطقوا سوى بعبارة «ليس لدينا وقت». هذا نوع الصور التي تحمل رؤية سفيريس إلى ما هو أبعد من مجرد الحادثة المحلية، وتجلب إلى خيال القارئ صورا لا تقل في عالميتها عن الصور التي اتى بها الشعراء

المعاصرون لسفيريس فى اوروبا وأمريكا.

وهناك بعض اللحظات في قصائد سفيريس يبدو فيها الحدث ذا معنى محلى أو شخصى، ومع ذلك يتخذه سفيريس فرصة للادلاء بتقرير عن حقيقة التجربة الانسانية المعاصرة. وقد كان سفيريس قادرا ان يرتفع باللحظة السياسية إلى مستوى أبقى من لحظة الصراع التاريخى الذى سوف يتبدد وينسى. وقد أمكن لسفيريس وهو يمارس عمله الدبلوماسى فى أحلك الأوقات واصعب الظروف ان يصم أذنيه عن الصيحات الدعائية المتصاعدة من كل جانب ليخلو إلى نفسه مرتفعا بشعره إلى ما هو أعلى بكثير من التعليقات والتقارير السياسية التى يحيا بين أصدائها.

وعلى الرغم من ارتباط سفيريس بالمطالب السياسية العاجلة لأمته، فقد بنى رؤية شعرية رحيبة تحتوى على ادراكات تحمل ثقل الحقائق العالمية، وتكشف المعنى العميق لزماننا.

الفصل الثالث
نقــطة تحــول

«نقطة التحول» ديوان صغير أصدره عام ١٩٣١، شاعر يوناني شاب، لم يسبق له ان قدم عطاء يذكر. وكان هذا اول ديوان له بعد بضع قصائد متناثرة نشرت له في مجلات ادبية مغمورة. ولم يلق الشاعر الشاب جورج سفيريس على ديوانه هذا من النقاد سوى القليل جدا من المديح، فلم يلتفت اليه الا اثنان منهم. اولهما ناقد شاب آنذاك هو اندرياس كاراندونيس الذى سبق له ان كتب دراسة متعمقة عن شيخ شعراء اليونان بالاماس، اما الثانى فكان صديقا لسفيريس، ومتحمسا بدوره للتجديد في الأدب اليوناني كله شعرا ونثراً. وكان هذا الصديق هو جورج ثيوتوكاس، الذى كتب مقالة تعتبر تحية إلى الشاعر المجدد، وإكتشافا حقيقيا لبذرة التجديد الكامنة في شعره. على ان الذى بعث الرضا في قلب الشاعر حقا كانت الرسالة الرقيقة

الموجزة التى بعث بها اليه شيخ الشعراء بالاماس عندما تلقى ديوانه. وقد بدأت الرسالة ببعض النقد المغلف فى اسلوب مهذب - ربما لأن بالاماس كان صديقا لأبيه أستاذ الأدب والسياسة - وأختتمت بوصف قصائده، بأنها همسات صوفية حافلة بالأسرار.

مسار الشعر اليوناني الحديث:

في هذا الديوان الصغير - الذى أضحى لعنوانه فيما بعد دلالة - كمنت خطورة تهددت شعر بالاماس الذى تربع على عرش قلوب اليونانيين ولقب «بشاعرهم القومى»، فقد كانت «نقطة التحول» رياحا تهب على الشعر اليونانى الحديث لتقتلع كثيرا مما هو مستتب فى تربته من جذور، فقد اجتمعت فى سيفيريس من الصفات ما كان من شأنه ان يكون نقطة تحول فعلا فى مسار الشعر اليوناني الحديث - فقد توافر فى هذا الشاعر الشاب الالمام بالأدب اليوناني قديمه وحديثه، فضلا عن ثقافته الأوروبية الرحيبة بفضل دراسته فى الخارج، مما مكنه من ان يقف على أحدث ما يقدمه الشعر الغربى المعاصر، ومن ان يصبح قادرا على التحرر من آثار قيود التقاليد القومية التى بليت واستنفدت اغراضها ومع ذلك ظلت تستبد بالذوق اليوناني المعاصر. وقد كان من حسن حظ هذا الشاعر الشاب، ومن حسن حظ الشعر اليوناني الحديث كله، ان ظل بالاماس لم يطمس عينى سفيريس، ود . . عن ناظريه الرؤى البعيدة التى يجب ان يسير اليها الشعر، ولنستمع إلى سفيريس يقول فى اخريات احدى قصائده بديوانه «نقطة التحول»:

«لا أستطيع أن أحيا

على الدوام مع طواويس

ولا أن أسافر ليل نهار

في عيني جنية خشبية بمقدمة سفين» .

الفهم والوضوح:

قالوا في ذم هذا الشاعر الحديث ان شعره غير واضح، وغير مفهوم. والحق انه شعر مبهم ولكنه في النهاية مفهوم. ولم يكن الوضوح هدفا لشعر سيفيريس لأنه اراد ان يغوص مع صنعة الشعر إلى اعماق اكثر ضبابية في النفس الانسانية وأيضا في الحقيقة الانسانية، ومن هنا [illegible] قصائد سيفيريس ما تحققه قصائد الشعر الحديث بصفة عامة من صدمة مزلزلة للعقل، لأنها تعرض عنه إلى ما يمكن ان يسمى «بالحدس»، وأيضا إلى ما يسمى «بالعقل الباطن»، و«تيار الشعور» . وقد اقتفى سيفيريس في كثير من قصائده خطى «السيرياليين» فقدم عديدا من الصور الحلمية المستخلصة من اغوار النفس مغلفة بالضبابية المألوفة في مثل هذه الصور الشعرية . كما ان قصائده تجري على مستويين: المستوى الأول هو ظاهر القصيدة الذي تبدو به القارئ لأول وهلة، والمستوى الثاني هو باطن القصيدة أو جوهرها، فمايلبث القارئ متى تغلغل في اعماق القصيدة ان يكتشف معنى او عالما اخر غير مابدا في ظاهرها . وعلى سبيل المثال ففي قصيدة سيفيريس المعنونة «الذكرى» نعتقد عند قراءة أبياتها ظاهريا اننا بازاء قصيدة غزلية ولكن متى نزلنا درجات هذه

القصيدة إلى أعماقها وجدنا ان الأمر فيها انما يتعلق بنوع من الحوار الروحي بين الشاعر وبين كينونة مبهمة، قد تكون حقيقة الشعر ذاتها.

في كواليس الفن:

وقد تضمنت « نقطة التحول» ايماءات إلى تطلعات سفيريس الشعرية كلها. وكان بامكان من هو ناقذ البصيرة أن يتبين ماذا سيكون عليه عطاء هذا الشاعر مستقبلا والقيمة الكبيرة التي سيضيفها إلى مسار الشعر اليوناني الحديث. وكان واحدا ممن أوتوا نفاذ البصيرة آنذاك الثري الذواقة بورغيوس كاتسيمباليس الذي اولع بالشعر والأدب منذ صباه دون أن يمارسه، وظل ملازما لمكانه في «كواليس الفن» يتابع ويتأمل. وقد قاده حسه الأدبي المرهف الى التنبه لما سيكون عليه سفيريس، فتحمس له. وقد خبر هذا الثري المولع بالفنون والآداب «السيريالية» عندما تفجرت في عواصم اوروبا التي كان يزورها، وفي الوقت ذاته احس مع متابعي هذا المذهب مخاطره ونقاط ضعفه فتوجس منها قدر ما تحمس لها. وقد رأى ببصيرته الثاقبة ان سفيريس هو افضل داعية لهذا المذهب في اليونان. وكما أحب كاتسيمباليس سيريالية ايلوار، تعلق قلبه بسيرياليه مواطنه سفيريس. ولكن سيريالية هذا اليوناني الذي رشف الادب اليوناني قديمه وحديثه حتى الثمالة رغم عصريته كانت سيريالية مختلفة ومتميزة. ولم يكن كاتسيمباليس بقادر ان يتنكر سفيريس او يتجاهله كما تجاهل وانكر من قبل عدة شعراء معاصرين عملوا على

جلب السيريالية بدورهم إلى الشعر اليوناني، بل ان كاتسيمباليس الذى وهب حياته وثروته لخدمة الشعر اليوناني الحديث، او بعبارة أدق لخدمة التيارات الجديدة في هذا الشعر علم بحسه العميق ايضا ان مصير هذا الشعر إلى الجمود بعد بالاماس الذى لم يترك وراءه سوى بعض المقلدين.

البئر او مستودع المياه:

وقد عاين كاتسيمباليس كيف ان سفيريس الشاب الناضج البالغ من العمر احدى وثلاثين سنة آنذاك يهوى الادب بدوره دون ان يحترفه، ويصدر فى العام التالي اى فى عام ١٩٣٢، ديوانا صغيراً آخر بعنوان «البئر» أو «مستودع المياه» ويتجمع من حوله شباب الشعراء الذين يريدون ان يختطوا دروبا جديدة. وفي مقدمتهم الشاعر نيكيتاس راندوس الذى اصدر عام ١٩٣٣ «قصائده» تتسم بسيريالية مفرطة، وإن شابها بعض التقليد والاحتذاء. على ان السيريالية ـ ان شئنا الدقة ـ كان قد جلبها إلى اليونان من باريس شاعر يوناني آخر هو ثيوذوروس دوروس الذى ازعج مياه بالاماس الساكنة بقصائده المغرقة في الغرابة والخروج على التقاليد المرعية. وفي عام ١٩٢٣ ظهرت اعمال الشاعر الشاب زيسيموس ايكونومو ومن بعده يورغيوس ساراتداريس الذى قدم عطاء شعريا مرموقا رغم انه رحل عن هذه الحياة مبكراً. ولاحظ كاتسيمباليس ايضا ان الشعراء الجدد لا يستطيعون نشر انتاجهم الا على صفحات مجلات مغمورة، تكاد تصدر «خفية»، لا تصل الى اسماع وانظار القراء. وهنا يتدخل هذا

الثرى المثقف، ومرة اخرى بعد أن أنفق من جيبه الخاص من قبل لترجمة مختارات من شعر بالاماس إلى الانجليزية، ونشرها كي يعرّف الاوروبيين بالشعر اليوناني الحديث، يتدخل فيقرر أن ينفق من ماله الخاص لاصدار مجلة لنشر اعمال هؤلاء الشعراء الجدد الذين يقف سفيريس على رأس قائمتهم. وهكذا ولدت مجلة من أهم المجلات الأدبية في الحياة الثقافية في اليونان، واكثرها تأثيرا على مسارات الحداثة في الأدب اليوناني، وهي «مجلة الآداب الجديدة» (نيا غراماتا) التي ـ ـ حولها اقلام الشعراء الجدد جميعاً.

الآداب الجديدة:

وفي بداية الأمر اقتصرت المجلة الجديدة على نشر اعمال سفيريس وجماعته. وقد صدر اول اعداد هذه المجلة في يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥، ويدين لهذه المجلة اوذيسياس ايليتيس الذي حصل عام ١٩٧٩ على جائزة نوبل في الآداب. يدين لهذه المجلة بنشر اولى قصائده، كما نشر اندرياس امبيريكوس الشاعر اليوناني السيريالي الكبير على صفحات هذه المجلة قصائده التي جمعها بعد ذلك في ديوانه «فمائن الجير»، كما اصدر سفيريس في ظل هذه المجلة ديوانه الثالث بعنوان «رواية» وان كنا نحب ان نسميه «اسطورة التاريخ». وقد بدا في هذا الديوان عازما على قطع كل الخيوط التي تربطه بأي عطاء شعري سابق عليه، كما اتجهت جماعة سفيريس المتولية لتحرير «مجلة الآداب الجديدة» إلى شعراء سبق لهم أن أبدوا نزعة تجريبية ملحوظة من أمثال يورغيوس سارانداريس واناستاسيس

نريفاس» ورحبت بنشر انتاجهم. وانتهى الامر بهذه المجلة الى أن أصبحت المحور الذى تلتقى حوله تيارات الشعر الحديث في اليونان كلها. وقد استمرت مجلة «الآداب الجديدة» فى عطائها المتمرد حتى اغسطس (آب)، ١٩٤٠ ويعد هذا التاريخ تفرق شعراء الموجة الجديدة، وراح كل منهم لحال سبيله وقد اخذت السحب السوداء تكفهر فى سماء اليونان مع مقدم الحرب العالمية الثانية والغزو الفاشى النازى لأراضيها. وقد استطاع سفيريس باعتباره موظفا بالسلك الدبلوماسي أن يحصل على قرار بنقله إلى الباتيا. ومن هناك خرج لينضم إلى صفوف الاحرار الذين شكلوا حكومة في المنفى وحاربوا مع الحلفاء حتى قدر لهم تحرير اليونان.

٢ـ الشعر الحر:

كان التغيير الذى أتى به سفيريس إلى الشعر اليونانى الحديث تغييرا مزلزلا. ولم يكن النقاد والمفكرون آنذاك فى أواخر العشرينات من هذا القرن» يقبلون ما أطلق عليه «الشعر الحر» أو «اللاواقعية» أو «العفوية» أو «المجازية» أو غير ذلك من الذى نادى به سفيريس وجماعته في اوائل الثلاثينات ومضوا فيه. وعلى الرغم من أن سفيريس حصل بعد ذلك في الستينات على جائزة نوبل للآداب و وهو أول حدث من نوعه في تاريخ الأدب اليوناني الحديث، الا ان نضال سفيريس ورفاقه من اجل هذا الشعر العفوى اللاعقلانى الحر لم يكن بالسهل في اوائل الثلاثينيات.

وحول مجلة «الآداب الجديدة»، ٣ ـ جماعة الشعراء المحدثين

وبدأت نضالها الشاق، ولم تستهدف هذه الجماعة تجديد الحس اليونانى فحسب، بل عمدت إلى ادانة أولئك المقلدين السخفاء للبارناسية والرومانسية وغيرهما من مدارس الشعر الفرنسى واتجاهاته. وبذلك يعود الشعر اليونانى الحديث إلى طريقه السوى الذى هو العودة إلى منابعه وجذوره الاولى، أى العودة إلى «الأغنية الشعبية» والى «المسرح الكريتى» والى سائر ضروب الأدب الشعبى، أو بعبارة اخرى ايقاظ «الهلينية» من سباتها.

وربما حدثت هذه الجهود بلا تدبير مسبق، وربما شابتها اخطاء، بل وربما ظهر فى صفوف المناضلين بعض الأفاقين المزيفين، ولكن كل هذا لا يقلل من قولنا إن الأمر كان ثورة حقيقية فى الشعر اليونانى الحديث، قام بها نفر من الشعراء الأسلاء، الذين أصبح لهم مقام عال، لا فى تاريخ الأدب اليونانى فحسب، بل وفى الاوساط الأدبية العالمية. وفى مقدمة هؤلاء الشعراء: يانيس ريتسوس، وذيونيسيوس ابليتيس، ونيكيفوروس فريتاكوس، واندرياس امبيريكوس، وقد اختلفت مشارب هؤلاء الشعراء الكبار لكنهم على أى حال أجمعوا على الرغبة الباكرة فى التجديد، ورفض التقليد، وعلى البحث عن الهاماتهم فى الينابيع الإغريقية ذاتها.

الفصل الرابع

«اسطورة التاريخ»

«رواية» أو «أسطورة التاريخ» قصيدة طويلة كتبها سفيريس في الفترة من ديسمبر ١٩٣٣ إلى ديسمبر ١٩٣٤ وذلك من أربع وعشرين قصيدة قصيرة، تربط بينها وحدة عضوية قد لا تبدو واضحة للعيان أول وهلة، ولكن كلما تعمق المتذوق في القراءة تبين مبلغ تساند تلك القصائد الداخلية والتفافها حول عصب القصيدة الأم.

وقد عنون سفيريس قصيدته هذه بعنوان «ميثيستوريما» وميثيستوريا تعني في اللغة اليونانية الجارية «رواية» الا أن استخدام سفيريس لهذه الكلمة لا يعني ذلك في نظرنا، إذ إن هذه الكلمة مكونة من مقطعين الأول هو «ميثي» أي أساطير و«ستوريا» وتعني التاريخ. ومن ثم كان المعنى الذي قصده سفيريس بإعطاء قصيدته هذا

العنوان الإفادة من المضمون المشحون بالإيحاءات والرموز التي تثيرها الأسطورة من ناحية والتاريخ من ناحية أخرى. وقد أشار سفيريس ذاته إلى ماعناه بعنوان قصيدته، مقرراً انه اختار لها ذلك العنوان لأنه أراد أن يتحدث في أبياتها عن شخصيات من التاريخ والاسطورة مثلما يفعل الروائي في روايته، ولكن بمزيد من التركيز والتكثيف اللذين هما من متطلبات فن الشعر وخصائصه.

وتبدأ «اسطورة التاريخ» بقصيدة عنوانها «ثلاث سنوات» وتنتهي بقصيدة «هنا تنتهي الاعمال» وبين تلك الافتتاحية وقصيدة الختام هذه تتابع اثنتان وعشرون قصيدة بالعناوين التالية: «وتبقى بئر أخرى» ـ «ارتديت هذا الرأس الرخامي» ـ «لو أن الروح» ـ «لم نعرفهم» ـ «البستان ونافورته» ـ «عمّ تبحث ارواحنا» ـ «المرفأ قديم» ـ «ديارنا مغلقة» ـ «كان الدم في عروقه يجمد» ـ «ثلاث صخور» ـ «بيادر ولاتبغين، وملتقات مدافع» ـ «ثلاث حمامات حمراء» ـ «لفك النوم في أوراق خضراء» ـ «على الدرب» ـ «الآن، وأنت ترحل» ـ «حزين أنا، تركت نهراً عريضاً ينساب من بين أصابعي» ـ «حتى لو هبت الريح» ـ «في صدري الجرح» ـ «نحن الذين خرجنا» ـ «مر بنا الكثير» ـ «أبعد من هنا بقليل».

ويتكلم سفيريس في قصيدته الافتتاحية عن رحلة، رحلة معاناة ومشاق، عن انتظار طويل يحدده بثلاث سنوات، وعن ملاك كان يتوقع مجيئه ويبدو أنه لم يجيء، فتخبطت الرحلة بعد أن اخفق الانتظار، فشرقت السفين وغربت، وربما كانت سفين اوديسيوس، وربما أومأت لحظة انتظار الملاك تلك إلى لحظة انهيار الدولة البيزنطية أو إلى لحظة طرد اهل اليونان من آسيا الصغرى، ويومئ سفيريس في أبيات قصيدته إلى ظروف غير ملائمة احاطت بالسفين

الذى يشق طريقا وعرا. وفي القصيدة الثانية عشرة من «أسطورة التاريخ» يتحدث سفيريس عن:

«البحر الذى اشقانا وهو عميق لم يسبر أحد أغواره»

«هذا ربما مركبنا لنرمم مجاديفنا المكسورة، ونشرب ماء، ونرقد للنام»

من نحن، أو من هم ملاحو هذا السفين الذى يقول أحدهم في الافتتاحية «عدنا إلى بيوتنا، وإعضاؤنا عاجزة، وافواهنا خرائب من طعم الملح والصدأ» ؟

أهي رحلة اوديسيوس اذن، أم هي أى رحلة من رحلات الاغريق، تلك التى يومئ اليها سفيريس فى قصيدته «اسطورة التاريخ» ؟ لقد كانت أوديسية هوميروس ملحمة بتلك الرحلة الاسطورية، التى ربما جرت احداثها فعلا او انطوت على مجرد تشوقات انسانية إلى البطولات والتصدى للأخطار، وكشف المخبوء والمكنون من الألغاز. ومن قبل سفيريس تناول الشاعر اليونانى المعاصر نيقوس كازنتزاكى بدوره تلك الرحلة، وأفرغ في ملحمته عنها كثيرا من المفاهيم والاجابات الوجودية للتساؤلات التى ظلت تؤرق بال الانسان منذ ايام شيخ الشعر الملحمى هوميروس الاغريقى الذى ينسب إلى القرن العاشر أو التاسع أو ربما الثامن قبل الميلاد..

ويجئ سفيريس بدوره فى قصيدته «أسطورة التاريخ» فيخلط الماضى بالتراث والاساطير، ويصنع خلفية لها الطبيعة اليونانية، وعلى الأخص البحر والجبل، وهو في ذلك عكس كافافيس الذى عاش بين أسوار مدينته وقال عنها «قلبى مدفون بها» «أينما جلت بعينى، أينما نظرت حولى، رأيت خرائب سوداء من حياتى، حيث العديد من

السنين قضيت وهدمت وبددت». فهو لم يكن من شعراء الطبيعة على خلاف سفيريس الذى يذوب شعره فى الطبيعة اليونانية من بحر وسهل وجزر وجبل، وربما كان جورج سفيريس اليوناني وسان جون بيرس الفرنسي الذى حصل بدوره على جائزة نوبل، واشتغل بالعمل الدبلوماسي مثله، فى عشقهما للمنظر الطبيعى صنوان.

وفى أبيات قصيدته «أسطورة التاريخ» يدقق الشاعر فى تصوير تفاصيله، ولنلاحظ أيضا كم تبلغ لهفة الشاعر لمشاهد الطبيعة، الشجر المزهر، والرخام يتلألأ لامعا فى ضياء الشمس، والبحر يختلج موجه الازرق، كم تبلغ لهفته إلى ذلك، ويدعو الراقدين مهما استبد بهم التعب أو الجرح أو المرض ان تشرئب أعناقهم ليمتعوا العين ويروا. وذلك على خلاف كافافيس مرة أخرى الذى لم يعر المشهد الطبيعى اكتراثا، وإذ تصادف ان رأى «البحر فى الصباح» انشد يقول دهشا بحسرة، غير مصدق انه يرى منظرا طبيعيا حقا:

«فلأقف هنا، وأرى انا أيضا الطبيعة مليا.

.....

فلأقف هنا، ولأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقا،

ولأرى خيالاتى، ومتعة وهمية».

ان سفيريس على عكس كافافيس، يرى الطبيعة، ويعيشها، ويتكلم عن الصخر والموج، والمركب، والكهف والجبل على انها حقائق ملموسة، بل وعلى انها الحقائق الوحيدة الجديرة بالتعويل عليها، فهى على مر الأجيال باقية، وقادرة ان تحكى وبحيادية تامة، شرسة وفاتنة، عن الأمجاد التى اندثرت، ولازلنا نبحث عنها، وإذا عثرنا على نقش على معدن أو حجر، فقد يمكننا أن نزيح النقاب عن

حضارة بائدة بأكملها. ولهذا فان حضارة الإغريق، وايضا حضارة الفراعنة من قبلهم، إنما تحادثنا اليوم عبر تماثيل ونحوت ظل كثير منها في الطين والرمل مطمورا، أو في البحر غارقا آلافا من السنين. ولذلك فإن سفيريس يستعير في صدر قصيدته «أسطورة التاريخ» بيتا من شعر الشاعر الفرنسي أرتور ريمبو المولود عام ١٨٥٤ والمتوفى عام ١٨٩١ يقول فيه:

«لو كنت ميالا إلى شئ،

فليس ذلك الشئ سوى الأرض والحجارة»

ولنستمع إلى حديث الحجارة، على الأخص، من خلال قصيدة «ارتديت هذا الرأس الرخامي» وهي القصيدة الثالثة من القصيدة الأم.

لمن هذا الرأس الرخامي الذي يتحدث عنه سفيريس في هذه الأبيات؟ مرة أخرى نحن ازاء الماضي والتراث والاساطير، اذ يعمد سفيريس ببراعة الشاعر الذي ألم بتيارات الشعر قديمه وحديثه فيخلط اليومي بالمجازي، ويعمد الى لغة تقوم على الايحائية دون المباشرة. وتظل هذه القصيدة تطالعنا بصورة نحتت نحتا جيدا تغرسها في وجداناتنا، فتمضي بابهامها تثير في النفس شتى التساؤلات، وتدعو القارئ الذواقة ان يعطي لها من التفاسير ما يمكن أن يتعدد بتعدد من توجه اليه القصيدة نداءها، بل وتنفث في اعماقه سحرها الغامض الأخاذ. وتستقي هذه القصيدة جمالها، لا من الوضوح، فهي أبعد ما تكون في معانيها عن الوضوح ، بل هي من «اللغز» تستقي جمالها، وهو جمال لا يستنفد طالما لم يفض اللغز ويستهلك، وهو أيضا جمال متأب تأبي اللغز الذي لا تطول القدرات العادية كنهه ولا تسبر مداه.

ولعل الشاعر قد اشفق على قارئه ان يتوه في متاهات هذه

القصيدة ودروبها التي تتشابك وتتلاقى دون أن توصل إلى مخرج نهائي، أو ربما أراد الشاعر أن يدلي بدلوه في حقل التفاسير التي تعطى للقصيدة، فنراه يصدرها باستعارة من شعر أسخيلوس في مسرحيته «حاملات القرابين» حيث يتحدث أوريست على قبر أغاميمنون أبيه، مذكراً إياه بالحمّام الذي ذبح فيه على يدي زوجته الخائنة كليتميندترا وقد جاء أوريست ابنها ليقتص منها لمقتل أبيه. ولكن هذه الإشارة يجدر ألا تقيد القارئ، فله مطلق الحرية - وفقاً لتعاليم الشعر الحديث - أن يخوض في العمل الشعري غير مقيد بأي رأي مسبق فيه، حتى ولو كان رأي الشاعر نفسه.

وربما كان من المجدى أن نشير من خلال «أسطورة التاريخ» وغيرها من قصائد سفيريس، وعلى الأخص قصيدته «ملك اسينه» إلى ان الشاعر «صاحب قضية» تمسك بالدفاع عنها والتدليل على شرعيتها في شعره كله، ان لم تكن قضيته هذه هي أيضا منطلقه الأول لكتابة شعره، وهي التي جعلته يتبوأ مكانته كواحد من كبار شعراء «القومية الهلينية» إلى جوار سولوموس وكالفوس وبالاماس وصقيليانوس. وقد اشير إلى ذلك بجلاء ايضا في التقرير الذي أعد بمناسبة منح سفيريس جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٣. فكان بذلك اول من حصل على هذه الجائزة الادبية العالمية، التي هي على حد قول ايليتيس الذي حصل بدوره على هذه الجائزة عام ١٩٧٩ ليست تكريما للشاعر بقدر ما هي ايضا تكريما لشعر الأمة التي ينتمي اليها واعترافا بعلو مقامه الأدبي.

والقضية التي تتردد أصداؤها في عطاء سفيريس هي أساه على ما انحدرت اليه الهلينية في الأزمان الحديثة، وضرورة السعي حثيثا إلى استرداد اليونان مكانتها الحضارية القديمة. ويمكننا أن نستمع إلى

سفيريس يتحدث في «أسطورة التاريخ» عن ذلك بطريقته الايحائية غير المباشرة التي تميل إلى التكثيف والتخلي عن الزخارف، ربما استفادة في ذلك بدروس كل من الشاعرين الفرنسيين بول فاليرى وستيفان مالارميه..

ولنتوقف مليا عند عبارات مثل هذه: «بئر أخرى في الأغوار.. كان من السهل علينا قديما أن نغترف نحوتا وحليا.. الحبال تمزقت.. الندوب عند فوهة البئر... سعادتنا الغابرة... تنضب القطرات، ويعم الصمت الوجود.. حزين أنا، تركت نهرا عريضا يتسايب من بين أصابعي.. كل ما أحببت ضاع.. الظلال أضحت ضيقة.. النسمات التي تهب لم تعد تنعشنا. يثقل كواهلنا أصدقاء ماعادوا يعرفون كيف يموتون.» ألا تشعرنا هذه العبارات بماض تليد متحسر عليه ضاع وانقضى، ترك فراغا لم يفلح حاضر من بعده أن يشغله. ومثل مياه نهر أو رمال صحراء تسرب ذلك الماضي القديم من قبضة اليد، ليخلف وجودا خاويا، ولذلك كان على بني اليونان المحدثين واجبا قوميا جليلا هو أن يردوا إلى وطنهم اعتباره القديم..

الفصل الخامس
السفيرية

بهذا استطاع سفيريس أن يخط اسمه في تاريخ الشعر اليوناني الحديث، بل وأن يعدل مساره، وأن يلقى أعجاب شباب احتذى حذوه، وتألف بذلك ما يمكن أن يسمى في الشعر اليوناني الحديث «بالسفيرية».

وقد خلص سفيريس إلى أن الشعر يجب أن تتوافر له المقومات الآتية:

أولا : الحس التراجيدى

ثانيا : المشهد الطبيعى

ثالثا : التكثيف والتخلى عن الزخارف

رابعا : الايحائية دون المباشرة

خامسا: خلط اليومي بالمجازي:

وأخيرا، وليس آخرا: القضية، أو بعبارة أخرى السياسة مصعدة إلى الشعر، والسياسة في هذا المقام هي سياسة النظر البعيد، سياسة المستقبل والغاية، لا سياسة الظروف والأهواء المتقلبة، وهو ما يوصل الشاعر الحديث في خاتمة المطاف إلى مواجهة الإنسان المعاصر من خلال مواقف محلية وقومية وعالمية.

وقد لقب الشعراء اليونانيون المجيدون الذين كان سفيريس واحدا منهم «جيل الثلاثينيات». وقد كان لسفيريس الذي برز بين صفوف هذا الجيل تلامذة ومريدون، احتذوا بالنمط الشعري الذي أتى به، وعاشوا تحت ظلال عوالمه الشعرية. على أنه من ضمن هؤلاء وجد أيضا من اختط لنفسه طريقه، دون أن ينشق على أي حال على أستاذه الشاعر الكبير سفيريس.

ومن هؤلاء ميتسوس انطونيو المولود عام ١٩٠٦ وهو أبرع تلامذة سفيريس وصديقه الشخصي. وقد تابع أعماله ومراحله عن كثب ونشر عام ١٩٣٩ قصائده الأولى ثم صمت سنوات طوال، ليعود عام ١٩٦٧ ليصدر مجموعته الثانية بعنوان «الهند» ثم يردفها بديوان ثالث عام ١٩٧٥. ويتفوق انطونيو في «المونولوج الداخلي» ويبدو فيه الشاعر متأملا في اطار من أجواء سفيريس، حول امكانات التلاقي بين العطاء الاغريقي القديم والحياة المعاصرة، والاخطار التي يمكن أن تتهدد «الهلينية» بالاندثار.

ومن تلامذة سفيريس أيضا الذين احتذوا به الشاعر الدريياس كامبياس المولود عام ١٩١٩ والمتوفى عام ١٩٦٥ وقد انسحب مبكرا من حياة اليونان الثقافية تاركا عطاء شعريا قليلا. وان كانت لا تخلو

أية مجموعة من مختارات الشعر اليوناني الحديث من بضعة نماذج جيدة له . وقد ذهب كامباس ليقيم في لندن . وفي عام ١٩٥٦ أصدر ديوانه «عشر قصائد» دون أن يتضمن هذا الديوان إضافة حقيقة إلى عطاء مدرسة سفيريس، بل بدا على كامباس اتجاهه إلى التسليم بهزيمة الإنسان في هذه الحياة . وقد غاص كامباس في الصمت بعد هذا الديوان من جديد وإلى الأبد .

ثم هناك الشاعر آريس ذيكتيوس المولود عام ١٩١٩ الذي بدا تأثره الواضح بسفيريس منذ الثلاثينيات، على ما تجلى فيما أصدره من ديوانين عام ١٩٣٨ . كما كان قد أصدر ديوانا سابقا عام ١٩٣٦ على ان عطاء ذيكتيوس الشعري لم يكتمل ويبلغ نضجه إلا بعد الحرب العالمية الثانية . وقد اثبت هذا الشاعر جدارته في مجالي النقد والترجمة أيضا . على انه يظل يتقلب تحت ظلال سفيريس، وإن كان لا يرضى بذلك كثيرا . هذا بالاضافة إلى تأثر شعره في وضوح بمؤثرات أجنبية، فرنسية على الأخص .

أما نانوس فالاوريتيس المولود عام ١٩٢١ فقد كان من شباب جيل الثلاثينيات . وقدم كتاباته على صفحات مجلة «الآداب الجديدة» ومنها عرف أول مرة، وإن كان حفيدا لشاعر يوناني كبير هو اريسطوطيليس فالاورتيس . وقد اكتمل عطاء نانوس فالاوريتيس الشعري بما أصدره من دواوين بعد الحرب العالمية الثانية . وبدت بصمات سفيريس واضحة على قصائده، فضلا عن تأثره أيضا بجده الشاعر الكبير، الذي كان واحدا من أفضل الشعراء الذين تغنوا بالطبيعة اليونانية . وهذا ما نجده أيضا لدى سفيريس، وإن اختلفت الزاوية التي نظر كل منهما إلى الطبيعة . وهذا اختلاف يبرره اختلاف العصر الذي ينتمي إليه كل من الشاعرين الكبيرين . فقد

كانت «الرومانسية» هي السائدة على شعر فالاوريتيس الجد وعصره، بينما تمخض القرن العشرين عن أساليب جديدة، في مقدمتها الرمزية والسيريالية ومابعد السريالية، وهذه هي الاتجاهات التي أثرت على شعر سفيريس ومن بعده تلميذه ثانوس فالاورتيس الذي عاش طويلا خارج الديار اليونانية، وعرف اسمه في الاوساط الأدبية الأجنبية وبخاصة الأنجلو ساكسونية.

ولقد كان لسفيريس وشائج وثيقة بالشاعر اليكساندروس ماتساس المولود عام ١٩١٠ والمتوفى عام ١٩٦٩ وقد كان بدوره ديلوماسيا مثقفا. كتب الشعر وأصدر ديوانا من جزئين صدر أولهما عام ١٩٣٤ وثانيهما عام ١٩٤٦. كما عرف بتراجيدياته التي قدمها «المسرح القومي» اليوناني. ويتصف شعره برصانة تليدة ونبرة قلق مما نجده أيضا في شعر سفيريس الغنائي على الأخص.

ويبقى أن نشير من تلامذة سفيريس أيضا إلى بافلوس كرينيوس المولود عام ١٩٠٢ والذي تجلت موهبته الشعرية منذ الثلاثينيات. ولئن كان قد مارس ضروبا أدبية متنوعة إلا أنه يظل شاعرا في المقام الأول. وإذا كان عطاؤه الشعري تربطه قرابة بشعر سفيريس إلا أنه يقل عنه كثيرا في القدرة الغنائية والتشكيلات الجمالية.

القسم الثاني

الأعمال الشعرية لجورج سفيريس

نقطة التحول

محاورسحب

«ولكن كل شىء كان بالنسبة لى خاطئاً، وانقلب رأساً على
عقب،

فتولدت طبيعة الأشياء فى ناظرى من جديد»

أيروتوكريتوس

١٠ - تحول

أيتها اللحظة، يا من أرسلتك يد
طالما أحببتها،
لحقت بي والشمس موشكة الغروب
مثل حمامة سوداء.

أضحى الطريق أمامي ناصع البياض،
غمامة نعاس رـ
في أعقاب عشاء أخير...
أيتها اللحظة، ياذرة من الرمال

يامن استبقيت وحدك
ساعة الفجيعة كلها
خرساء، كما لو كنت فى الحقل السماوى
رأيت هيدرا[1]

---

(١) أفعى ذات سبعة رؤوس، ورد ذكرها في الأساطير اليونانية.

٢ ـ بتؤدة كنت توجهين !

بتؤدة كنت، أمام الشمس، توجهين الكلام

والآن، الدنيا ظلام

يا من اسمك بيليو وقد لا يكون

يامن [illegible] بخيوطك الأقدار.

ماذا حدث لهذا العالم الفسيح

فى خمس ثوان؟

حب غير مكتوب انطمس

وجرة دبّ فيها النضوب

وحلّ الظلام... أين المكان
وأين قوامك العارى حتى الوسط
رباه، وأين موقعى الحبيب
وأين ما تتحلّى به روحك من تهذيب!

٣-صبية حزينة

عند صخرة الصبر
جلستِ في الغروب
وقد بدا من سواد عينيك
انك تتألمين.
وعلى شفتيك ارتسم الخط
العارى المرتعش الذى يرتسم
عندما تضحى الروح نولا
ويتعالى النواح.
وكانت في عقلك النغمة
التى تحركُ الدموع

وكنت غصنا تحنيه الثمرة المدلاة عند الطرف
لكن الأسى الذى يمزق قلبك
لم يسمع له أنين، وأضحى
الايماءة التى تمنح الوجود
سماء لألأة النجوم.

٤ـ أوتوموبيل

على الطريق مثل حصان
برجلٍ منفرج الساقين
أصابع الريح فى الشعور
وفى الأحشاء أميال،

كلانا راحل، خاوى الوفاض
نظرة العيون وديعة مثل ارتخاء السياط
العقل قناع من المساحيق، والدم أيضا قناع
عريان، عريان، عريان!

. . . الوسادة على سرير

مرتفعة لينـة،

كيف تلاشي الدوار

مثل سمكة تنساب في الاغوار...

عند مفرق الطريق

كلانا بالجسد رحل

لكنه بالآخر في القلب احتفظ

وتفرقنا، رفيق إلى اليمين، ورفيق إلى اليسار، كل في طريقه مضى.

- نكران

على الشاطئ الخفي
ناصع البياض مثل حمامة
عطشنا عند الظهيرة،
لكن الماء كان أجاجا.

على الرمال الذهبية
سطرنا اسمها،
هبت نسمات البحر
فامّحت الكتابة.

بأى روح، وأى عاطفة،
بأى شهوة، وأى ...
عشنا أيامنا: وكان ذلك خطؤنا!
فمدنا وغيرنا حياتنا.

٦- زا" فى الجحيم

حمقى من أكلوا أبقار هيليوس هيبريون، أما
هـو فـقـد حـرمـهـم جـزاء
على ذلك من اليوم الذى يعودون فيه إلى
الديار .

الأوديسة

كان لازال لدينا بعض كسر من خبز جاف
فيالها من حماقة
أن أكلنا ونحن على الشطآن
أبقار الشمس السمان.

وقد كانت كل منها قلعة
تحارب لتظفر بها
أربعين عاما طوال،
وتصبح نجما وبطلا من الأبطال!
على ظهر الأرض أدركنا الجوع
وعندما أكلنا وشبعنا
ترديا إلى هذا الدرك
حمقى، وراضين بذلك على أي حال.

٧ـ ضبـــاب

«قلها على أنغام القيثار» (١)

«قلها على أنغام القيثار»

تعالى بذلك صوت الحاكى مدمدما،

بالله، خبرنى ماذا أقول لها

وقد ألفتُ الآن وحدتى؟

شحاذون أنيقو الهندام

من آلات الاكورديون يعتصرون الأنغام

---

(١) كلمات من أغنية إنجليزية شائعة فى الثلاثينيات

ويناجون ملائكتهم

ملائكة الضنى والسقام

بسطت الملائكة أجنحتها

وعلى الأرض تكاثفت غمامات الضباب

شكرا لله، فلولا ذلك، لأمسكت تلك الملائكة

بارواحنا المسكينة مثلما تمسك بأسراب السمان.

والحياة باردة مثل سمكة

- أهكذا تعيش؟ - اجل، وكيف اعيش غير ذلك؟ -

الغرقى كثيرون

بالاعماق في قاع المحيط.

الاشجار مثل مرجان

لونه ادركه النسيان،

وعربات النقل مثل سفن

غارقة في اليم تعاني الهجران...

«قلها على أنغام القيثار...»
كلمات لذات الكلمات، ومزيد من الكلمات؟
ياأيها الحب أين محرابك
من هذه الخلوة.

يالله كيف كنا سنقضي أيامنا
لو كانت هذه الحياة خلقت سوية!
ولكن الأقدار أرادتها لنا على غير ذلك
واجبك إذن أن تنزوى فى ركن صغير.
اى ركن هذا؟ من يدرى؟
الضياء على الضياء تنعكس شاحبة
والجليد يلزم الصمت لا ينبس بكلمة.
أرواحنا معلقة بأسنانا .

هل سنجد عزاء؟
اكتسى اليوم رداء الليل.
كل شئ أضحى ليلا، كل شئ أضحى ليلا.
ولكن لو بحثنا ونقبنا سوف نجد على أى حال شيئا...

«قلها على أنغام القيثار...»
ألمح أظافرها الحمراء
على وشك التوهج فى ضوء النار
وأمضي أذكرها، أذكرها كلما انتابنى سعال.

لندن: عيد الميلاد ١٩٢٤

٨. أحوال يـوم

«رأينا بوضوح أنه ما من أحد يحيا
في تـلـك الـسـفين الـمـتـهـالـكـة»

إدجار آلان بـو

انطباعات يوم عشناه منذ عشر سنوات في بلد أجنبي
لحظة قديمة ولت فيها الروح الأثيرية على جناحين هاربة
ومثل ملاك من ملائكة الرب اختفت
صوت امرأة عانينا في نسيانها كثيراً من الآلام

نهاية لا عزاء فيها، غروب رخامي ليوم من أيام سبتمبر كان بارداً مثل الرخام.

بيوت جديدة، عيادات علاها التراب، نوافذ مثل طفح جلدي، ومحلات تبيع للموتى «نعوش»...
هل قدّر أحد معاناة صيدلي مرهف الحس في وردية ليل؟
الفوضى ضاربة في الغرفة أطنابها: الأدراج والنوافذ والابواب فاغرة
أفواهها مثل وحوش كشرت عن أنيابها.
رجل محبط يبسط الأوراق، يستهدي النجوم، ينبش في الأرجاء باحثاً عن شئ

قلق هو: لو دقوا الباب من سيفتح لهم؟
لو فتح كتابا من سيرى بين طياته؟ لو فض روحه منذا الذي من هذه الروح سوف يطل؟ سلسلة متتابعة الحلقات..
أين الحب الذي يشق الزمن بضربة واحدة ويصعقه؟
كلمات فحسب وايماءات. حديث من جانب واحد في

المرآة من حيث التجاعيد تلوح.

والسأم مثل قطرة حبر على منديل يسرى وينتشر.

كل من على السفينة مات، ولكن السفينة تمضى إلى مقصدها المستهدف منذ أن أبحرت من الميناء

كيف نمت أظافر القبطان... ولحية رئيس البحارة الذى كانت له فى كل ميناء عشيقات، كيف أ [illegible] شعثاء..

تعلو الأمواج بتؤدة، وتزهو الجبال،

ويضحى اليوم وديعا.

ثلاثة حيتان يلمع سوادها وهى تشق الماء ، وتبتسم جنية البحار الخشبية على مقدمة السفين، ويلوح من على سطحه بحار متفرج الساقين منسيا هناك.

ـتعقيب على أ   اث

خيم الظلام على الشرفة.

رفرفت من حولنا لهفة قلبينا

وقد تعاهدنا

على اعتراف متبادل بيننا.

همر الصوت العقيم

وعلى الشفاة، مثل خلية نحل،   •• - آلاف الأخطاء

ومن أعماق جسدينا فحسب،

ياالهي، انتظرنا البركات.

للظلام داخل البيت ملذين
ومن نجمة المساء، سرى
إلى شعرك الأخاذ ضياء.
ملاك بعيد المنال، هل تذكرين؟

تهاوت بغتة خواتيم ذات مضاء
تفتحت فى الفكر مروحتان
وقرأنا خواطر متماثلة
بذات الخشوع، الذى تقرأ به الأناجيل.

يا امرأة عن روحى غريبة
من زيارتك غير المتوقعة
يا أيتها الرائعة الحبيبة
تبقى لى اليوم ذكرى الأمسية الرعناء.

وعيناك السوداوان
ورعب الليلة حبيسة الهواء...
انحنى، يا امرأة وادخلى الغمد من جديد
يامن كنت نصلا بتاراً لصمتى، ياعنقاء..

١٠. شهاب

هذا الضوء الأزرق

بين أصابعنا

ليس بحرا

ولا هو العالم

تحت الجفون

آلاف النوامس

أصابها الدوار

تنقب باحثة عن السماء

يا قرنفلة حمراء
وحيدة في الاناء
وقفت مثل الحب
ماثلة أمامي
وانا أخط سطوري
كان هناك غزال
أصفر كبريتي اللون
وقلعة
بنيت من ذهب

خمسة غربان
أحصت سنوات عمرها
تعاركت، ثم تفرقت
مثل نجمة خماسية الأركان

سواسن بيضاء
زينت شعر الحبيبة
وعن جسد الحسناء
سطرت كتبا عديدة.

لا أستطيع أن أحيا
مع طواويس فحسب
ولا أن أسافر ليل نهار
في عيني عروس بحار.

١١-إيقاع

شفتاى حارسا حبى، لولاهما لكان انطفأ

ذراعان قيدا شبابى، لولاهما لكان شبابى ذوى

وجه فى مكان ما من الطبيعة لونه ضائع

قنص... وأطيار... وشجر

ياجسدا، أنضجه وهج الشمس مثل حبة عنب

ياجسدى، الى أين رحيلك، ياسفينى الثرى؟

انها الساعة التى يغرق الغسق فيها وجه الأفق

وأجهد أنا عن الظلمة باحثا...

(كل يوم تتناقص حياتنا يوما).

١٢ـ ذكـرى

كنت الصمت المقدس

بيضاء بلون الأرز

بينما على الدوام تعود

رعشة الفرار.

[illegible] مع دوامات الريح

يا أيتها الروح الراحلة

وفى الأحزان

تركتنا.

ما ان يحين الليل أطل من ثنايا الشجر
ولازالت أجفان الأصدقاء مطبقة.

١٣-أغنية *

نبتت البذور
أورقت
بزغت ورقة، ورقتان
فى الحقول.

أخبرك بذلك عراف الموالد
متمثا شوق المواجد
والتحمت الشفاه فى قبلة عشق، ياحبيبتى!

١٤ـ كلمة

«من الناس من يبلغ غرور طموحاتهم
شأواً يجعلهم يحتقرون الالتفات إلى
الاشياء العادية، ويثبتون أنظارهم على
أشياء بعيدة المنال، فيجدون في طلب ما
في الأمر من خواء، تحدوهم إلى ذلك
آمال عقيمة»

بيندار

(أ)

ياوردة القدر سعيت لجرحنا

بينما مثل سر جاءه المخاض كنت تنحنين نحونا

جميلة كانت الوصية التى اخترتها لنا

وابتسامتك كانت مثل سيف مشرع.

كلما بزغت طلعتك بعثت دورتها الحياة في الخليقة
ومن شوكتك انطلقت تأملات الطريق
وأشرق شوقنا عاريا لنوالك
كان العالم سهلا، مجرد نبضة.

(•)

أسرار البحر على الشطئان تنسى
وعلى الزبد ظلمة القاع.
وفجأة يومض مرجان الذكرى ببريق الأرجوان
مكانك، لا تتحرك... اصغ لتسمع تحركاته

الخافتة... مسست الشجرة المحملة بالتفاح
اليد انبسطت، والخيط يريك ويرشدك...
آه، أيتها الرعشة المظلمة عند الجذور وفي الأوراق
لو كنت أنت التي ستعيدين الفجر المنسي!

لو تزهر في حقل الفراق زنابق من جديد
وتتفتح أحضان السماء أياما ناضجة
لو تلمع تلك العيون وحدها في الضياء الساطعة

وتصبح الروح نقية سطورها مثل أغنية مزمار...

أكان الليل قد أغمض جفنيه؟ لازال الرماد باقيا
مثلما من ضربة قوس كمان يبقى طنين مكتوم،
الرماد على الشطئان السود والدوار في الرؤوس
وخفقات كثيفة من جناح في الظنون حبيس.
ياوردة الريح، كنت تعرفين، لكنك أخذتنا غير مدركين
في وقت كان الفكر يبنى فيه جسوراً
كي تتشابك الأنامل ويمضي مصيران
وفي خفوت الضياء الساكن ينسكبان.

(٥)

ياأيتها الرعشة المظلمة عند الجذور وفي الأوراق!
انفضي النعاس عن عينيك شدى من قامتك وتقدمي إلى حيث الصمت الكثيف
ارفعي رأسك من على ذراعيك المعقودتين
لتكن مشيئتك، ولتسمعيني من جديد.

الكلمات التي كانت تعانقنا وتلهب فينا الدماء
ميلي بعواطفك الجياشة نحونا كما تميل من شجرة الجوز الظلال

ولتغمرنا جدائل شعرك بفيضك السخى
وليسرِ فينا إلى شغاف القلب ملمس القبلة على الشفاة.

خفضت عينيك وعلت شفتيك الابتسامة
التى سجلها بتواضع مصورون قدامى
وتمتم صوتك الخفيض
بقراءات منسية من إنجيل قديم:

«يمر الزمان بالناس أملسْ رخوا
ويغمر الألم جنبات الروح ويفيض بلا روية
يشق الفجر أديم السماء ويظل الحلم متبهما بلا هوية
كما لو أن شجيرات عطر تتهادى وتمضى».

الفزع فى عينى، وتوهج بشرتى
أيقظا سرب الحمام من رقاده فطار نازلا
يحاصرنى بتحويمه الخفيض
بينما النجوم على صدرى لمسات بشر.

أسمع، كما فى محارة، خصام المتنازعين
من بعيد ونواح العالم المضطرب.

مجرد لحظات ويختفي كل هذا

لأنفرد بالتأمل الملهوف في مبتغاى مثلما يشتبك غصنان

على شجر.

خيل إلى أنني صحوت عاريا في ذكرى تلاشت

جئت فيها أليفا وغريبا، يا أيها الحبيب الغالي

تميل على وتمنحني خلاصا غير محدود

كنت من العاصفة المزلزلة أنتظره...،

تضاءل الغروب الكسير واختفى

وبدا ضلالا أن تسأل السماء عطايا

خفضت عينيك. أزهرت شوكة القمر

وانتابتك الرهبة من ظلال الجبل.

. . . في المرآة، كم يتضاءل الحب

والأحلام بالنوم تعلمنا النسيان

في أعماق الزمان، وكم ينكمش القلب

في حضن غريب وفي هدهداته يتبدد..

(د)

ثعبانان جميلان متباعدين، للفراق قرنا استشعار

يزحفان، يبحث كل منهما عن الآخر في ليل الأشجار،

من أجل حب سري في مكامن خافية عن الأنظار

ساهران، يبحثان، لا يقربان ماء ولا طعام.

يدوران ويتلويان، يغزل عزمهما الذي لا يلين

خيوطا يكثرها، يلفها، ينشرها، ويبرم بها أسورة يطوق بها الجسد

الذي تحكمه في قوانين القبة العامرة بالنجوم

وتحرك فيه خالا حارقا لا رادع له ولا يستكين.

الغابة مثل عامود ليل مرتعد

والصمت قدح من الفضة تتساقط اللحظات فيه

يسمع أصداءها جلية أزميل حاذق

كابدت دقاته خطوط منحوتة..

بزغ التمثال بغتة، بينما الأجسام امّحت

في الفجر، في الريح، في الشمس، في المطر.

هكذا تولد الأشياء الجميلة التي تمنحنا الطبيعة

ومن يدري كم من نفس في هذا العالم ماتت من أجلها.

ربما ما كان ثعبانا الفراق قد دارا إلا في المخيلة

(الغابة تتلألأ بالطير والغدران والزهور المتفتحة)

لازال بحثهما المتماوج ماضيا

مثل دوران الأفلاك المورث للشجن.

(هـ)

أين راح اليوم ذو الشقين الذي يدل من حالنا؟

ألن يوجد نهر صالح يبحر بنا؟

ألن توجد سماء ينعش نداها

الروح التي تغذت باللوتس وتربت في خدره؟

على صخرة الصبر ننتظر المعجزة

التي تشق السموات وتجعل كل شئ ممكنا

وكما في المأساة القديمة ننتظر البشير

لحظة أن تختفى ورود

الغسق المتفتح ... ياوردة حمراء، وردة الريح والقدر

بقيت نغما عميقا فى الذاكرة

ياوردة الليل، مررت تخطرين، وتخطر قرمزية

تموجات البحر من حولك. كم هو ميسور هذا العالم.

أثينا ٢٩ أكتوبر - ٣٠ ديسمبر

١ـ البئر

الى يورغوس ابوستوليديس

تبينت انه كان على أن أضع مستشفى دون جوان تافيرا على هيئة أنموذج، وليس ذلك فحسب لأنها تكاد تغطي بوابة فيزاجرا، ولكن أيضا لأن قبتها شمخت حتى استحوذت على المدينة كلها. وحين وضعتها كي تبدو كأنموذج ونقلتها من مكانها بدا لي من الأفضل أن أظهر واجهتها بدلا من جوانبها الأخرى. أما موقعها في المدينة فهذا يبين على الخريطة.

دومينيكوس ثيوتوكوبولوس

هنا بذر في التراب موغلة الجذور

جب من الماء الخفي تجمع مثل كنوز

لخطوه في الأعماق على السطح أصداء. والنجوم

بمنأى عن الامتزاج بخفقات قلبه. كل نهار

يطلع، ينفتح نوره ثم ينغلق، ولا يتسنى له لمس أديمه.

العالم من فوقه ينفتح مثل مروحة

يعزف على هبات الريح

إيقاعاً مع الغروب يزول

يرفرف العالم بجناحيه بلا رجاء، ويدق نبضه

عند سفير عذاب عليه مكتوب.

قبة ليلة لا ترحم

وطأت إطارها الهموم، وحومت من حولها الأفراح

وعلى سليلٍ قدر سريع الخطوات

تضئ وجوه، تلمع لحظة

ثم في ظلمة الأبنوس تموت.

وجوه ترحل ! إلى يالوعة الألم المرير
صفوفاً تتدحرج العيون
وعلامات اليوم الكبير
تأخذ بها وتدنيها
من الأرض السوداء التي لا ترجو خلاصا.
ينحني إلى التراب جسد الإنسان
كي يبقى الحب الظمآن
نحتا من الرخام بلمس الأزمان
ويسقط التمثال عاريا في الحضن المعطاء
الذي برفق يهون عليه الأحزان.

- * الحب عن دموع يروى بها ظمأه
تنحني الورود - أرواحنا -
وتسمعنا الطبيعة عبر الأوراق نبضها
يقترب الغسق مثل عابر سبيل
ثم يجيء الليل ومن بعده القبر.

ولكن هذا البذر تغلغلت في التراب جذورها

جب خفي دافئ يختزن

من الأثير أنات الأجساد

معارك الليل والنهار

ويدمو العالم، يمضي لحال سبيله، دون أن يطول البئر بلمسة.

تنقضي الأزمان والشموس والأقمار

بينما البئر تجمدت مثل مرآة مياهه

وراح بعيون مفتوحة يترقب

غرق شطئان البحر الذي يمده بزاده.

وحيداً، وفي قلبه كل هذا الزحام

وحيداً، وفي قلبه كل هذا العناء

وهذا الألم، قطرة قطرة

ينشر شباكه بعيداً

في عالم تمور فيه الحياة بالشقاء.

تحركت الموجة خارجة من المحضن

فهل ينتهي بها المطاف عائدة الى ذات الحضن
وهل منحتنا تلك الموجة قبل أن تتكسر
على الرمل، ولا يبقى منها إلا الزبد،
هل منحتنا الحب؟

انبسط الدفء مثلما من فراء
مطواعا مثل حيوان وسنان
بهدوء تحاشى الخوف
وطرق باب النوم سائلا
عن بستان تمطر فيه الفضة.
جسد مخبوء، صرخة من الأعماق
انطلقت من كهف الموت
مثلما يتدفق الماء في القنوات
وتلمع على العشب منه قطرات
يتحدث وحده إلى الجذور السوداء...

أواه، أنت أقرب إلى جذور حياتنا
من فكرنا ومابنا من قلق!

بل ومن شقيقنا الجهم

الذى ينظر إلينا من تحت جفون مطبقة

بل ومن الحرية التى لا تزال طعنتها فى جنابنا!

أواه، لو أن الصمت الذى يحكم علينا قبضته

لأن جلده على غير انتظار عند لمسه

علنا أيتها الآلهة، ننسى الخطيئة

التى تنمو وتثقل كل يوم منا الكواهل

علّنا نهرب من وطأة الجوع واشتهاء السرقة!

نلملم الجراح

كى نفلت من أوجاعها

نلملم مرارة الجسد

كى نفلت من مرارة الجسد

وتزهر الورود فى دماء جراحنا.

فلتصبح الأشياء من جديد

على ما ألفته فيها الأصابع والعيون والشفاة فى أول أمرها

فلنطرد المرض الذى استبد بها سنين تلو سنين
مثلما تطرح الحيات جلودها
وتخلفها وراءها على العشب الأخضر صفراء شاحبة .

يأيها الحب الطاهر الكبير، يأيتها السكينة الصافية!
ذات ليلة في الدفء النابض بالحياة
انحنيت بتواضع مثل قوس مشدود
مثل جناح أبيض يرفرف على سرب من تحته
مثل راحة يد تربت على الهيكل حانية.

البحر الذى أتى بك حملك بعيدا
إلى أشجار الليمون الزاهرة
الآن وقد استيقظت المنايا برفق
آلاف الوجوه ثلاثية التجاعيد
اتخذت مواقعها فى موكب الجناز المهيب.
حاملات القرابين ينشدن مراثيهن الحزينة
رجاء أن تفسح الطريق لأمل الإنسان
المغروس فى المآقى بألسنة النيران

باعثة الضياء للأرض الضريرة
التي تتفصد عرقا من مجاهدة نيسان.

شموع ولهيب من عالم بعدى
على شرف الربيع الذى تبزغ اليوم بشائره
وأطياف نائحات على أمجادٍ ماتت
خطوات. خطوات.. وصليل جرس وئيد
يفض سلسلة سوداء الحلقات.

«نحن نموت! وآلهتنا تموت!...»
تعرف التماثيل الرخامية ذلك، وهى تطل
مثلما يطل الفجر الأبيض على الضحايا
المختلفة عنها وقد استحالت أكفاناً وحطاما
بينما جموع الموت تمر فى طريقها وتمضى.
....
....
....
....

ابتعدت وولت

دب الدفء فى أوصالها إلى جوار شموع الكنيسة الخفيضة

التى سطرت على جباههم المطرقة

أمارات الحياة العامرة بالفرح ساعة الظهيرة

عندما تنمحى النجوم وينطفئ السحر.

لكن الليل لا يأمل فى الفجر

والحب يمضى حال حياته يتشرنق بالموت

وهكذا البئر، مثل روح حر

يعلمنا الصمت

فى المدينة المشتعلة الأوار.

١٦ـ أسطورة التار

«وإنى لئن كان بى ميل لشىء، فللأرض والحجارة أميل»
آرثور ريمبو

(أ)

الملاك

انتظرناه مترقبين، ثلاث سنوات،

محدقين عن كثب فى أشجار الصنوبر على الشط،

شاخصين إلى النجوم

خالطين بين سكين المحراث وأسفل السفين

كنا   عن البذرة الأولى

كى تعود المأساة القديمة فتبدأ من جديد.

وعدنا آخر النهار من رحلتنا متعبين،

أعضاؤنا، وأفواهنا خرائب

من طعم الملح والصدأ.

وعندما استيقظنا رحلنا نحو الغرب، غرباء

غارقين في ضباب من ريش ناصع البياض،

ريش البجع الذي كان يثخننا بالجراح.

في ليالي الشتاء، كانت ريح الشرق العاتية تذهب بعقولنا

وفي الأصياف، كنا نضيع في عناء نهار

غير قادر أن يلفظ انفاسه الأخيرة.

وأحضرنا معنا

هذه النقوش من فن متواضع.

(ب)

«بكر أخرى في الأغوار.

كان من السهل علينا قديما أن نقتني نحوتا وحليا تدخل البهجة

على أصدقائنا الذين ظلوا لنا مخلصين

الحبال تمزقت

والندوب عند فوهة البئر تذكرنا وحدها بسعادتنا الغابرة.

تحس الأصابع - على حد قول الشاعر - رطوبة الصخر هنيهة.

ومايلبث أن يزحف إليها دفء الجسد، ويسود.

وتلعب البئر بروحها، فتضيع منها لحظة بعد لحظة، وتنضب القطرات، ويعم الصمت الوجود.

(ث)

«تذكّر الحمّامات حيث اغتالوك»

استيقظت وبين يدى هذا الرأس الرخامى

الذى أضنى حمله مرفقى، ولا أعرف أين أضعه.

كان يغرق فى الحلم بينما كنت أستيقظ أنا من الحلم

وهكذا اقترنت حياتى بحياته وأمضى

من الصعب عليهما أن يفترقا.

إنى أنظر فى العينين اللتين ليستا مقفلتين ولا مفتوحتين،

وأتحدث إلى الفم الذى يحاول
على الدوام أن يتكلم، وأمسك بالخدين اللذين برزا عن الجلد.
ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك
لقد اختفت منى يداى، وهاهما تعودان الى مبتورتين.

(٥)

بحارة الأرجو

وإذا أرادت الروح
أن تعرف نفسها
فلتنظر
الى روح مثلها
وفى المرآة رأينا العدو والغريب.

كان الرفاق صبيانا طيبين.
ماكانوا يصرخون من القيظ، ولا من العطش، ولا حتى من
البرد يشكون.

كانوا مثل الموج، والشجر الذى يتقبل الريح والمطر، يتقبل الليل

والشمس، دون أن يتغير مثل مايلحقه التغيير.

كانوا صبيانا طيبين،

تصبّب عرقهم، أياما طوالا، وهم يجدفون خفيضى النظرات،

ويتنفسون فى رتابة، واصطبغت جلودهم المطواعة بحمرة دمائهم.

لقد غنوا مرة، خفيضى النظرات

كان ذلك عندما مررنا بالجزيرة المهجورة ذات أشجار التين البرية،

وكنا الى الغرب متجهين، الى ماوراء أرض الكلاب النابحة.

قالوا إن الروح بالروح تعرف. هذا ماقالوه

وراحت المجاديف تضرب لجة البحر الذهبية

وعند الغروب

مررنا بأكثر من جزيرة وبأكثر من أرخبيل من جزيرة،

البحر يقود الى بحر آخر، حيتان تلو حيتان، ونوارس تلو نوارس.

في بعض الأحيان، بكت نساء تعسات،

على أبنائهن المفقودين كن يذرفن الدمع.

وآخرون اندفعوا عن الإسكندر الأكبر يبحثون،

وعن أمجاد مدفونة في أعماق آسيا

رسونا على شطآن بعطور الليل معبقة،

يشدو فيها الطير، ومياهها تطبع على اليدين ذكريات نشوة كبرى وسعادة،

ولكن الرحلة لم تكتمل.

توحدت أرواحهم بالمجاديف، وبمساندها،

بالوجه الجهم لمقدم السفين

بالشق الذي تحدثه الدفة في اللجة

بالماء الذي ارتعش عليه خيالهم.

مات الرفاق تباعا، بعيون خفيضة.

مجاديفهم على الشط

تشير إلى مكان رقادهم.

لا أحد يذكرهم. الرحمة بهم والعدل.

(ج)

لن تعرفهم

وإن كـان الرجـاء المتـأصـل فـي الأعـمـاق هو القـائـل بأنـنـا عرفناهم في الصبا الباكر

ربما كنا قد رأيناهم مرة أو مرتين ثم بعد ذلك استقلوا السفن، المحملة بالفحم والغلال، وغاب هؤلاء الأصدقاء فيما وراء المحيط الى الأبد.

يطلع علينا الفجر، ونـحن إلى جوار المصباح الكليل، نـخط على الورق بمشقة وبلادة، سفنا وحوريات وقواقع.

وعند الغسق ننزل الى النهر، لأنه يدلنا على الطريق الى البحر.

ثم نمضي الليالي في أقبية تنضح برائحة القار.

تركنا أصدقاؤنا،

وربما لم نكن قد رأيناهم قط. أو ربما رأيناهم عـندمـا كـان النوم لازال يقربنا من أنفـاس الموج، أو ربما كنا نبـحـث عنهم، لأننا نبحث وراء التماثيل عن حياة أخرى.

(ح)

«م. ر.»

البستان بنافوراته تحت المطر، سوف تراه من الشباك الخفيض،

من وراء زجاج غائم تلبدت على أديمه السحب.

وغرفتك غارقة في عتمة لا تضيئها سوى نيران المدفأة،

وومضات برق بعيد تكشف بين الحين والحين، التجاعيد على جبينك، أيها الصديق القديم،.

ذلك البستان، أضحى بين يديك إيقاعاء إيقاع حياة أخرى، تتجاوز التماثيل المهشمة وتتحدى الأعمدة المفجعة الخربة.

ذلك البستان أضحى رقصة على مشارف المحاجر الجديدة، وفي أحضان السواسن وزهور الدفلي.

ذلك البستان انفصل عن أيام حياتك

زجاج معتم فصله ولاشك عن حياتك.

ستتوقف أنفاسك، ويهب من ذاكرتك الغبار وعصارات الشجر

يلطم هذا الشباك الذى تلطمه من العالم الخارجى رخات المطر.

(خ)

ريح الجنوب

باتجاه الغرب يلتقى البحر بسلسلة من الجبال

وعن يسارنا تهب ريح الجنوب،

فتجرد عظامنا من اللحم،

وتورثنا الخبال

ودارنا بين أشجار الصنوبر والخروب...

نوافذه فسيحة، مناضده عريضة

نكتب عليها الرسائل التى مضينا نكتبها إليك

كل هذه الأشهر الأخيرة، ونلقى بها

فى هوة فراقنا كى تتطمر.

يانجمة الفجر، كنت تخفضين لحظيك

فتصبح أوقاتنا أطيب من الزيت

على جرح، وأكثر انعاشا من الماء البارد ينسكب

في الحلق، وأكثر وداعة من جناح البجع.

أخذت حياتنا في راحة يدك

بعد أن أذاقتنا الغربة خبزها المر،

وبالليل، لو بقينا في مواجهة الحائط الأبيض،

يقربنا صوتك مثل رجاوات النار،

ثم تعود هذه الريح تشحذ نصلها الحاد

تمزق به أعصابنا من جديد.

كل منا يكتب إليك الشيء ذاته

وكل منا يلزم الصمت في حضور الآخرين،

ويتابع كل منا العالم ذاته بمفرده.

يتابع النور والظلمة على سلسلة الجبال

ويتابعك أنت أيضا

من ذا الذي سيزيح هذه الأحزان عن قلوبنا؟

هطل مساء الأمس مطر غزير، واليوم

تثقل السماء الملبدة بالغيوم كواهلنا من جديد. وأفكارنا - مثل

إبر الصنوبر المنهمر مع سيول الأمس

المكوم بلا جدوى أمام بابنا ـ أفكارنا هذه
بإمكانها أن تبنى قلعة آيلة للانهيار.

فى هذه القرى المتهالكة
على هذا اللسان الداخل فى البحر، المعرض لريح الجنوب.
وراء تلك السلسلة الممتدة من الجبال أمامنا حيث تختفى
أنت،
منذا الذى سيحسب لنا تكلفة قرارنا بالنسيان؟
من ذا الذى سيرتضى، فى نهاية هذا الخريف ذبائحنا
المحرقة؟

(د)

ماذا تبغى أرواحنا، مرتحلة على أسطح سفن نخرة، منحشرة
بين نساء شاحبات وأطفال باكية، لا مرأى السمك الطيار
قادر أن يسرى عنها، ولا الأنجم التى تومئ إليها قمم
الصوارى، وتكشف عنها سنونها التى تآكلت أطرافها من
فرط احتكاكها بأسطوانات الحواكى.

ماذا تبغى أرواحنا موثقة القيد مرغمة على أسفار طويلة لحج غير ذى وجود، متهتهة بأفكار متكسرة من لغات أخرى؟

ماذا تبغى أرواحنا مرتحلة من ميناء الى ميناء، على حطام من أخشاب السفن المعطلة؟

ناقلة أحجارا مهشمة، متنفسة طراوة أشجار السرو بصعوبة متزايدة كل يوم، سابحة فى مياه هذا البحر وذاك، دون أدنى إحساس بالملامسة، بلا بشر، فى بلد ما عاد لنا ولا عاد لكم.

كنا نعرف أن الجزر الجميلة، فى مكان ما هى من حولنا، هنا، حيث نتسكع، عن كثب، أو على مبعدة قليلة من هنا.

(ذ)

الميناء قديم، ماعدت أستطيع أن أبقى فى انتظار الصديق الذى رحل إلى جزيرة شجر الصنوبر.

ولا الصديق الذى رحل إلى جزيرة شجر الدلب

ولا الصديق الذى رحل إلى رحاب البحر

أربّتُ على خشب المجاديف، وامسح بالمدافع الصدئة

كى تدب الحياة فى جسدى وأقوى على اتخاذ القرار

أما أشرعة السفن فتنضح برائحة الملح من بقايا العاصفة الأخرى.

وإذا كنت قد اخترت أن أبقى وحيدا، فالذى كنت أرجوه هو العزلة،

وليس هذا النوع من الانتظار

الذى تتناثر روحى فيه عند الأفق إرباً إرباً،

خطوطا، وألوانا، وصمتا ممتدا.

تأخذنى نجوم الليل عائدة الى لهفات

اوديسيوس ينتظر بين الزنابق أمواتا

وحين رسونا بين الزنابق، هنا

تمنينا أن نجد حلق الزهرة الذى رأى معاناة ادونيس الجريح.

(و)

بلدنا منغلق على نفسه، كله جبال

تتخذ ليل نهار من السماء الخفيضة غطاء

ليس لدينا أنهار، ليس لدينا آبار، ولا ينابيع لدينا.

بضعة أحواض فحسب لدينا ـ وهي خواء ـ نسمع فيها رجع الصدى، ونقدم من أجلها الدعاء.

صوت راكد أجوف، مثل ما نحن فيه من عزلة،

وما نمارس من حب، وما منحنا من جسد.

يبدو لنا غريبا أنه كان باستطاعتنا فيما مضى

أن نبني بيوتا، وأكواخا، وحظائر لانفسنا.

وأضحت أعراسنا وتبادل الاكاليل الندية والخواتم فيها

غوامض لا يمكن لنا أن نفهمها.

كيف جاء أولادنا الى الحياة، وكيف شبوا عن الطوق أقوياء؟

بلدنا منغلق على نفسه. الصخرتان السوداوان تطبقان عليه.

وعندما ننزل أيام الآحاد الى الموانئ نستنشق بعض النسمات،

نرى، فى ضياء الغسق،

حطاما من أسفار لم تنته قط

مثل اجساد ماعادت تعرف كيف تحب.

(ز)

كانت دماؤك، فى بعض الأحيان، تتجمد مثل القمر

بالليل الذى ليس له انقضاء، دماؤك بأجنحة بيضاء

بسطت أشكال بيوت وشجر على الصخور السوداء

ببصيص نور تسال من سنوات الصبا.

(س)

زجاجة فى اليم

صخور ثلاث، بضع أشجار سرو محترقة، وكنيسة مهجورة.

ثم بعد ذلك

يعود المشهد ذاته مكرورا من جديد

صخور ثلاثة على هيئة بوابة علاها الصدأ،

يضع أشجار سرو محترقة، سوداء وصفراء،

وبيت مربع صغير مدفون في الجير.

ثم يتوالى المشهد ذاته درجة فوق درجة،

ممتدا الى الأفق، صاعدا الى السماء التي كساها الغسق.

هنا، رسا مركبنا لنرمم مجاديفنا المكسورة،

ونشرب ماء، ونرقد لننام.

البحر الذي أشقانا عميق، لم يسبر أحد أغواره، ويبسط من

حولنا سكينة مترامية الأطراف.

هنا، وسط الحصى عثرنا على قطعة من النقود،

فقامرنا بها.

كسبها أصغرنا، واختفى.

ثم أقلعنا بمجاديفنا المكسورة من جديد.

(ش)

دلافين، بيارق، وطلقات مدافع

البحر الذى كان بالنسبة لروحك هما مريرا ذات يوم

أغرق سفناً عديدة، متنوعة الألوان، زاهية الكيان.

اكتسحها، مزقها، تقاذفها، وكلها زرقاء اللون بيضاء الجناح

كان بالنسبة لروحك هما مريراً ذات يوم.

أصبح الآن فى ضياء الشمس، حافلاً بالألوان.

فى ضياء الشمس، أشرعة بيضاء، ومجاديف مغموسة فى الماء

تدق بإيقاع الطبول على لجة ساكنة الامواج.

جميلتان عيناك، لو كانتا تبصران

ذراعاك متوقدتان لو استطعت بسطهما

وشفتاك، ستدب فيهما الحياة، كما ألفنا

إزاء معجزة مثل هذه،

وكانت تبحث عنها

ما الذى كنت تبحث عنه بين الرماد

أو فى المطر والريح والضباب

حتى حينما كانت تعتم الأضواء

وتغوص المدينة فى الظلمات، ومن على البلاط

راح الناصرى يفتح لك قلبه يطلعك عليه،

ما الذى كنت تبحث عنه؟ لماذا لا تجئ؟ ما الذى كنت تبحث عنه؟

(ص)

فى النور، ثلاث حمامات حمراء تنقش فى النور أقدارنا بألوان

وإيماءات لأناس أوليناهم حبنا.

(ض)

لفك النعاس في أوراق خضراء،

ومضيت، مثل شجرة، تتنفس في الضياء الساجية

تأملت وجهك في مياه النبع الصافية:

جفنان مطبقان، أهداب تلمس أديم الماء

لقيت أصابعي في العشب الاخضر أصابعك

احتضنت نبضك لحظة

وأحسست ألم قلبك في موضع آخر.

تحت أشجار الدلب، عند حافة الماء، بين أشجار الغار

هزك النوم، وبعثرك

من حولي، بالقرب مني، دون أن أقوى على لمسك ككل ـ

وفي توحدك بصمتك

ورؤية ظلك ينمو ويتناقص

ويضيع بين الظلال الأخرى، في العالم الآخر

الذى يتركك ترحل، ولكنه في الوقت ذاته يستبقيك.

إن الحياة التى أعطينا لنعيشها عشناها.

الرحمة إذن على أولئك الذين ينتظرون، بكل صبر، أن يحيوا،

ضائعين بين أشجار الغار السوداء، وتحت أشجار الصنوبر الضخمة

وأولئك الذين يتحدثون إلى الينابيع والآبار فى عزلتهم

غرقى في دوامات الصوت.

الرحمة على الرفيق الذى شاركنا الحرمان والعرق

وألقى بنفسه في هجير الشمس، مثل غراب، متجاوزاً أسوار الرخام.

بلا أمل في الاستمتاع بالمكافأة التى ستكون لنا.

ولتكن السكينة، بعد النعاس، ماسوف يعطى لنا.

( )

الاسم أوريست

على الطريق، على الطريق من جديد، على الطريق،
دورة تلو دورة، ولفة دامية تلو لفة،
والناس صفوف سوداء تتابعنى،
مهللة فى حمية الإعجاب بفوزى
وأنا من عربتى ألوح لهم بيدى إيماء لنصرى.

الجياد متى سيغلبها التعب؟ لعابها يصفع وجهى.
العجلات على وشك أن تتكسر، وتحترق، متى ستستعر بألسنة اللهب؟
متى ستتقطع الأعنة، وتطأ الحوافر
ترابا وعشبا لينا، وتستقر بين زروع الخشخاش
الذى فى الربيع، التقطت منه أقحوانة.
كانت عيناك وسيمتين، ولكنك لم تعرف
ولا أنا عرفت بأى اتجاه ننظر. بلا وطن أنا،

أمضي مشاركا في المباريات هذا المرة تلو المرة، ولا أدري

إلى متى؟

وإني لأشعر، على الطريق الوعر، ركبتي تخذلني، فوق

العجلات والعربة

وكم هو سهل أن تخور الأقدام عندما تريد الآلهة لها ذلك.

ما من أحد يمكنه الفرار، ولن تجديك القوة.

لا تستطيع أن تفلت من البحر الذي كان أرجوحتك صغيرا،

وتبحث عنه

هذه اللحظة ذاتها، وأنت في العربة، التي تجرها جياد

لاهثة.

وبين المزامير التي ألفت أن تعزف في الخريف أغاني ليديا.

البحر الذي لا يمكنك أن تجده مهما جريت أشواطا، ومهما

درت ولففت أمام الأومنيد السود.

الملولين

دون أن يغفر لك.

(٠)

استياناكس

الآن وأنت على أهبة الرحيل، خذ معك الصبى،
الصبى الذى رأى تحت شجر الدلب ومضة الضياء
ذات يوم، عندما دوى النفير، ولمع السلاح،
والجياد، منتصبة العرق، تلمست مبللة الخطام
ممدودة الرقاب أديم المياه الخضراء فى الأحواض.

أشجار الزيتون وقد علتها تجاعيد الآباء
الصخور ذات الحكمة، حكمة الآباء
ودماء الشقيقين فى التراب نابضة بالحياة
هذه فرحة حيوية، ونموذج ثرى
للأرواح التى تعرف الصلاة.

الآن، وأنت على أهبة الرحيل، الآن وقد أشرق الفجر،
فجر يوم الحساب، الآن ولا أحد يدرى

من ذا الذي يقتل، وكيف يموت،

خذ معك الصبي الذي رأى الوميض

تحت أوراق شجرة الدلب

وعلمه كيف يدرس أحوال الشجر.

(ع)

حزين أنا.

تركت نهرا عريضا ينساب من بين أصابعي، دون أن أشرب منه قطرة.

ها أنا غارق في الحجر، وما من رفيق في التربة الحمراء سوى شجرة سرو صغيرة.

كل ما أحببت ضاع مع البيوت التي كانت جديدة في الصيف الماضي،

ومع قدوم الريح في الخريف انهارت دعائمها.

الظلال تحت أشجار السرو أضحت ضيقة،

والنسمات التي تهب لم تعد تنعشنا،

ومن حولنا البسيطة كلها تمضى إلى الجبال صاعدة،
ونحن يثقل كواهلنا الأصدقاء الذين ماعادوا يعرفون كيف يموتون.

(غ)

لئن كانت الريح تهب إلا أنها لا تربطنا
والظلال تحت أشجار السرو تبقى ضيقة
وكل ما حولها سفح يصعد الجبل،

هم عبء يثقل كواهلنا
الأصدقاء الذين ما عادوا يعرفون كيف يموتون.

(٭)

فى صدرى ينفتح الجرح من جديد، عندما يضحى النجم من جسدى قريب، وعند مواطئ الأقدام يتردى الصمت المهيب.

الى أين تجرجرني هذه الحجارة غائصة بي في غياهب الزمن؟

ومن ذا الذي يفرغ البحر. البحر. من ماءه؟

كل فجر، موثق الأغلال، على الدوام كما أنا، الى الصخرة التي بالمي كسبتها.. انظر حولي، فأرى الأيدي تلوح للنسور وللصقور، وأرى الأشجار تتنفس سكينة القبور، ومن بعدها، أرى ابتسامات التماثيل التي لا تمضي إلى حال سبيلها.

(٣)

نحن الذين لهذا الحج خرجنا، علقت أنظارنا بالتماثيل المحطمة، ونسينا أنفسنا.

لا تُفْقَدُ الحياةُ بهذه السهولة، وللموت في مساراته عدالة خاصة، وسبل مجهولة.

ومادمنا نموت واقفين، وفي الحجر نصير أخوة، توحد بيننا صلابة الصخر والطينة الرخوة، فقد أفلت الموتى القدامى من الحصار.

بعثوا أحياء من جديد.

ومضوا يبتسمون فى صمت غريب.

(ك)

ولأنه مر أمام عيوننا الكثير

أضحت عيوننا من فرط مارأت وكأنها لم تر فى النهاية شيئاً

ولكن الذاكرة فى الماوراء والمابعد

قطعة من قماش أبيض ذات ليلة منشور

على حافة سور

فأبصرنا رؤى أكثر غرابة، حتى مما تبدو أنت عليه

تمر عابرة وتتلاشى بين أغصان شجرة حريفة الثمار مورقة.

ولأننا نعرف قدرنا هذا حق المعرفة

هائمين بين أحجار مهشمة، ثلاثة أو ستة آلاف من السنين

ننقب بين أنقاض بيوت ربما كانت فى سالف الأوان مآوينا،

محاولين أن نسترجع ذكريات بطولات وتواريخ،

فهل نكون على ذلك قادرين؟

وإذ أحكم وثاقنا، وشتتنا،

وصار عندنا صعوبات، كما قيل، لا وجود لها.

ضعنا ثم وجدنا من جديد طريقا مليئا

بجنود فاقدي الأبصار

يخوضون مستنقعات وبركة ماراثون

فهل سنكون قادرين أن نموت ميتة لائقة؟

(ل)

بعد هنيهة،

سترى أشجار اللوز تزهر،

والرخام في الشمس يلمع

والبحر يتماوج

بعد هنيهة،

فلننهض إذن قليلا مشرئبين إلى أعلى.

(م)

هنا، تنتهي أعمال البحر، أعمال الحب.

أولئك الذين سيحيون يوما هنا حيث انتهينا ـ

لو حدث أن جلل الحزن ذاكرتهم بالسواد

وفاض ـ

عليهم لا ينسوننا، نحن الأرواح الضعيفة الراقدة بين الحشائش،

دعهم يدنون رؤوس الضحايا نحو الظلمة الحالكة:

فنحن الذين لم نكن نملك شيئا سنعلمهم، سنعلمهم السكينة.

ديسمبر ١٩٣٣ ـ ديسمبر ١٩٣٤

١٧ـا و دالعراة (يمنوبيذيا)

تتكون سانتوريني جيولوجيا من الحجر الخفاف والطين الصيني. وقد ظهرت في خليجها، جزر واختفت. وكانت هذه الجزر ذات يوم مركزاً لديانة موغلة في القدم من طقوسها غناء و رقص يؤدى على إيقاع صارم ثقيل، وتسمى: يمنوبيديا «الأولاد العراة»

«الدليل إلى اليونان»

(أ) سانتوريني

انحن لو اسطعت على البحر المظلم ناسيا

صوت الناى على وقع أقدام عارية

وطأت نومك في الحياة الأخرى، الحياة الغارقة.

اكتب لو اسطعت على محارتك الأخيرة
اليوم والاسم والمكان
وألق بها في البحر حتى تغوص هناك غارقة.
وجدنا انفسنا عراة على حجر الشفاف
نرقب الجزر الصاعدة
ونرقب الجزر الحمراء الغارقة
في نومها، ونومنا.
هنا وجدنا أنفسنا عراة، ممسكين
بالميزان الذى رجحت كفة
الظلم فيه.

حب محسوب، قوة مكبوحة، عزيمة بلا شائبة
مشروعات تنضج في شمس الظهيرة،
وطريق القدر تشقه يد شابة
تربت على الكتف.
في البلد المبدد الذى لا يقوى على المقاومة

فى البلد الذى كان ذات يوم بلدنا

تغرق الجزر. وقد أضحت رمادا وعلاها الصدأ.

محاريب مخرّبة

وأصدقاء منسيون

ونخلة ملقى فى الوحل سعفها.

دع يديك، لواسطعت تسافران

مع السفين، هنا عند منحنى الزمان

الذى لامس الأفق

عندما ارتطم النرد بصخر البلاط

عندما ضرب الرمح درع الصدر

عندما [illegible] العين من الغريب

وغاض الحب

من الأرواح التى امتلأت بالثقوب

عندما تتطلع من حولك فترى

حصاد الأقدام فى كل مكان

وأيدى ميتة فى كل مكان

وعيون معتمة فى كل مكان،

عندما لايكون بإمكانك بعد ذلك

وقد تناهى إلى سمعك الصراخ

بل وعواء الذئب، أن تختار

حتى الميتة التى أردتها لنفسك.

ومن حقك أن تختار،

دع يديك تسافران، لو استطعت

وحرر نفسك عندئذ من الزمن الخئون

وارتض الغرق.

يغرق على أى حال من يحمل الأحجار الثقال.

(ب) ميكينيس

اعطنى يديك، اعطنى يديك، اعطنى يديك.

رأيت فى الليل قمة الجبل المسنونة

ورأيت من بعده السهل تغمره

ضياء قمر غير مرئى،

رأيت.وأنا أدير رأسى

حجارة سوداء مكومة

وحياتى بدايةً ونهايةً

مشدودة مثل وتر

وفى اللحظة الأخيرة:

رأيت يدى.

يغرق على أى حال من يحمل الأحجار الثقال،

وقد حملت هذه الأحجار طوال أن كنت قادرا على حملها

وقد أحببت هذه الأحجار طوال أن كنت قادرا على حبها

هذه الأحجار قدرى.

جرحت، وكان جرحى بفعل التراب الذى أنتمى إليه

عذبت، وكان القميص الذى يكسوني أداة تعذيبي
وكنت بهذه الأحجار محكوما على
من آلهتي.
أعرف أنها لا تدرى، ولكن أنا
الذى سلكت العديد من المرات
سلوك القاتل ومن بعده سلوك الضحية
وبعد أن كنت ضحية، تحملت العقاب
وبعد العقاب [illegible] إلى جريمة القتل التالية
متشبثاً
بأرجوان السلطة الذى لا ينضب له معين.
ليلة العودة تلك
عندما بدأت آلهات العقاب هسيسها
في العشب النحيل.
رأيت أفاعي وثعابين تتلاقى
فوق الجبل الشرير وتتعانق
وكان هذا قدرنا.

أصوات من ثنايا النعاس، ومن ثنايا الحجر

أكثر عمقا هنا حيث يظلم الكون،
ذكرى الغناء المندرس في الإيقاع
الذى دقت به على الأرض أقدام
منسية.
أجساد غاصت عارية في
دعامات الزمن الآخر. عيون
مثبتة، شاخصة الى نقطة
لا يمكنك مهما أردت أن تتبينها؛
إلى الروح
التي تناضل من أجل أن تصبح روحك أنت.

ما عاد حتى الصمت الآن لك
هنا حيث كفت عن الدوران أحجار الطاحون.

أكتوبر ١٩٣٥

كراسة التمارين

(١٩٢٨ـ١٩٣٧)

١٨ـ رسا ماثيوس باسكاليس

لن تعرف أبدا ناطحات السحاب في نيويورك

النسمات الرطيبة التي تنزل على كيفيسيا

ولكنني عندما أرى شجرتي السرو تظللان

كنيستك التي تعودت على ارتيادها،

ذات التصاوير عن الكفار

يلقون العذاب في الكبريت والنار

استرجع المدخنتين وراء شجرتي الأرز

اللتين ألفت أن أحبهما وأنا بالخارج غاية الحب.

طوال مارس تنخر داء المفاصل في حقويك البديعين
وفي الصيف ذهبت الى ايذيبسوس.
رباه! ياله من كفاح كي تمضي الحياة، كما لو كانت
نهرا فياضاً يمر من سم الخياط.
حر ثقيل الوطأة حتى هبوط الليل، والنجوم من حولها غبش،
اشرب عصائر الليمون الحمضية، ولا يزايلني مع ذلك
العطش،
قمر، دار خيالة، اطياف، والحان حماسية موبوءة مختنقة.

خربتنا الحياة، يافيرينا، وسماوات آتيكا، والمثقفون يتسلقون
رؤوسهم
والمناظر الطبيعية التي اختزلت
بسبب الجوع والجفاف الى أوضاع مصطنعة
مثل شباب يبيعون أرواحهم كي يلبسوا مونوكلا
ومثل فتيات يرضعن عباد الشمس ليبدو وجههن مثل زنبقة.

تمضي الأيام ببطء، وأيامي تدور بين الساعات الدقاقة،
وتمزق مؤشر الثواني.

تذكرى، كيف كنا نتلوى مبهورى الأنفاس فى الأزقة
حتى لا تبقر السيارات بطوننا بكشافاتها.
استحوذت علينا فكرة الحياة خارج البلاد، وترديتا فيها مثلما
في شبكة.
ورحلنا، يختبئ بداخلنا نصل حاد،
وقلتِ أنت: «هارموديوس واريستوجيتون»
فيريتا، خفضى رأسك كى أراك، رغم أننى
حتى لو كنت سأراك، أريد أن تتجاوزك نظراتى.
ماقيمة الإنسان؟ ما الذى يريده، وكيف سيبرر
وجوده عندما تأتى الحياة الثانية؟
أواه، لو وجدت نفسى على سفينة مهجورة، ضلت طريقها
فى المحيط الهادى، وحيدا مع الريح والبحر.
وحيدا، وبغير وسيلة اتصال أو قوة أحارب بها
الأشباح.

كوكيناراس ٥ أغسطس ١٩٢٨

١٩- بانتوم

تحتفظ النجوم بعالم خاص

وفى البحر تجرجر السفن من ورائها النيران

يا جمرة حزينة تتعبدين فى خشوع

تخلصى أيتها الروح من أغلال الظلام.

فى البحر تجرجر السفن من ورائها النيران

ينكمش الليل، ويضحى مثل الغرباء

ياجمرة حزينة تتعبدين فى خشوع

يا أيتها الروح، تعرفين بأى ناموس ترتبطين.

ينكمش الليل، ويضحى مثل الغرباء
خبا الضياء على الحرير الأسود
ياأيتها الروح، تعرفين بأى ناموس ترتبطين
مايبقى لك، وما تفقدين.

خبا الضياء على الحرير الأسود
ما عاد يسمع سوى رنين أجراس السدين
ما بقى لك وما تفقدين
لو ومضت بالقذائف القلعة الخرساء.

ما عاد يسمع سوى رنين أجراس السدين
شواهد معدنية عند حواف الألم

لو ومضت بالقذائف في القلعة الخرساء
لن تجد من أحلامك حلماً واحداً يذرف دمعة أو يسمع له أنين.

شواهد معدنية عند حواف الألم
تسمق اللحظة مثل شهاب مسنون
لن تجد من أحلامك حلماً واحداً يذرف دمعة أو يسمع له أنين.
بين زحام أفكارك التى تضيق الخناق مثل الثعابين.

تسمق اللحظة مثل شهاب مسنون
ما الذى يرجى لترخى السكينة سدلها؟
بين زحام أفكارك التى تضيق الخناق مثل الثعابين
لافرحة ملاك، ولا سماء هناك.

ما الذى يرجى لترخى السكينة سدلها؟
بين أناس انكبوا على أنفسهم يحصون أحزانهم منغلقين
لا فرحة ملاك، ولا سماء هناك
تحتفظ النجوم بعالم خاص بها.

٢٠. طريق سينجرو، ١٩٣٠

«إلى جورج ليوتوكا الذى اكتشفه»

عندما تتمكن منك ابتسامة الشوق

تلازمك ملازمة الظل، تمارس عليك المغريات

فتتأبى عليها

عندما يزايلك الدوار الذى يخلقه تجوالك بين الكتب، ومن رأسك ينتقل إلى الأشجار حريفة الثمار المغروسة على الجانبين

عندما تغادر السفين المتحجر المبحر الى القاع محطم

السلاسل، متهرئ المبال،

وتترك القنطرة المزهوة بزخارفها الذهبية

والعمدان التي من فرط ماناءت بحمله من هموم ثقال تقاربت محنية.

عندما تخلف وراءك الكيانات التي نحتت بعناية

لأجل رصد المدخلات وتخزين الأموال،

والروح التي مهما فعلت لن تضارع روحك أنت

واليد التي تفرض الجباية

وذلك الوجه الأنثوي الصغير بالمهد الذي يلمع في ضياء الشمس

وعندما تدع قلبك وفكرك يتوحدان

مع النهر الذي يسود، ويتخشب، وترحل أمواجه:

اقطع خيط ارياغني*، وانظر!

سوف ترى الجسد الأزرق لعروس البحر.

---

* ارياغني أو اريادني ابنة مينوس ملك كريت. ساعدت ثيسيوس على قتل المينوطور وحش الجزيرة ومعبودها ثم الأفلات من مكمنه قصر التيه، وذلك بأن أعطته تحت جنح الليل بكرة خيط، أوصته أن يلبتها قرب المدخل و يجتذب الخيط معه كلما أمعن داخلاً في أروقة المتاهة حتى يهتدي بهذا الخيط في العودة بعد انتصاره على المينوطور.

٢١ـ على لحن أجنبى

إلى إيلى، ٢٥ ديسمبر ١٩٣١

محظوظ من قام برحلة أوديسيوس

محظوظ لو أنه عند أهبته للسفر أحس بتجهيزات حب قوى

ينتشر فى بدنه مثل العروق التى ينبض فيها الدم.

حب لا يستنفد إيقاعه، مثل الموسيقى

لا نهاية له ولا غالب.

لأنه ولد عندما ولدنا، وعندما يموت،

لو أنه حقا يموت، فلا أحد ولا حتى نحن لنا بذلك علم.

وإنى أسأل الله أن يساعدنى أن أقول، عند بعض لحظات السعادة الكبرى،

ماهذا الحب،

وإنى أحيانا، عندما أجلس فى الغربة أسمع

همسه البعيد، مثل صوت البحر عندما يصفعه إعصار لا تفسير له.

ومرة، تلو مرة يظهر أمامى طيف اوديسيوس.

وقد احمرت عيناه من ملح الأمواج،

ومن شوقه المستعرأن يعود فيرى الدخان

يتصاعد من مدفأة بيته، ويلقى كلبه الذى تقدمت به السن

ينتظر عند الباب عودته.

رجل مهيب، يهمس من ثنايا لحيته بكلمات

بلغتنا كما كان يَتَحَدَّثُ بها منذ ثلاثة آلاف عام

يمد الرجل راحة يد اخشنت من تأثير الحبال وذراع الدفة

وقد تجعد جلده بفعل ريح الشمال، وبفعل الحر والثلوج.

بداكما لو كان يريد أن يطرد عنا السيلكوب

المارد الجبار ذا العين الواحدة،

وسكيلا وخاريفذى السيرينيتين اللتين ما إن تسمعهما حتى
تقع فى قبضة النسيان
ويالها من غيلان معقدة تلك التى تحول دون أن تذكر أنه
هو بدوره كان رجلا يصارع فى الدنيا الروح والجسد.

إنه اوديسيوس القدير، الذى أشار بصنع الجواد الخشبى الذى
بفضله احتل الأخيون طروادة
ويخيل لى أنه قادم ليخبرنى كيف ابنى جوادا خشبيا لأحتل
بدورى طروادتى.
لأنه يتكلم بهدوء وتواضع، وبلا تكلف
كما لو كان أبى
أو واحدا من البحارة العجائز الذين فى أيام صباى، ألفوا
وهم متكئون على شباكهم عند مقدم الشتاء، والريح تشرع
فى الغضب،
ألفوا أن ينشدوا، دامعى العيون، أغنية ايروكريتوس، فتسرى
الرجفة فى منامى، للمصير الجائر الذى لقيته اريتوسا نازلة
السلم الرخامى.

يحدثنى عن خشونة الألم الذى تحس به عندما تنتفخ أشرعة السفين بالذكرى وتضحى روحك دفة،

وتكون وحيداء فى ظلمة الليل، لا حول لك ولا قوة مثل قش على أرض جرن

ترى بعين مريرة رفاقك تخطفهم الاشباح، ويتبددون، واحداً تلو آخر.

وبمعاناة تحقق حوارا مع الموتى، فماعاد الأحياء يكفون لحوارك.

يحدثنى... ولازلت أرى يديه اللتين تحكمان خبير الحكم على نقش الحورية على مقدمة السفين

تهديان إلى البحر الأزرق بلا أمواج فى قلب الشتاء.

٢٢- "عشرة مقطوعات" قصيرة

(١)

اسكب فى البحيرة

قطرة من النبيذ

وتختفى الشمس.

(٢)

فى الحقل، ولا حتى

نوارة رباعية الأوراق

من هو الملوم من الثلاثة؟

(٣)

في حديقة المتحف

مقاعد خالية:

عادت التماثيل

إلى المتحف الآخر.

(٤)

أكان ذاك صوت

أصدقائنا الموتى

أم كان صوت الحاكي؟

(٥)

أصابعها

على المنديل الأزرق

انظر: مرجان.

(٦)

شاردا الفكر

ثدياها

في المرآة، ثقيلان.

(٧)

مرة أخرى، ارتديت

أوراق الشجر

ها أنا أسمع ثغاءك

(٨)

فى الليل، الريح

ينشر الفراق

ويتماوج.

(٩)

قدر جديد

أيتها المرأة العارية

الرمانة التى انكسرت

كانت مليئة بالنجوم.

(١٠)

أحمل الآن

فراشة ميتة

بغير تجميل.

(١١)

كيف يمكنك أن تلملم

الآن حطام

هذه الأشخاص كلها؟

(١٢)

خط ملاحى عقيم

ما العيب فى الدقة؟

المركب يخط على الماء دوائر

وما من نورس واحد.

(١٣)

إيرينية مريضة

ليس لها عيون،

الثعابين التى تحملها

تنهش يديها.

(١٤)

هذا العمود مثقوب:

ترى، هل تُبصِر

برسيفون؟

(١٥)

الوجود يفرق:
تماسك، سيتركك
فى الشمس وحيدا.

(١٦)

تكتب
يتناقص الحبر
ويعلو البحر.

٢٣- الجسد

هذا الجسد الذى آمل أن يزهر مثل غصن،
أن يحمل ثمارا، ويصبح فى الصقيع نايا،
أوقعه الخيال فى خلية نحل طنانة،
فإذا جاءت ساعة النغم سامته عذابا.

٢٤ـ هـروب

لم يكن حبنا سوى هذا:

يغادرنا ثم يعود إلينا جالباً

جفنا نائي البعاد خفيضا

ابتسامة رخامية ضائعة

في عشب الصباح

محارة غريبة، حاولت أرواحنا

بإصرار تفسيرها.

لم يكن حبنا سوى هذا: في صمت

يتسلل بين الأشياء المحيطة بنا،

يفسر لماذا نأبى

بكل هذا المماس

أن نموت.

وإذا كان كل منا قد أحاط بخصر الآخر

وتعانقنا بكل ما أوتينا من قوة

وخلطنا أنفاسنا بأنفاس ذلك الآخر

وأغمضنا عيوننا

فلم يكن ذلك سوى هذا:

مجرد التوق العميق إلى التماسك

ونحن نواصل الهرب.

٢. وصف

مضت تقترب بعينيها الغائمتين من تلك اليد المنحوتة

اليد التى أمسكت مقود السفين

اليد التى أمسكت القلم

اليد التى انبسطت فى وجه الريح.

وقد أضحى كل شئ الآن يهدد صمتها.

من شجرة الصنوبر تسرى نحو البحر ارتعاشة

تلهو بأنفاس النسيم المطواعة

وتستوقف الصخرتان السوداوان مسيرتها.

فتحت قلبي وأخذت نفسا عميقا!

على أديم البحر ارتجفت الجزة الذهبية.

اللون لونها، والارتجافة ارتجافتها، والجلد أيضا جلدها

والخطوط في كفي اخاديد جبالها عند الافق

فتحت قلبي

المفعم بالتصاوير، فاختفت توا بذرة بروتيوس

هنا نظرت الى القمر

المخضب بدماء

ذبية فتية.

سبيتسيس - أغسطس ٣٤

٢٦ـ سيروكو ٧ ليفانتى

الى د. أ. الدونيو

أشياء غيرت صورتنا

أعمق من الفكر،

غاصت في حرارة منتصف النهار

فيما وراء الصوارى

بين السلاسل والأوامر

لا أحد يذكر.

الأيام الخوالى،

والأجسام، والألم، والمتع، والليالى
ومرارة العرى الإنسانى المنسحق
يمانى ومطأة أشجار الفلفل فى دروب مترية
وغير ذلك من المغريات ومن الرموز العديدة
بل على الغصن الأخير
فى ظل السفين الكبير
تضحى الذاكرة ظلا بدورها.

الأيدى التى لمستنا ليست أيدينا، فقط
عندما تظلم الورود، بأعمق الأعماق،
يهب إيقاع الجنادب فى ظل الجبل
فيتبلل فى الليل صمتنا
نازلا إلى البحر فى رقاده.

وفى ظل السفين الكبير
عندما دوى من رافعة المرساة الصفير
تركت الرخاوة للصيارفة وتجار العملة.

بيليون ١٩ أغسطس ١٩٣٥

٢٧ـ على طريقة ج. س.

أينما رحلت وحللت، اليونان تجرحني

في بيليون بين أشجار القسطل، انزلق
قميص السينطور من ثنايا الاوراق ليطبق على جسدي
أثناء تسلقي المنحدر، وفي أعقابي يجيء
البحر صاعدا بدوره مثل الزئبق في ميزان الحرارة
حتى وجدنا ينابيع الجبل.
في سنتوريني وأنا أطأ جزرا على وشك الغرق

وأسمع عزف مزمار من مكان ما على الحجر الخفاف

سمرت يدي على حافة السفين

بسهم أطلق فجأة

من تخوم صبا غربت شمسه.

في ميكينيس لمست الأحجار الكبيرة وكنوز بيت أتريوس

وأخذتها تنام معي في فندق «هيلين الجميلة»

ولم تختف هذه الكنوز والأحجار إلا عند الفجر، عندما صاحت كاسندراء

وقد تدلى من حلقها الأسود ديك.

في سيتسيس، وبوروس، وميكونوس

ملأتني أغاني سائقي القوارب بالسقم.

ماذا يريد كل أولئك الذين يخيل إليهم

أنهم في أثينا أوبايريوس؟

يأتي شخص من سلاميس ويسأل شخصا آخر عما إذا كان «قادماً من ميدان اومونيا؟»

فيجيب الآخر، راضيا «كلا، من سينداغما» ويضيف قائلاً:

«التقيت بيانيس، فدعاني لتناول الآيس كريم»

وفي الوقت ذاته ترحل اليونان وتغيب.

ونحن لا نعرف من الحقيقة شيئا، لا نعرف أن كلنا بحارة عاطلون

لا نعرف كم يضحي الميناء حزينا عندما تكون

كل السفن قد رحلت عنه

بل ونسخر من أولئك الذين فعلا يعرفون.

يالهم من أناس غريبي الأطوار! يقولون إنهم في اتيكي

ولكنهم حقاً في لامكان

يشترون حبات اللوز المُسكّرةكي يمن عليهم بالزواج

يحملون مقويات للشعر، ويسمحون بالتقاط صورهم

الرجل الذي رأيته اليوم جالسا أمام خلفية من الحمام والزهور

طلب إلى المصور العجوز أن يلطف من التجاعيد

التي تركتها على وجهه

كل الطيور في السماء.

وفى الأثناء ذاتها، تمضى اليونان راحلة، على الدوام راحلة
وإذا رأينا «فى طحالب اليم موتى عالقين»
فسوف يكون هؤلاء ممن سبحوا فى أعقاب المركب الكبير
محاولين اللحاق به
هؤلاء الذين ضجروا من انتظار السفن التى لا تستطيع الحراك
«ألسى» و«ساموثراكى» و«امفراكيكوس».
تصفر السفن الآن وقد نزلت على بايريوس عتمة الغسق
تصفر وتصفر، ولكن ما من رافعة تتحرك.
وما من سلاسل بليلة تلمع فى الضوء المتلاشى،
ويقف القبطان بسترته البيضاء المذهبة مثل حجر رخامى.

أينما رحلت وحللت، اليونان تجرحنى،
ستائر من جبال، وجزر، وجرانيت عار.
السفينة التى على وشك الأقلاع اسمها «اختصار ۹۳۷»

فى انتظار الإبحار. صيف ١٩٣٦

٢٨ـ العجوز

مرت أفواج عديدة، وركاب عديدون، منهم الفقير

ومنهم الغني. البعض وفدوا

من قرى بعيدة وامضوا الليل في خنادق على جانبي الطريق

موقدين نيرانا تحسبا للذئاب: هل ترى

الرماد؟ دوائر مندملة ضاربة للسواد.

هو مليئ بالندوب مثل الطريق.

وفي البئر الجاف بأعلى الجبل ألقوا الكلاب

المسعورة. ليس له عينان، ومليئ هو

بالندوب. تهب الريح خفيفة

فلا يميز شيئا، ويعرف كل شئ

عش جنادب خال بشجرة جوفاء

ليس له عينان، ولا حتى يبصر بيديه يعرف الفجر وغسق المساء، يعرف النجوم، ولكن من دمائها لا يقتات. لا هو من الأحياء ولا هو من الأموات.

لا ينتمي إلى جنس، وليس له أسلاف،

لن يموت، سيدركه النسيان فحسب.

الأظافر المتعبة في يديه

تحفر صلبانا على ذكريات تعفنت،

بينما تهب ريح معتمة. ويتساقط الثلج.

رأيت الصقيع يحوط الوجوه

رأيت حبات الدموع تجمدت

في أركان العيون، والشفاه مبللة،

رأيت الخط الذى يرسمه الألم عند أرنبتى الانف،

والجهد عند جذور اليد، ورأيت الجسد يدرك نهايته.

ليس وحده، هذا الشبح المحنى على عود جاف لاينثنى.

وهو لا يذهب للرقاد. فهذا أمر ليس بالمستطاع

فلو نام لبعثرت مفاصله لعبا بين

أيدى الأطفال

إنه يصدر الأوامر مثل الأغصان الميتة التي تتكسر

عندما يهبط الليل وتستيقظ

الريح فى الوهاد.

يصدر الأوامر إلى ظلال الرجال، وليس إلى الذين لفهم

الظلام

الذين لا يسمعون سوى الأصوات الخفيضة

للأرض والبحر هناك حيث تختلط

بصوت الأقدار. يقف مشدود القوام

على الشطئان، وسط أكوام العظام

وسط أكداس من أوراق الشجر الصفراء:

القفص الخالى الذى ينتظر

ساعة إضرام النار.

دريتوفو، فبراير ١٩٣٧

السيد ستراتيس لاسينوس

«وكان على أهبة الصباح ليدلل على
أنـــه لـــم يمـــت بـعـــــده

سولوموس - امرأة زاكينثوس

٢٩- خمس قصائد للسيد س. لاسينوس

ا- هامستيد

يهبط المساء،

مثل طائر مكسور الجناح،

مثل طائر غير قادر على احتمال العواصف والرياح

سافر سنوات وسنوات في خضم الأنواء.

على العشب الأخضر،

رقص طوال النهار ثلاثة آلاف ملاك،

تبدو في عريها مثل رقائق الصلب.

وإذ يهبط المساء شاحب الضياء،

تلملم الملائكة

أجنحتها، وتتخذ

هيئة كلب

ملتس

ينبح

في العزلة، يبحث عن سيده، عن اليوم الآخر، أو عن عظمة.

• حذفت من الترجمة العربية الصرخات التي كانت تطلقها آلهات الغضب (اسخيلوس - الاومينيدس - ١٤٣) على أثر استثارتها أو إيقاظها من نومها في معبد أبو للون في دلفي بمعرفة كليتميسترا واستحثاثها لها على مواصلة مطاردتها لاوريست.

أتوق الآن إلى قليل من السكينة.

أريد كوخا فحسب، على تل أو قرب البحر.

وعلى نافذتي، أريد ستاراً غمس في ماء الزهر، مبسوطا

هناك يرفرف مثل البحر.

أريد في إنائي قرنفلة، ولو كانت صناعية من ورق أحمر

لف على سلك، حتى يتسلى للريح

ان يتحكم فيها قدر ما يشاء، وييسر.

ثم يأتي الليل، ويتردد ثغاء القطعان نازلة الى حظائرها

مثل خاطرة على غاية من البساطة والبهجة تفد الى الذهن.

ولسوف أهجع الى النوم، لأنني لا أجد شمعة أوقدها،

أقرأ على ضوئها شيئاً.

ب-سيكولوجي

هذا السيد،

يأخذ حمامه كل صباح في مياه البحر الميت.

ثم يلبس ابتسامة حريفة، لزوم الأعمال ولقاء العملاء.

ج ـ كل شئ إلى مضاء

نسينا جدلنا البطولى مع الأوميليديس،

ورحنا في النوم، فاعتقدوا أننا أموات فلاذوا

بالفرار صائحين، لاعنين الآلهة التى تضفى علينا الحماية.

د ـ نيران القديس يوحنا

قدرنا رصاص مراق، وليس بالإمكان تغييره

ليس بالإمكان عمل شئ

أراقوا الرصاص تحت الماء فى ضوء النجوم

ولتشتعل النيران.

إذا وقفت عند منتصف الليل عاريا أمام مرآة، سوف ترى

رجلا يتحرك في أغوار المرآة.

إنه الرجل الذى نصبه القدر ليتحكم فى جسدك

ساعات العزلة والصمت، إنه إذن رجل

العزلة والصمت

ولتشتعل النيران.

حين ينتهي يوم ولا يكون اليوم التالى

قد بدأ

حين يكف الزمن عن الدوران ويظل معلقا

عليك أن تجد الرجل الذى كان منذ البداية، ولايزال

يتحكم فى جسدك

عليك أن تَجِدَه

عليك أن تجد فى البحث عنه، حتى يعثر عليه

غيرك بعد موتك على الأقل.

الأولاد هم الذين يشعلون النيران، ويتصايحون فى هذه الليلة الحارة

أمام ألسنة اللهب

(وهل كانت ثمة نار لم يشعلها أولاد، ياهيروستراتوس)

يلقون فيها حبات الملح، فتفرقع ألسنة اللهب

(وكم تباغتنا بالنظر إلينا دهشة تلك البيوت التى هى بوتقة البشر،

عندما تربت عليها ملاطفة انعكاسات اللهب)

ولكنك، أنت يامن عرفت جمال الحجر

عندما غسلت الأمواج صخرة البحر

فى أمسية عمها السكون

سمعت من بعيد الصوت الأسيان،

صوت الصمت وعزلة الإنسان

فى جسدك سرى الصوت

تلك الليلة، ليلة القديس يوحنا،

صوت الصمت وعزلة الإنسان

عندما خبت النيران كلها

وانكببت في ضوء النجوم

تقلب الرماد.

- نيجينسكي*

ظهر وأنا أحملق في جمرات الفحم المتقدة في مدفأتي . كـان يمسك بين يديه صندوقا كبيرا من أعواد الكبريت عرضه علي كما يخرج حاو بيضة من أنف شخص يجلس في المقعد المجاور. أشعل عودا من الثقاب وأحرق الصندوق، واختفى وراء لهب ضخم ثم عاد فمثل أمامي. أذكر ابتسامته القرمزية، وعينيه الزجاجيتين. وفي الشارع ، مضى أرغول يكرر النغمة ذاتها. لا أعرف كيف أصف ملبسه، ولكنه ظل يذكرني بشجرة سرو أرجوانية. وبالتدريج، بدأت ذراعاه تنفصلان عن جسمه المشدود، وتشكلان صليبا. من أين جاء كل هذا الطير؟ كان الأمر كما لو كان قد خبأها تحت جناحيه. طارت ببلادة، بجلون، بعنف، متخبطة بحوائط

* نيجنسكي فنان روسي الأصل وذاع صيته كراقص مبدع.

الغرفة الضيقة، وأشرعة النوافذ، ثم غطت الأرض كما لو كانت جريحة. أحسست بطبقة دافئة من الزغب والخفقان عند قدمي. حدقت اليه، فاستبدت بجسدي حمى غريبة مثل تيار يسري فيه. وعندما فرغ من رفع ذراعيه، وصارت كل كف من كفيه ملتصقة بالآخرى، قفز قفزة مفاجئة، كما لو كان زنبرك ساعة قد انكسر أمامي. دق السقف، فدوى بصوت صناجة. مد ذراعه اليمنى، وأمسك بسلك المصباح، وأتى حركة خفيفة، ثم استكان، وبعد ذلك بدأ يؤدي بجسمه منظر حرف ثمانية في الظلام. شعرت، وأنا أشاهده، بالدوار فغطيت وجهي بكلتا يدي، نافضا الظلمة عن جفني، بينما مضى الأرغول يكرر النغمة ذاتها ثم توقف بعد ذلك فجأة. لفحتني ريح ثلجية مباغتة، وأحسست خدرا يتسلل الى ساقي. وسمعت الآن أيضا صوت ناي مخملي خفيض، أعقبته توا دقات رتيبة ثقيلة. فتحت عيني، ورأيته من جديد، واقفا على أطراف أصابع قدميه فوق كرة بللورية وسط الغرفة، وفي فمه ناي غريب أخضر راح يجري أصابعه عليه، وكأنه بآلاف من الأصابع يعزف. عادت الطير الآن الى الحياة من جديد، وبنظام فريد، نهضت، امتزجت، وتشكلت في موكب رحيب رحابة ذراعي المنبسطين، ومضت خارجة الى الليل من خلال النافذة التي كانت موارية، وعندما خبت آخر رفرفة جناحين، ولم تبق سوى رائحة صيد زخمة، قررت أن أنظر إلى وجهه فلم يكن هناك وجه. فوق الجسم الارجواني، الذي بدا وكأنه بلا رأس، ازدهى قناع فضي، من النوع الذي وجد في مقابر

المكيليين، بلحية مدببة تمتد الى أسفل حتى العنق. حاولت النهوض، ولكن ما إن هممت باتيان أول حركة سمرني في مكاني هدير طوفان مكتسح، مثل دقات طبول انهمرت فجأة في مسيرة جنزية. كان القناع ينهار. ظهر وجهه كما رأيته في البداية ـ العينان، الابتسامة، وشئ لاحظته الآن لأول مرة: بدا جلده الأبيض وكأنه مشدود بمشبكين أسودين، ثبتا عند الفودين. حاول أن يقفز، لكنه لم يعد الآن مستكملا لرشاقته التي كانت له من قبل، بل اعتقد أنه تعثر أيضا في كتاب وقع في طريقه مصادفة، وركع على ركبة واحدة. وكان بامكاني الآن أن أراقبه بعناية. رأيت مسام جلده تنضح بحبات نفيسة من العرق. تسلط على شئ مثل انبهار الأنفاس. حاولت أن اكتشف لماذا بدت عيناه بمثل هذه الغرابة. أغمضهما، وبدأ ينهض، ولكن لابد أن الأمر كان صعبا للغاية، لأنه بدا كما لو كان يركز كل قواه لذلك الغرض دون أن يكون قادرا أن يفعل شيئا، بل إنه ركع الآن على ركبته الأخرى أيضا. بدا الجلد الأبيض على غاية من الشحوب مثل عاج أصفر، وشعره الأسود موات. وعلى الرغم من أنني كنت أعاين نضالا ممضا، داخلني إحساس بأنني أصبحت أفضل عن ذي قبل، وأنني انتصرت على شئ.

وقبل أن ألتقط أنفاسي، رأيته، وقد سقط الآن مسجى على الأرض، يغوص في بجودا* خضراء مرسومة على سجادتي.

٣٠ـ السيد ستراتيس سينوس ـ ٠ إنسانًا

(أ)

ولكن ما خطب ذلك الإنسان؟

طوال بعد الظهيرة (أمس، وقبيل أمس، واليوم)

ظل جالسا هناك يحدق فى جذوة نار.

اصطدم بى فى المساء بينما كان ينزل درجات السلم

وقال لى:

«يموت الجسد، يُعكّر الماء

والروح تتردد

وتنسى الريح، وهى تنسى على الدوام

أما النار فلا تتبدل من حال إلى حال»

ثم أردف يقول:

«تعرف أننى أحب امرأة، ربما تكون قد رحلت الى العالم السفلى

وليس ذلك مايجعلنى أبدو وحيدا الى هذا الحد.

إننى أحاول أن أتماسك من خلال جذوة نار، لأن النار

لا تتبدل من حال إلى حال»

ثم مضى فأخبرنى بقصة حياته.

(ب)

عندما بدأت أشب عن الطوق عذبتنى الأشجار.

ما الذى جعل الابتسامة تعلو شفتيك؟ هل كنت تفكر فى الربيع،

الذى يقسو على الصبيان؟

كنت شغوفا بالأوراق الخضراء

وأخال أنى تعلمت القليل الذى تعلمته بالمدرسة لمجرد أن

ورقة النشاف على تختتى كانت بدورها خضراء.

ولقد كانت جذور الأشجار هى التى عذبتنى عندما كانت

في دفء الشتاء تجئ لتلتف حول جسدي.

لم تكن لي في صباي أحلام غير تلك.

وهكذا تعرفت على جسدي.

(ج)

في الصيف السادس عشر من عمري، تردد في أذني صوت غريب يغني.

أتذكر. كان ذلك عند البحر، بين شباك حمراء على الشط،

قرب جمجمة وقارب مهجور على الرمل

حاولت أن ازداد اقترابا

من هذا الصوت، واضعا أذني لصق الرمل.

ولكن كان بالمساء نجم يهوى

ولكأنها المرة الأولى التي أرى فيها نجما يهوى

وعلى شفتي من الأمواج مذاق الملح.

ومنذ تلك الليلة، ماعادت جذور الأشجار تأتي

وفي اليوم التالي، تفتحت في ذهني رحلة، ثم عادت

فانغلقت مثل صفحة مصورة في كتاب.

وفكرت أن أنزل إلى الشاطئ كل مساء

كي أكسب خبرة قبل نزولي إلى البحر

وفي اليوم الثالث، أحببت فتاة من ساكنات التل تقطن كوخا

صغيرا أبيض، مثل كنيسة ريفية.

عند الشباك

أصيص من الريحان

وآخر من القرنفل

وتجلس أمها العجوز هناك، مستغرقة على الدوام في الصمت،

تضع على عينيها نظارة وتنكب على شغل الابرة.

كان اسمها على ما أعتقد فاسو، أو فروسو، او بيليو،

وبسببها نسيت البحر.

وذات يوم في أكتوبر، وكان من أيام الاثنين

وجدت جرة مهشمة أمام الكوخ الأبيض

وبعد هنيهة، طلعت فاسو

في ثوب أسود، محمرة العينين، شعثاء الشعر.

سألتها فقالت:

ماتت، لأننا ـ على حد قول الطبيب ـ لم نذبح ديكا أسود

عندما أرسينا دعائم البيت

وأنى لنا، بالديكة السوداء هنا... وليس لدينا سوى قطعان

الماشية البيضاء.. والطير يباع منزوع الريش فى الأسواق.

لم أتصور أن يبلغ الحزن والموت هذا الشأو

ورحلت الى البحر، فى تلك الليلة على ظهر السفين

حلمت بشجرة تذرف الدمع، شجرة زيتون طاعنة فى السن.

(ﻫ)

أبحرت عاما مع القبطان أوديسيوس

وكنت على مايرام

فى الأصياف أجلس بمقدمة السفين

أتابع السمك الطّيار

الى جوار عروس البحار

وأغنى لشفتيها الحمراوين

فاذا ما جاءت العواصف لذت بالعنابر

وانزويت في ركن دفين بصحبة الكلب الأمين

مستمداً لنفسي الدفء من مرقده السخين.

وذات صباح في أخريات العام لاحت مآذن،

وأخبرني رفيق الرحلة:

هذه هناك آيا صوفيا. سآخذك إلى النساء الليلة

وهكذا عرفت تلك النسوة، أو تلك اللاتي

وقع عليهن اختياره

وكن لا يرتدين سوى الجوارب من دون الثياب.

كان المكان غريباً،

بستانا يحيطه سور ثبتت على امتداد حافته العليا

شظايا الزجاج

يضم شجرتي جوز وعريشة وبئراً

وميزابا يغني عن «نهر الحياة» أغنية

ثم رأيت لأول مرة قلبا

يرسم على الحائط بالطباشير

يخترقه السهم المألوف.

ورأيت أوراق الكرمة

ساقطة على الأرض شاحبة صفراء

ملتصقة على البلاط بالطين الرخيص.

أقفلت عائدا الى السفين

فأمسك رفيق الرحلة بخناقى، وألقى بى فى البحر،

ماء دافئ وإحساس زاخر بالحياة حول الجلد...

ثم حدثتنى الفتاة، وهى تداعب ثديها الأيمن بلا اكتراث قائلة:

«أنا من رودس زوجونى فى الثالثة عشرة من العمر، لقاء دريهمات محدودة»

وغنى النهر أغنيته...

وتذكرت الجرة المهشمة فى الأمسية رطيبة النسمات،

وتعكرت:

«ستموت بدورها. ترى كيف ستموت؟»

واكتفيت بأن أقول لها:

«كونى حريصة. ستتلفينه. وهو حياتك»

وعلى ظهر السفين، ذلك المساء،

لم أقو على الاقتراب من عروس البحر

كنت خجلا من أن أرفع فى وجهها عينى.

(هـ)

ومنذ ذلك الحين، استجدت أمام ناظري مشاهد كثيرة: سهول خضراء، التحمت فيها السموات بالتراب واختلط فيها البشر بالبذور في رطوبة لاتقاوم، أشجار دلب وشوح، بحيرات بادية التجاعيد، وبجع خالد أخرس - مشاهد أبان لي عنها رفيقي، ذلك الممثل الجوال، عن طيب خاطر، وهو ينفخ في مزماره الطويل، الذي أصاب من فرط استعماله، شفتيه بالتلف، وخرب بصرير نغماته كل ما اجتهدت أن ابنيه، مثلما فعل النفخ في نفير أريحا. وكان من ضمن ما رأيت أيضا لوحة قديمة في غرفة خفيضة المسقف، تجمع حولها نفر غفير من الناس راحوا يتأملونها باعجاب. كانت اللوحة تصور إقامة لعازر من الأموات. وماعدت أذكر أين مكان السيد المسيح فيها أو لعازر، وانما اذكر فحسب، امارات التقزز التي ارتسمت على شخص بأحد الاركان، وهو يحملق في المعجزة، كما لو كان يشم زخمها، ويحاول أن يصده عن أنفاسه بالدثار الفضفاض الذي لف به وجهه. وقد علمني هذا السيد من عصر النهضة ألا أتوقع الكثير من الحياة الثانية.

قالوا لنا بالخضوع تحققون الانتصار

وخضعنا، فلقينا الرماد

قالوا لنا بالحب تحققون الانتصار

وأحببنا، فلقينا رماد

قالوا لنا بالتخلي عن الحياة تحققون الانتصار

وتخلينا عن الحياة، فلقينا الرماد.

لقينا رمادا تلو رماد. ويبقى بعد ذلك أن نستكشف حياتنا من جديد، الآن ولم يبق لنا منها شئ. وإنى أتصور أن ذلك الذى سيكتشف كنه الحياة من جديد على الرغم من كل هذه الاوراق، والانفعالات، والمجادلات والتعاليم، سيكون واحدا مثلنا، كل ما فى الأمر أنه سيتمتع بذاكرة اكثر ضراوة من الذاكرات التى لنا.

نحن لا نذكر، للأسف، الا ما أعطيناه، أما هو فسوف يذكر كل ماكسبه من خبرات. مالذى يمكن لشعلة النار أن تذكره؟ لو تذكر الشعلة أقل ولو بقليل مما هو لازم لاشتعالها، فانها تنطفئ. ولو تذكر اكثر ولو بقليل، فإنها أيضا تنطفئ. وددت لو نتعلم من النار حال اشتعالها حسن التذكر. وقد خلصت الى نتيجة: لو أمكن لغيرى أن يبدأ من حيث انتهيت أنا، فسوف يكون هذا أمرا حسنا. هناك أوقات

ينتابني فيها شعور بأنني بلغت خاتمة مطاف، وان كل شئ أصبح في مكانه جاهزا لأن تغنيه معا بانسجام. وان الآلهة ذاتها على أهبة التحرك، بل أكاد أتخيل أنها تتحرك فعلا، وقد دبت فيها الحياة، مثل كينونة بالغة الجدة. على انه لازال هناك شئ، لازالت هناك عقبة متناهية في الصغر، حبة رمل تتضاءل لكنها غير قادرة على الانمّحاء . لا أعرف ماذا على أن أقول أو ماذا على أن أفعل. في بعض الأحيان، تبدو لي تلك العقبة مثل قطرة دمع محشورة في ثنايا مفصل من مفاصل اوركسترا تفرض عليه الصمت الى أن تتبدد. وينتابني احساس لا يطاق بأن كل مايبقى من حياتي لن يكفي لتذويب تلك القطرة في بوتقة روحي، وينتابني هاجس بأنهم لو أحرقوني حيا، فان هذه اللحظة المتأبية سوف تكون آخر مايستسلم مني.

من ذا الذي سيمد لنا يد العون؟ ذات مرة، عندما كنت لاأزال بحارا في ظهيرة يوم من أيام يونيه، وجدت نفسي وحيدا على جزيرة، عاجزا عن الحركة تحت وطأة الشمس . وراحت نسمات من ريح شمالية رطيبة تجلب الى ذهني أفكارا رقيقة. ثم جاءت امرأة شابة في ثوب شفاف يبرز خطوط جسمها الرشيق المستنفر مثل جسد غزال، وجاء بصحبتها رجل صامت، يحدق في عينيها عبر الخطوات

القليلة التي تفصل بينهما. جاءا وجلسا على مقربة مني، كانت تناديه باسم جيم. تحدثا لغة لم أفهمها، ولكن كلماتها كانت أثيرية، وتشابكت نظراتهما في سكون نظراتها المنبعثة من عيون مطموسة. أفكر فيهما على الدوام، لأنهما الشخصان الوحيدان اللذان لم تكن لهما تلك النظرة النهمة والمسكونة بالأرواح الشريرة التي رأيتها في عيون غيرهما من الناس، تلك النظرة التي تضع أصحابها أما في زمرة الذئاب أو ضمن قطيع الحملان. ثم التقيت بهما في اليوم ذاته من جديد، بإحدى تلك الكنائس الصغيرة المنتشرة في أرجاء الجزيرة، التي تصادفك ولا تلبث أن تنساها ما إن تخطو خارجا منها. كانا لايزالان يمشيان متباعدين بضع خطوات. ثم مالبثا أن تقاربا وتبادلا القبلات. عتمت صورة المرأة وسرعان ما اختفت، اذ كانت صغيرة القد. وإني أتساءل عما اذا كانا قد عرفا كيف يفلتان من الشراك التي ينصبها العالم لأمثالهما.

آن الأوان أن أنصرف. أعرف شجرة صنوبر تطل على البحر. تزود الجسد المتعب في الظهيرة بظل محسوب مثلما هي محسوبة حياتنا. وفي المساء تغنى الريح في مرورها عبر أشواكها أغنية غريبة الشأن مثل أرواح تخطت الموت، لحظة البدء في الصيرورة بشرة وشفتين من جديد.

وقد أمضيت الليل ذات مرة ساهرا تحت تلك الشجرة، ونهضت عند الفجر نشطاً، كما لو كنت حجراً قطعوه من المحجر تواً.

أواه، لو استطاع المرء أن يحيا على الأقل هكذا، لكن الأمر في الحقيقة لا يعني شيئاً.

لندن - ٥ يونيه ١٩٣٢

٣١ ـ تعليقات على أسبوع

«زهور نرجس إنجليزية نامية»

الاثنين

بين حنايا العشب ينام النسيان

جمهرة من الناس العميان وحنايا

سوده صقيع الفجر

(أذكر شتاء آخر

ضمه دفء المستنبت،

وكفل له كفايته من الحياة)*

وسائدهم، آلاتهم الخربة،

وحواكيهم المتحشرجة، ونایاتهم المليئة بالثقوب

واراغيتهم الجاثية على الركاب،

أمي ميتة؟

ليس بمقدورك ان تفرق بسهولة بين ميت وأعمى لا يحرك ساكنا،

في بعض الأحيان تعود احلامهم الى الحياة، لهذا اقول انهم نيام،

على البيوت من حولي تلوح ثياب ملائكة من رخام

النهر لا يمضي في جريانه، فقد نسي مكان البحر

ومع ذلك فالبحر موجود، ومنذا الذي يستطيع من المياه ان يفرغه؟

العميان ينامون

وتجري في عروقهم ملائكة عارية

ترشف دماءهم، وتجعل منهم حكماء

ويمضي القلب بعينيه الهائلتين يحسب

متى سينضب ماؤه.

أنظُر الى النهر

هبات خفيفة مباغتة تمر تحت الشمس الواهنة

ولاشئ غير ذلك، النهر بالانتظار

الحسرة على من يمضون فى الانتظار.

لا شئ غير ذلك، وهذا يكفى اليوم.

الثلا ء

(نزلت الى مصح سان جيمس)

(موال)

ضللت الطريق فى خضم المدينة

يجثم على البساتين مصح

دون خوان تانيرا.

الشوارع متشحة بالاعلانات.

وكل مار يسير دون أن يدرى

ما اذا كان يبدأ المسيرة أو كان منها قد انتهى

ما اذا كان ذاهبا إلى أمه أو إلى عشيقته أو

إلى ابنته الصغيرة

ما اذا كان ذاهبا ليدين أو ليلقى الديونة

ما إذا كان سيهرب، أو كان بالفعل قد هرب،

هو لايدرى من أمره شيئا.

في كل ركن متجر للحاكيات

بكل متجر من الحكايات مائة

وعلى كل اسطوانة

يعزف حى مع ميت.

خذ إبرة الصلب وحاول إن اسطعت

أن تفرق بينهما.

ولكن أى شاعر هذا، هل تذكر أى شاعر كان

الذى جرب إبرة الصلب

فى ثنايا جمجمة الانسان؟أتذكر الليلة أغنيته تلك ؟

أذكر أنه طلب منا قرصا مسكنا للصداع

كانت عيناه تدوران في محجرين أسودين

كان شاحبا، وعلى جبينه حفر خطان ممتدان

من التجاعيد الغائرة

لكن ترى أكنت أنت هو؟ أم كنت أنا؟

أم كانت انتيجون الصامتة ذات الكتفين

المتهدلين على صدرها؟

وكنت قد استبقيتها عندي عشر ليال
وكانت تبكي على ابنها فجر كل صباح
أذكر أنني بحثت عن صيدلية
وكانت الصيدليات مغلقة، ولا أذكر لمن كنت أبحث عن الدواء.

ضللت طريقي في خضم المدينة
ما من أحد سينقل نزلاء المصح الذي يغص بالأطفال المعوقين الذين
إليّ أو إلى آخرين ورائي مضوا يومئون.
روائح أدوية تثقل الهواء
تتعانق وتمتزج
بعوادم سيارات متجهة
إلى نزهات خلوية بأزواج من العشاق شقر الوجوه
أشبه بشخوص بروزا فانيلية
بهتت على اللوحات قسماتها.

عام ٢٣ ماتت
في حمامها النجمة ليلي ريميلي

وجدوها غارقة فى الحوض
ولم يكن الماء بالحوض قد برد بعد
بينما كانت بالأمس القريب
تنظر الى بعينيها الحاويتين، في دار الخيالة.

ا ربعاء

«الليالى البيضاء يقضيها المرء فى حلم ممتد بين النوم واليقظة»

- لماذا لا يجيئ الليل؟
- انظر من فضلك لعل القمر الجديد فى مكان ما قد طلع.
- ينظر إليك الجميع ليروا ماذا ستفعل
وأنت تنظر إلى الجموع التى تتطلع اليك
تستوعب الأنظار إطارا ضيقا
ليس بإمكانها أن تتجاوزه.
فإذا ولد أحد اتسع الإطار
واذا مات أحد ضاق
كل قليل قدره قليل

وكلما قلت العيون قل ماتبصره

ولهذا القانون الهندسى تخضع الحواس الأخرى الأربع.

لوكان الحب يسودنا لانكسر الإطار

ولأغمضنا الجفون لحظة ورأينا الكثير

لكننا على الحب لسنا بقادرين.

كانت عيناك جميلتين، ولكن بأنظارك لم تكن تعرف إلى أين تتجه

وعندما قلت بدأت الظلمة تزحف فلننصرف،

والتفت نحوى وصوبت عينيك إلى عينى، طار

خفاش راسما فى طيرانه مثلثات..

وعاد صوت الحاكى من جديد.

والآن، تزداد

مثلثات الخفافيش حصاراً لنا، كلما فتحت جناحيها وطارت

من إنسان إلى إنسان، إلى إنسان،

لافكاك لأحد

ولئن كانت الحياة ثرية فلأننا كثيرون

وكلنا متماثلون

ولئن كانت الحياة ثرية فلأننا وجدنا لدى الآخرين،

وإن اضمحلت فينا الحواس، آلات أكثر إتقاناً

يأيها الأخوة، تشاركنا فى اللقمة والألم،

فلا عاد أحد يعانى الجوع، ولا عاد أحد يعانى الألم.

وتساوت قاماتنا جميعا. انظروا إلينا!

إننا ننظر إليكم! ونحن أيضا! ونحن! ونحن!

وليس ثمة حاجة إلى أكثر من ذلك.

ـ لكن البحر

لا أعرف أن أحدا استوعبه بعد.

الخميس

رأيتها تموت أكثر من مرة.

تارة كانت تبكى بين ذراعى

وتارة بين ذراعى غريب

وتارة وحيدة، عارية،

هكذا عاشت بجوارى.

أعرف الآن الأشيَ أبعد من ذلك

وأنتظر.

ولئن حزنت، فهذا من الشئون الخاصة،

مثل المشاعر إزاء توافه الأمور

التى، كما يقولون، تجاوزناها

ومع ذلك، لازلت حزينا لأننى

لم أصبح بدورى (ما وددت أنا أكون)

مثل العشب الذى سمعته ينبت

ذات ليلة بالقرب من شجرة صنوبر،

ولأننى لم أقتف أثر البحر

ذات ليلة أخرى انحسرت فيها عن الشطئان مياه الجَزْر

راشفة مرارتها بلا شكاية

بل ولم أدرك وأنا أتحسس مخلفات الطحالب التى لازال يقطر منها البلل،

كم يبقى فى حوزة البشر من كرامة.

خطر لى كل ذلك ببطء ومضاء

مثل الشاحنات باهتة الأسماء:

«هيلين اسبارطة»، «تيرانوس»، «جلوريا موندي»

وهي تمر تحت الجسور، الى ما وراء المداخن

يسوق كل منها رجلان انكبا محنيين،

واحد من الأمام والآخر من الخلف

عاريين حتى الوسط.

الحملان جعدة الصوف دائبة الاجترار تكادح تلوح فحسب

ولاحتى القمر فوق النهر المنتظر يبين.

سبع رماح انطلقت وسقطت في لجة الماء

التي لم تتلوث بالدماء، ولم تحرك ساكنا.

وعلى البلاط الذي تنعكس عليه أضواء شجنية

عند سفح القلعة العوراء

يلوح، مرسوما بأقلام حمراء وصفراء،

الناصري كاشفا عن جراحه صائحة

«لا تلق بقلبك الى الكلاب.

لا تلق بقلبك الى الكلاب»

وتغوص الأصوات اذ تدق الساعة،

عن مشيئتك بحثت. لتكن مشيئتك.

* هكذا كانت تصيح آلهات العقاب

الجمعة

ومنذ ذلك الحين كم من مرة خطرت أمام ناظرى امرأة لم يبق منها سوى الشعر والصدر والعينين، جلية على الأمواج مبحرة، والهواء الرطيب مثل دم أزرق يسرى دوّارا معها.

السبت

- ولم أنس شيئا

كل شئ فى مكانه، رتب بنظام، فى انتظار

اليد كى تختار.

فقط، لم أستطع العثور على سنوات الصبا

ولا أين ولد البطل

ولا الانطباعات الأولى

التى يستحضر ذكراها فى الفصل الخامس

عند ذروة المأساة،

أما كل ماعدا ذلك، فها هوذا، مرتب على التوالى:

الأقنعة للانفعالات الثلاثة الرئيسية،

وأيضا تلك التي للوسيطة،

ملابس الممثلين ذات الطيات على أهبة التماوج،

الستائر، الأضواء،

ولدا ميديا المقتولان

السم والسكين.

في ذلك الصندوق هناك الحياة عندما تبدأ في أن تصير لاتطاق:

إذا قربت أذنك منه سوف تسمع الأنفاس،

حذارى أن تفتحه قبل أن تصفر الآلهات الضاريات.

في ذلك الإناء الزجاجي سوف تجد عشق الجسد

وفي الإناء الآخر - ذي اللون الأزرق - عشق الروح.

تأكد ألا يختلط عليك الأمر.

وفي ذلك الدرج قميص نيسو

(الفصل الخامس، المشهد الثالث)

تذكر الكلام الذي يبدأ بهذا:

«كفانا حياة! آيوه! آيوه! *»

وهنا البوق الذي يدك القصر بنفيره

كاشفاً عن الملكة في اثمها

وذلك مفتاح مكبرات الصوت.

سوف يسمعونك بأقاصى الأرض.

فلنبدأ. إضاءة! بالتوفيق!»

ـ «لحظة واحدة، بأى دور سأقوم من ذا الذى سأقتله؟

وهؤلاء القوم الذين يتطلعون الى.

ما الذى سيجعلهم ـ "ون أن العدالة تحميني؟

ما الذى سيجعلهم يعتقدون أنها فى صفى؟

أواه، لو استطعنا فحسب أن نحب

ليس مثل الحمام

بل مثل النحل على الأقل نحب

ليس مثل حوريات البحر

بل مثل الأصداف على الأقل نحب. ليس مثل أشجار الدلب

بل مثل النمل، من القلب نحب...

ولكن أفلا تراهم، لايبصرون!

العميان يغطون فى النوم...»

ـ «رائع. بإمكانك أن تستمر»

أحد

جوادان ثقيلان وعربة بطيئة، أو شئ من هذا القبيل،

فى الطريق خارج نافذتى: هذا الضجيج.

تماثيل مقطوعة الزطراف، من على عريشة لازالت تنظر إلى.

أراها، وسرعان ما سيحل الظلام

ماوزن التماثيل؟

أفَضَلُّ قطرة دم على زجاجة حبر.

لندن، صيف ٩٣٢

رسوم سري للصيف

٣٢ـ كلمة عن الصيف

عدنا الى الخريف من جديد، ويبقى

الصيف مثل دفتر تمارين، تعبنا من الكتابة فيه،

حافل بالموضوعات المشطوبة، والرسوم المجردة،

وفي الهوامش علامات استفهام ـ عدنا

إلى فصل العيون الشاخصة

في المرآة تحت أضواء الكهرباء،

والشفاة المطبقة، والقوم الغرباء

في الغرف، في الشوارع، تحت الأشجار الواطئة

بينما تذبح أنوار السيارات الكاشفة

آلافا من الأقنعة الشاحبة.

عدنا، ونحن على الدوام نخطط للعودة،

إلى العزلة ،إلى قبضة التراب، إلى الأيدي الخاوية.

ومع ذلك، ألفت ذات يوم أن أحب سيتجرو

الطريق الرحيب المزدوج، الصاعد النازل

الآخذ بنا، إلى البحر، وذلك أشبه بالمعجزة.

البحر اللانهائي، لنتطهر من آثامنا.

وقد ألفت أن أحب بعضاً من الناس غير المعروفين

الذين ألتقي بهم آخر النهار على غير انتظار

يكلمون أنفسهم مثل ربابنة سفن عسكرية غارقة

مما يشهد بأن العالم جد رحيب.

ومع ذلك ألفت أن أحب هذه الطرقات، وهذه الأعمدة، هنا

رغم أنني ولدت على الشاطئ الآخر، قريبا من

أحراش بوص وغاب، من جزر

يتدفق فيها الماء على الرمل ليروى

عطش السمك بالمجداف، رغم انني ولدت

على مقربة من البحر الذى أطويه وأقصه بين أصابعى،
عندما يدركنى التعب ـ فلا أعود أعرف أين ولدت.

لازال الصيف، العطر الأصفر باقياً،
ويداك تلمسان فى الماء قناديل
تنفتح عيناك فجأة، وهما أول عينين تنفتحان على الوجود وكهوف البحر،
وقدماك على التربة الحمراء عاريان يخطوان.
لازال الصيف، تلك الصبوة الرخامية الشقراء باقياً
ولا زال قليل من الملح بعد المطر باقيا فى تجويف صخرة أدركه الجفاف
ويضع إبر من الصنوبر
حمراء مبعثرة مثل شباك صيد ممزقة.

لا أفهم هذه الوجوه، لا أفهمها.
تتظاهر أحيانا بالموت، ثم تعود
فتصنع بحياة خفيضة مثل اليراع

بعناء، بلا رجاء،

محشورة بين تجعيدتين

بين منضدتي مقهى ملطختين.

تقتتل، تتضاءل،

تلصق، مثل طوابع البريد على زجاج النوافذ.

سحناً من أسباط أخرى.

سرنا معاً، تقاسمنا الخبز والنوم

وذقنا مرارة الفراق ذاتها

بنينا بيوتنا بما كان لدينا من حجارة

صعدنا الى السفن، عرفنا المنفى، وعدنا

لنجد نساءنا بالانتظار

وما عادت إلا بصعوبة تعرفنا. لاأحد يعرفنا.

قلد الرفاق تماثيل، تشبهوا

بمقاعد الخريف الخالية. شوه

الصحاب وجوههم. ماعدت اعرفهم.

لازال الصيف، تلك الصحراء الصفراء، باقياً

وتنحسر أمواج الرمال حتى اخر دوائرها

دقات طبلة، بلا رحمة، بلا نهاية،

عيون ملتهبة تغوص في الشمس

يدان تشقان السماء مثلما الطير

تؤديان التحية لموتى اصطفت في وضع انتباه

ضائعتان عند نقطة تجاوزت سيطرتي، وصارت تحكمني:

يداك اللتان تلمسان الموجة الحرة.

خريف ١٩٣٦

٣٣ ـ الغطاس، ١٩٣٧

البحر المزهر والجبال في ضوء القمر الشاحب
الحجر الكبير بجوار شجيرات التين والزنابق
والجرة التي أيت زن يصب ماؤها عند نهاية النهار
والسرير المطوى بجوار أشجار السرو وشعرك
الذهبي، والنجوم السواطع.

احتفظت بها، احتفظت بحياتي كلها جوابا
بين أشجار صفراء تحت رخات المطر
على منحدرات صامتة بأوراق من أشجار الزان محملة

أوشكت الدنيا على الاظلام، فلا نار موقدة على القمم

احتفظ بحياتي. على يدك اليسرى خط من جرح مندمل

وعند ركبتك ندبة.

ترى ألا زال لهم وجود على رمال الصيف الماضى

أتراهم باقون حيث عصفت رياح الشمال كما أسمع

صوتاً غريباً وافداً من حول البحيرة المتجمدة.

الوجوه التى أراها لاتسأل أسئلة، ولا المرأة التى

تنحنى فى سيرها ترضع طفلها.

أتسلق الجبال، وأنزل وهادا قاتمة السواد، ويمتد

السهل المغطى بالثلوج على مرمى البصر، ولا سؤال.

حتى الزمن المحبوس فى كنائس مهجورة،

والأيدى الممتدة فى استجداء، والدروب، لا تسأل عن شئ.

بقيت مسيطرا على حياتى، هامسا فى الصمت اللامحدود

همسات مثل أنفاس شجرة السرو فى تلك الليلة.

مثل الصوت الإنسانى لبحر الليل يسرى على الحصى

مثل ذكرى صوتك وأنت تقولين «سعادة»

ما عدت أعرف كيف أتحدث، ولا كيف أفكر

أغمض عينى باحثا عن مكان اللقاء السرى للمياه

وتحت الجليد، عن ابتسامة البحر، والينابيع المكنونة

متلمسا بعروقى تلك العروق التى تهرب منى

هناك حيث تنتهى زنابق الماء، متلمّسا ذلك الإنسان

الذى يسير عبر الثلوج فى صمت وبلا إبصار.

بقيت مسيطرا على حياتي، باحثا معه عن الماء

الذى يمسك منه.

قطرات غزيرة على وجهك النضر مثل أوراق خضراء

فى الحديقة الخالية، قطرات تتساقط فى حوض نافورة راكدة المياه

فترتطم ببجعة ترقد ميتة مكومة بين جناحيها ناصعى البياض

هناك حيث الأشجار أحياء، وعيناك تحملقان.

هذا الطريق ليس له نهاية، ولا خلاص منه، ومهما حاولت جاهدا أن تستعيد سنوات صباك، وأولئك الذين رحلوا، أولئك الذين يرقدون فى قبور البحر صائمين.

ومهما حاولت جاهدا أن تسأل الاجساد التى ذات يوم أحببتها أن تطل عليك من تحت أشجار الدلب غليظة الأغصان.

هناك حيث وقف عاريا بلا حراك شعاع شمس

وارتعد قلبك عند قفزة كلب،

الطريق لاخلاص منه، وقد بقيت على حياتى مسيطرا

ليس هناك سوى الجليد

والماء المتجمد فى آثار حوافر الجياد.

٣٤-الغراب

في ذكرى ادجار آلان بو

سنوات مثل أجنحة. ما الذي يتذكره الغراب ساكن الحراك؟
ما الذي يتذكره الموتى عند جذور الشجر؟
كانت يداك في لون تفاحة على أهبة السقوط،
وذاك الصوت يعود ويعود خفيضا من جديد.

أولئك الذين يسافرون مبحرين يراقبون الشراع والنجوم
يسمعون الريح، يسمعون البحر الآخر فيما وراء الريح
مثلما في محارة مصمتة بالقرب منهم. لا يسمعون
شيئا سواه، ولا يبحثون بين ظلال السرو

عن وجه ضائع، عن درهم، ولا يتساءلون إذ يرون
غرابا على غصن جاف ما الذي يذكره الغراب.
يجثم فوق ساعات حياتي،
مثل روح تمثال بلا عينين، ضرير،
وقد تجمع بأعماق ذلك الطائر حشد من الناس كبير
آلاف من البشر المنسيين، تجاعيد مطمورة
ومعانقات تهدمت، وضحكات لم تكتمل
وأعمال محجور عليها، ومحطات في الصمت غارقة
رذاذ من مطر ذهبي في نوم عميق.
لا يحرك الطائر ساكنا. يحملق في ساعاتي. ما الذي يذكره؟
بأعماق أولئك البشر بداخله جراح كثيرة،
وعواطف موقوفة تنتظر البعث
ورغبات متواضعة تلتصق بتراب الأرض
أطفال قتلى ونساء أنهكها التعب عند الفجر.
هل ناء الغصن الجاف بحمله، هل ناءت بحملها
جذور الشجرة التي علاها الاصفرار، وكواهل أناس آخرين،
غاصت في الأرض

كياناتهم الغريبة،

دون أن تجرؤ على المساس بقطرة ماء؟

ترى، هل ثقل الحمل في مكان ما؟

كان ليديك ثقل مثلما ليدين تحت الماء

في كهوف البحر، ثقل خفيف بلا عناء

ثقل الحركة التي نزيح بها البحر صوب الجزر، صوب الأفق،

ثقل الحركة التي نأتيها أحيانا لنطرد عنا فكرة شوهاء.

ثقل الحقل في أعقاب المطر،

ما الذي تذكره الشعلة السوداء

في مواجهة السماء الرمادية

محصورة بين الإنسان وذكرى الإنسان

بين الجرح واليد التي سددت طعنتها النجلاء

أظلم الحقل، جفّت الأمطار وسكن الهواء

ما عادت أنفاسي تكفي

من ذا الذي سيعود فيحرك النسمات؟

في خضم الذكريات. صدر مذعور

إنفراجة بين ظلال تكافح كى تصبح رجلاً وامرأة من جديد
حياة راكدة من نعاسٍ وموت.

سعت يداك على الدوام نحو رقاد البحر
تلاطفان الحلم الذى يصعده العنكبوت الذهبى برفق
إلى ضياء الشمس جالباً جمهرة من النجوم
والأجفان المطبقة والأجنحة المطوية

كوريتزا، شتاء ١٩٣٧

٣ـ زهور الحجر

يازهور الصخر تواجهين خضرة البحر

عروقك ذكرتني بمحبات أخر

وأنت تلمعين تحت الوئيد من رذاذ المطر

يازهور الصخر، ياأشكالا

جاءت عندما كف الكلام، وكلمتني

ثم بعد الصمت تركتني

وسط أشجار السرو والأرز والبلوط

تركتني ألمسها.

٣٦ـ الماء الدافئ

الماء الدافئ يذكرني كل صباح

بأنه ليس لي شئ غيره حي بالقرب مني.

٣٧-مرثية

كانت الجمرات في الضباب

ورودا في قلبك مغروسة

بينما الرماد يغطي وجهك

كل صباح.

رحلت منذ صيف مضى

وأنت تقطف من شجر البلوط ظلال.

٣٨ـ بين لحظتين مريرتين

لا يتسنى لك بين لحظتين مريرتين

حتى أن تلتقط أنفاسك.

بين وجهك ووجهك الآخر

يلوح وجه صبي وينمحي.

٣٩ - فى الكهوف البحرية*

فى كهوف البحر
هناك عطش، هناك حب
فى كهوف البحر نشوة
كل شئ صلب هناك مثل القواقع
بإمكانك أن تمسكها فى راحتك.

فى كهوف البحر
حدقت فى عينيك أياما طوالا
ولم أعرفك، ولا أنت عرفتنى.

٤٠ـ كف بحثًا

كف بحثًا عن البحر وأمواج الجزة،

التي تدفع بالمراكب ...

تحت السماء، نحن أسماك، والشجر طحالب.

مذكرات على سطح سفين (١)

انا باقون في هذا الوضع بانتظار الأوامر

من دفاتر السفن

وفي هذه الأثناء، يبدو لي في كثير من
الأحيان أن الأفضل أن تروح في النوم من
أن تكون هكذا بلا رفيق.

وان تبقى على هذا الحال طويلا، وما
الذى يمكنك عمله أو قوله في هذه
الاثناء؟

لا أدرى. وما الجدوى من الشعراء في
وقت يكون فيه الانشغال الروحى
شحيحا؟

فريدريك هولدرلين «الخبز والنبيذ»

٤١ـ ماثيوس باسكاليس بين الورود

ثابرت على التدخين هذا الصباح

فلو كففت سوف تحاصرني الورود بالعناق

وبأشواكها وأوراقها المتساقطة ستضيق على الخناق

انها تنمو باعوجاج، لكل منها اللون الوردي ذاته

وكلها تمضي تتفرس فيما حولها،متوقعة أن تلمح مارا

على مقربة منها، ولا أحد يمر.

من وراء غليوني أراقبها على سيقانها المتهالكة

ولا يفوح منها أريج.

في الحياة الأخرى، قالت لي امرأة: «يمكنك أن تلمس هذه

اليد، وهذ الوردة لك، يمكنك أن تأخذها وقتما شئت هي لك،

الآن أو فيما بعد»

أنزل الدرجات، ولازلت أدخن

- وتتبعني الورود بانفعال

وفي مسلكها شئ من ذلك الصوت الذي يسمع

عند جذور صرخة، يشرع بها المرء في الهتاف قائلا:

«أماه» أو «النجدة»

أو الذي يسمع عند صيحات الحب الصغيرة البيضاء.

حديقة صغيرة حافلة بالورود

بضع ياردات تتبعني نازلا الدرجات، مخلفا السماء ورائي

وخالتها تقول: «أنتيجون، نسيت تدريباتك اليوم»

في سنك لم أرتد أحزمة البطن، لم يكن ذلك مألوفاً في

زماني»

كانت خالتها مخلوقا نحيلاً، نافر العروق

تغطى التجاعيد ما حول أذنيها، ولها انف على أهبة أن يلفظ الحياة.

ولكن كلماتها كانت على الدوام حافلة بالحكمة.

ذات يوم، رأيتها تلمس نهد انتيجون

مثل غلام صغير يسرق تفاحة.

هل من المحتمل ان ألقى المرأة العجوز فى طريقى الآن نازلا؟

قالت لى وأنا أرحل: «من يدرى متى سوف نلتقى من جديد؟»

ثم قرأت نعيها فى صحف قديمة

كما قرأت عن زواج انتيجون، وزواج ابنة انتيجون

دون أن تنتهى الدرجات، ولا ينضب فى غليونى التبغ

الذى يترك على شفتى مذاق مركب مسكون

صلبت الى عجلة قيادته عروس بحر عندما كانت لاتزال تتمتع بالجمال.

«كوريتسا، [illegible] ٣٧»

٤٢-صباح خريفى جميل

من أجل السيدة دونونكو

ها أنت ترين فى النهاية أننى أحب هذه الجبال فى هذه الضياء

تجعد جلدها مثل بطن فيل

تقدم به العمر وانكمشت عيناه

ها انت ترين أننى أحب أشجار الحور هذه، على قلتها

منها الطوال مثل الجنج ومنها القصار مثل النوسك

وهى تقف فى الشمس مرفوعة الأكتاف.

الصيف يعرف المنجل، والشتاء يعرف الفأس

تتكرر الأشياء ذاتها، وتتكرر الحركات

من الأجسام ذاتها، إذا نفضت عنها الخمول.

ماذا يقول المؤذن من أعلى المئذنة؟ انتبهى.

بعينيه يحتضن شرفة قريبة يطل عليها

وفي الشرفة صبية شقراء كلها اباء

تلوح بيديها الورديتين الصغيرتين في وجه السماء

ولا تلبث كل من الشرفة والمئذنة أن تميل نحو الأخرى

مثلما يميل برج بيزا في مكانه

ولا تعودين تسمعين سوى همسات، وهى ليست همسات مياه أو نسمات أو حفيف أوراق على شجر، بل هى همهمات صلاة لم تألفها أسماعنا.

ثم يعلو صياح الديك الأشقر

أواه، أيتها الروح سموت بحبك إلى القمم العالية!

ها أنت ترين أننى في النهاية أحب هذه الجبال

بكل تجاعيدها من حولى مثل قطيع عجوز من الخراف

هل فكر أحد أن يقرأ لأحد الجبال طالعه كما يقرأ الكف عراف؟

هل فكر أحد فى ذلك؟ ... يالتلك الفكرة الملحة

المقفلة في صندوق خواء، تدق الجدران الورقية

بعناد وبلا انقطاع

مثل فأر طوال الليل يقرض الأرض الخشبية.

الأجساد نفضت عنها الخمول، أواه يا من سموت إلى القمم العالية. ها أنت ترين أنني أحب

حتى ذلك الثور الذي يتهادى في السهل المقدوني، بأناة،

وبلا عجلة، كما لو كان يعرف أن بلوغ القصد من المحال،

ويذكرنا بالمحارب الروماني الشجاع ذي الرأس الشامخ في كبرياء

«الذي تبدله هو بدوره الأقدار في نهاية المطاف»

كورتيسا، ١٩٣٧

٤٣.بياتزا سان نيكولو

لعدة سنوات، ألفت أن أنام مبكرا

البيت

ملئ بشبابيك مشغولة من حديد، وتنعدم فيه الثقة عندما تفحص عن كثب أركانه المظلمة.

كان يهمس قائلاً «لعدة سنوات، ألفت أن أنام مبكرا»

«كنت أرنو الى لوحتي ايلاس و المجدلية

قبل أن أقول طابت ليلتكم. أرنو الى الضوء الابيض

للشمعدان الكبير.

الى المعدن اللامع

وكان من الصعب على أن أخلف ورائى الأصوات فى ختام اليوم،

البيت، عندما تتفحص حلياته المعمارية العتيقة عن كثب،

تدب اليقظة في أرجائه: خطوات أمٍّ على درجات السلم

يد ترتب الاغطية أو تثبت الناموسية

شفتان تطفئان ذبالة القنديل.

قصة قديمة كل هذا، وماعاد يكترث بها أحد:

جمدنا قلوبنا، وشببنا عن الطوق.

لا تنزل نسمات الجبل الرطيبة الى ما هو ادنى من برج الجرس

الذى يحصى الساعات المنقضية مناجياً نفسه. وهذا ما كنا نراه

عندما نأتى إلى الفناء فى المساء

العمة دارنا ديميتروفنا بنت تروفيموفيتش.

لا تلمس نسمات الجبل الرطيبة القبضة الراسخة للقديس نيقولا

ولاتنزل إلى الصيدلى الذى يلوح من وراء غبش أحمر أخضر،

مثلما من عبارة تحجرت.

كى تتلقى نسمة الجبل الرطيب عليك أن تصعد متجاوزاً قبضة القديس

وبرج الجرس.

بارتفاع ما يقرب من ٧٠ أو ٨٠ متراً، وليس هذا فى الحق بكثير.

فهناك سوف تهمس، كما كنت تفعل عند ذهابك إلى الفراش مبكراً،

ليس بالكثير من الكلمات على أى حال،

وفى نومك الميسّر بأعلى الجبل سوف تزول عنك مرارة الفراق

كلمة أو كلمتين فحسب، وفى هذا الكفاية

مادام الماء يتدفق، ولا خوف من نضوبه

تهمس مسنداً رأسك على كتف صديق

كما لو لم تكن قد شببت في البيت الصامت

مع وجوه أضحت ثقيلة وجعلت منا غرباء متوجسين.

ولكن هناك، بأعلى برج الأجراس بقليل

تتغير حياتك

ليس بالأمر الجسيم أن تتسلق صاعداً، ولكن من أشق الأمور بالنسبة لك أن يلحقك التغيير

عندما يكون مأواك الكنيسة الحجرية وقلبك في البيت الذي يزحف عليه الظلام

وكل الأبواب موصدة بيد القديس نيقولا الضخمة.

بيليون - كورتيزا - صيف - خريف ١٩٣٧

٤٤ـ شمسنا

هذه الشمس كانت لي ولك، كانت شركة بيننا.

مثلنا الذي يتعذب خلف الحرير الذهبي، مثلنا الذي يموت؟

امرأة تلطم ثدييها الضامرين صرخت تقول «جبناء.

اخذوا ابنائي ومزقوهم اربا اربا، انتم

قتلتموهم، إذ انصرفتم تحملقون في اليراع عند الغسق بنظرة مستغربة

تائهين في أفكاركم ولا ترون،

كان الدم يجف على يد عكست عليها شجرة ظلالا خضراء،

يد محارب ينام ممسكا برمح إلى جانبه يلمع نصله فى مضاء.

كانت هذه الشمس شمسنا، ولم نر شيئا خلف النقاب المطرز بالذهب

ثم جاء الرسل، لاهثى الأنفاس ملطخين بالأوحال

يتمتمون بكلمات مبهمة

عشرون يوما، ليل نهار، يركضون على الأرض الجرداء التى لا تنبت فيها سوى الأشواك

عشرون يوما ليل نهار يتحسسون بطون الجياد تنزف مدها الدماء

لحظة واحدة لا يتوقفون، ليس لديهم وقت يروون فيه من ماء الأمطار ظمأهم قلت لهم أن يستريحوا أولا ثم بعد ذلك يتكلمون، وكان الضوء قد أعماك.

ماتوا وهم يقولون: «ليس لدينا وقت» وقد أدركوا من الشمس بعض الشعاع.

نسيت أن مامن أحد يستريح.

مثل كلب يعوى فى الظلام، ولولت امرأة تقول «جبناء».
لابد أنها كانت جميلة ذات يوم مثلك،
حلوة الرضاب، وعروقها تنبض تحت جلدها،
بالحب والحياة.

كانت هذه الشمس لنا، احتجزتها كلها لنفسك، أبيت أن تتبعيلى.
وعندئذ عرفت عن تلك الأمور التى تجرى خلف
الحرير والذهب:
ليس لدينا وقت. كان الرسل على حق.

٤ـ العودة من المنفى

«ياصديقى القديم، ما الذى تبحث عنه؟
عدت بعد سنوات فى الغربة
مشبعاً بتصاوير نمت
بعيداً عن وطنك
وفى ظل سماوات أجنبية»

«أبحث عن بستانى القديم،
أضحت الأشجار لا ترتفع أعلى من وسطى
والتلال أشبه بمصاطب

وقد كنت في صباي

ألعب على العشب

تحت أشجار وارفة الظلال

وكنت ساعات وساعات

مبهور الأنفاس أجرى على المنحدرات ،

«اهدأ ياصديقى القديم»

سوف تألفها رويدا رويدا،

وسوف نتسلق معاً

الدروب التى عرفتها ذات يوم

وسوف نجلس معا

تحت قباب أشجار البلوط

سوف يعود إليك بستانك

رويداً رويداً وما كان لك من منحدرات»

«إنى أبحث عن بيتى القديم

عن النوافذ العالية

يحجبها شجر سرو ظليل

أبحث عن العمود القديم
الذى كان لأهل البحر معروفا.
وكيف أدخلإالى هذه الحظيرة؟
السقف حتى كتفى خفيض
ومهما نظرت بعيدا
أرى رجالا على ركابهم جاثين
كما لو كانوا يصلون راكعين.

«ياصديقى القديم، ألا تسمعنى؟
سوف تألف ذلك رويدا رويداً.
بيتك هو هذا الذى تراه
وسرعان ما سيجئ الأقارب والصحاب
يدقون الباب
يرحبون فى مودة بعودتك»

«ما الذى يجعل صوتك نائيا الى هذا الحد؟
ارفع رأسك قليلا
حتى أستطيع أن نتبين ما تقول.

كلما مضيت في الكلام ازددت
بالتدريج تضاؤلا
كما لو كنت تغوص في الأرض غارقا»

«ياصديقي القديم، قف لحظة وفكر:
سوف تألف رويدا رويدا كل ذلك.
لقد جسم لك حنينك الى الوطن
بلدا ليس له وجود، بقوانين
مغايرة للأرض وللإنسان»
«ماعدت الآن بقادر أن أسمع صوتا.
آخر الأصدقاء غاص في الأرض، غرق.
عجبا، كيف ينخفض مستوى الأشياء من حولنا.
كلما فات زمن
آلاف من الحاصدات تمر
وتجتث كل شيء من هنا».

اثينا، ربيع ١٩٣٨

٤٦.احتواء مالا احتواء •

الجمعة الحزينة

تتساقط اليوم بلا انقطاع على المدينة قطع من نقود معدنية

كل رنة تسقط مثل قطرة ماء في التراب

تجلب انفراجة جديدة، لقد

جاءت اللحظة، انهضيني. •

٤٧- ° صل من البهجة

طوال ذلك الصباح كنا مبتهجين أشد البهجة

يا إلهي، كم غمرتنا البهجة.

بادئ ذي بدء، كانت الأحجار والأزهار وأوراق الشجر تلمع وتتلألأ

ثم الشمس

كانت شمسا ضخمة، كلها أشواك وفي السماء عالية.

لملمت جنية همومنا، وعلى الأشجار علقتها

غابة من أشجار يهوذا.

عشاقا كنا في ميعة الصبا وغلماننا يلهون ويغنون هناك
وكان بإمكانك أن تلمح بين أشجار الغار السوداء براعم
وردية
نسل هي غض الاهاب.
طوال الصباح كنا بالبهجة مفعمين
والهاوية بئر محكم الإغلاق
ينقر على غطائه بحافره غزال رقيق.
أتذكر ضحكه. كم كان بالبهجة مفعما!
ثم تمطر السحب، وتبتل الأرض.
كففت عن الضحك عندما رقدت في الكوخ
وفتحت عينيك الواسعتين تتابع
رئيس الملائكة يلوح بسيفه الملتهب.

«يستعصى الأمر على التفسير» هذا ماقلت. ثم أردفت تقول «
يستعصى الأمر على التفسير.
لا أفهم الناس:
مهما تلاعبوا بالألوان
فهم جميعا سودٌ.

بيلديلي، الربيع

٤٨- ورقة من شجرة حور

ارتعشت، فحملتها الريح بعيدا

وكيف لا تحملها وقد ار[illegible] كثيرا

بعيدا، هناك بحر

وجزيرة في الشمس

الأيادي القابضة على المجاديف

تموت ما إن يلوح الميناء

والعيون مغمضة على ما في البحر من شقائق النعمان.

ارتعشت.

فتقت إليها كثيرا

فى الغابات الجرداء

وعند البئر المحاط بأشجار الكافور

فى الربيع

يا إلهى، كم افتقدتها

وفى الخريف.

٤٩.تضامن

لا أستطيع أن أتغير

هي هناك، بعينيها النجلاوين

تطل من خلف الأمواج

حيث تهب الريح

هي هناك، بعينين نجلاوين

تتابع أجنحة الطير

وهل غيّر أحد من نفسه قط؟

عما تبحثون؟ اشاراتكم تصل السفين محرفة
يضحى حبكم بغضا، وسكينتكم تنقلب اضطرابا
ولا أستطيع أن أستدير إلى الوراء ملتفتا كى أرى
وجوهكم على الشطئان.
العينان النجلاوان هناك
سواء ثبت عينى على الخط الذى اختطه لطريقى
أو تساقطت النجوم عند الأفق
هما هناك مثبتتان فى الأثير
مثل قدر أكثر التصاقا بى من قدرى ذاته.

كلماتكم، وقد ألفت سماعها
تطن بين جنبات السفين ثم تذهب بددا
أولازلت أعتقد فى وجودكم
أيتها الظلال الباهتة، أيها الرفاق الهالكون؟

فقد هذا الوجود رونقه
وأضحى بلون طحالب العام الماضى،
جافة، رمادية، ملفوظة، تحت رحمة الرياح، على الشطئان.

لم يبق لي سوى إلهي

وبحر خضم، وعيدان

مثل الريح في السكون والمضاء

وأشرعتي، فلتبق مشرعة ما وسعت البقاء.

• اليوم أخير

اليوم ملبد بالغيوم. لم يكن أحد بقادر أن يتخذ قرارا.

كانت النسمات خفيفة وسمع من يقول: «هذه ليست من الجنوب، بل من الشمال تهب».

أشجار سرو نحيلة على السفح مسمرة، ثم يليها البحر رمادى اللون بجزر مضيئة.

شرع الجند بنادقهم عندما أخذ يتساقط رذاذ المطر.

هذه ليست من الجنوب، بل من الشمال تهب.

كان هذا هو القرار الوحيد الذى سمع. ومع ذلك، كنا نعرف أنه لن يبقى لنا شىء فى فجر اليوم التالى. لا المرأة التى

ترشف النوم بالقرب منا ستبقى،

ولا حتى سيذكر يوما أننا كنا رجالا.

ما من شيء سيبقى فى فجر اليوم التالى.

كانت صديقتى تقول، وهى تسير بجانبى: «هذه الريح، بالربيع تذكرنا، وتنظر بعيدا «جاء الربيع فجأة فى الشتاء إلى البحر المغلق،

دون أن يتوقعه أحد. مضت سنين كثيرة. كيف سنموت، الآن؟»

تحت رذاذ المطر، طافت مسيرة جنائزية.

كيف يموت الرجال؟ عجبا، لم يفكر أحد فى هذا الأمر.

ومن فكر فيه بدا له الموت ذكريات قديمة

من الحروب الصليبية أو من معركة سلاميني البحرية.

ومع ذلك فالموت يحدث كل يوم. كيف يموت الرجال؟

ومع ذلك، ينال كل منا موته الذى لا يخص أحدا سواه.

هذه لعبة الحياة.

مضى النور يخفت فوق اليوم الملبد بالغيوم. وما من أحد يتخذ قرارا.

فى فجر اليوم التالى لن يبقى لنا شىء. كل شىء سنسلمه.

حتى أيدينا ستنزع منا

وستعمل نساؤنا لدى الغير، عند ينابيع المياه، وأولادنا سيعملون في المحاجر.

كانت صديقتي تغني، وهي تسير بجانبي، أغنية ممزقة تقول «في الربيع، في الشتاء، أرقاء...».

وقد كنا نتذاكر معلمين شيوخا تركونا أيتاما.

ثم مر بنا رجل وامرأة يتحادثان قائلين:

«سقمت عتمة المساء،

لنذهب إلى بيتنا، لنذهب إلى بيتنا ولنضيء الأنوار»

اثينا، فبراير ٣٩

١ - ربيع. الميلاد

مع الربيع من جديد

ارتدت ألوانا فاتحة

وبخطوات خفيفة

مع الربيع راحت تخطر

ثم مع الصيف من جديد

راحت تبتسم.

بين زهور يانعة

صدر عار بدت تحت جلده العروق

فيما وراء الليل الجاف

فيما وراء الشيوخ الذين ابيض شعرهم

وفي هدوء يتجادلون

ما إذا كان الأفضل

أن يسلموا المفاتيح

أو يعقدوا الحبل

ويشنقوا أنفسهم

مخلفين وراءهم أجسادا خاوية

حيث ما عاد بإمكان الأرواح أن تحتمل البقاء

ولا بإمكان العقول أن تتوقد بعطاء

والسيقان تخور.

مع البراعم الجديدة،

أخفق الشيوخ،

وأسلموا كل شيء

للأحفاد وأحفاد الأحفاد:

الحقول الرحيبة،

الجبال الخضراء،

الحب والحياة،

الحنان والمأوى،

الأنهار والبحر: كل شيء.

ورحلوا مثل تماثيل

خلفت وراءها صمتا،

لا يقطعه سيف،

ولا يطويه ركض الجياد،

ولايبدده صياح الفتيان.

ثم جاءت العزلة الكبيرة،

ومع هذا الربيع،

رسخت وانتشرت،

وجاء الحرمان

مثل صقيع الفجر،

يتمكن من الأغصان العالية،

ثم ينزلق نازلا على جذوع الشجر.

ويلتف حول أرواحنا.

لكنها ابتسمت،

فى ثيابها الزاهية،

مثل شجرة لوز مزهرة،

وسط المدة من لهب أصفر.

ومضت فى سيرها خفيفة الخطى،

تفتح نوافذ

فى سماء تسر الخاطر،

وكان ذلك يدوننا،

نحن أصحاب الحظ العاثر.

رأيت صدرها عاريا،

ورأيت الخصر والركبتين،

مثلما أرى شهيداً

فى طريقه إلى السماوات

طاهرا، لم يمسسه دنس

متجاوزا همهمات العامة غير المفهومة،

فى السيرك غير المحدود،

متجاوزا الجهامة السوداء،

والعنق المتصبب عرقا،

عنق الجلاد الساخط

الذى يهوى عبثا بالضربات.

العزلة الآن بحيرة،

والعوز الآن بحيرة،

بحيرة لا مساس بها، وغير قابلة لاقتفاء أثرها.

١٦ مارس ٣٩

٥٢ـ الياسـمين

سواء أظلم الليل،

أو كان النهار ضياء

يظل الياسمين

ناصع البياض.

٣ ـحكاية

يسير ذلك الرجل والدموع فى عينيه

لا أحد يعرف السبب

يظن الناس فى بعض الأحيان أنه يبكى غراميات ضائعة

مثل تلك التى يعذبنا فقدها إلى حد الألم

ونرددها بالأصياف على الشطئان أغنيات الحاكى.

الآخرون، يمضون إلى أشغالهم

أوراق لا حصر لها، أولاد يكبرون، ونساء تدركهن

الشيخوخة بكل سماجة.

أما ذلك الرجل فعيناه مثل زهر الخشخاش،

مثل زهر الخشخاش المقطوف في الربيع.

وفي ركني عينيه نبعان صغيران.

يجوب الطرقات، ولا يلجأ أبداً للرقاد

يوسع خطاه، فتتكسَّر الأرض تحت قدميه مربعات صغيرة.

توثيقاً لألم بلا حدود

وإن فقد في النهاية كل دلالة.

سمعه البعض في تجواله

يتحدث إلى نفسه

عن مرايا تكسرت منذ سنين

عن وجوه تكسرت بدورها في المرايا

التي تأبت على كل ترميم.

وآخرون سمعوه يتحدث عن النوم

وعن رؤى مهولة عند عتبات النوم

عن وجوه من فرط رقتها لا تحتمل.

أصبح أليفا لدينا. وهو حسن المظهر دمث الخلق.
كل خطبه أنه يمشي والدموع على الدوام في عينيه
مثل صفصاف على ضفاف نهر تراه من القطار
عند صحوك من رقاد غير مريح فجر يوم مجلل بالغيوم.

ألفناه، مثل كل ما ألفتموه
ماعاد يعني بالنسبة لنا شيئا.
وإن كنت أحدثكم عنه، فلأنني غير قادر أن أجد
شيئا لم تألفوه،
مرحى لكم!

٤ ـ صباح

افتح عينيك فض

القماش الأسود وابسطه

افتح عينيك واسمتين ثبت عينيك

ركزهما ركزهما الآن تعرف

أن القماش الأسود ينفض

ليس في النوم ولا تحت الماء

ولا عند انطباق الأجفان الجعدة فحسب

وتغوص بميل مثلما تغوص القواقع في اليم،

وهكذا بعد أن تكون أخذت قسطك من الراحة وفتحت عينيك

ستعرف أن جلد الطبلة الأسود يغطي أفقك كاملاً.

في الربيع والخريف حيث الجو معتدل

هنا المياه الجارية، و الحديقة

وعصافير الجنّة

هنا النحل يطن من غصن إلى غصن

ويجلجل في أذن الطفل

وها هي الشمس!

شمس ضخمة أكبر بكثير من كل ضوء

- الملائكة بيضاء

إلـــى هنرى ميلـــر

وفـجـأة كف لوى عن حك ركـبـتـيـه الواحـدة

بالأخرى

وقـال بـصـــوت بطىء: «الـمـلائكـة بـيـضـاء».

بلزاك

انزلق فوق مدارى

الجدى والسرطان مثل بحار تعلق بحبال الصوارى

وكان من الطبيعى لذلك ألا يقف أمامنا بقامة إنسان

بل ينظر إلينا من ارتفاع يراعة أو شجرة سنديان

وفى ظل النجوم أو غبار الأرض يأخذ أنفاسا عميقة

من حوله نساء عاريات اتشحت بأوراق برونزية من شجرة تين برية

أعمدة نور منطفئة تجفف ضمادات المدينة الكبيرة الملطخة بالألوان

أجساد خرقاء تولِّد سناطير وأمازونات

ما إن تمس المجرة منها شعر الهامات.

مرَّت أيام منذ اللحظة الأولى، التى حيانا فيها خالعا رأسه واضعا إياه على المنضدة الحديدية

بينما تغير شكل بولندا مثل حبرتشريته ورقة نشاف

ورحنا نسبح بين شطئان جزر جرداء مثل عظام سمك غير مألوف مسجى على الرمال

والسماء بأسرها عالية بيضاء، مثل جناح رحيب لحمامة يرفرف بإيقاعات صماء.

وسرعان ما اسودت الدلافين تحت ألوان الماء مثل تحركات الروح

مثل تحركات الخيال، والأصابع التى تتلمس الأعناق وتأخذ بخناق أصحابها، فيقتلون أنفسهم فى نومهم

ذلك النوم الذي هو القشرة الضخمة غير المحسوسة بشرخ،
الملتفة حولنا، المألوفة لنا، إذ هي قبرنا المشترك

الذي قد من قطع بللور متناهية في الصغر سحقتها الزواحف
في تحركاتها

ومع ذلك، اتسم كل شيء بالبياض لأن النومة الكبرى
بيضاء والموت الكبير

هادئ ورصين ومعزول في لا نهائي.

بل ونقنقة الدجاجة الحبشية في الفجر وصياح الديك الذي
وقع في أعماق بئر

والنار على جانب الجبل التي ترفع أياديَ من الدخان ومن
أوراق الخريف

والسفينة منشطرة الألواح التي هي أكثر رقة من أول لقاء
بالحبيب.

كلها كانت أشياء معزولة بل أكثر عزلة من القصيد

الذي خلفته وراءك، ما إن فرغت من آخر كلماته وقد
أدركك التعب

وما عدت تعرف شيئاً من خلال بياض أغطية مثل مآقي
العميان

بسطها محموماً من فوقك كي تحجب عنك الموكب اليومي لقوم

لاتدمى أجسامهم حتى لو ضربوا أنفسهم بالمسامير والفؤوس

كانت أشياء عزلت وو. . في غير موضعها، وتزل بياض الجير على الحيطان

إلى عتبات الماضي، فوجد صمتا وبابا لم ينفتح

وكان الأمر كما لو أن أصدقاءك، في يأس كبير، دقوا الباب بصوت عال وكنت معهم

ولكنك لم تسمع، وتصاعدت من حولك الدلافين خرساء بين الطحالب.

عدت تثبت أنظارك، وقال ذلك الرجل الذى عقرته المناطق الحارة، وخلفت على جلده اثار أسنانها،

مرتديا نظارته السوداء كما لو كان على أهبة العمل بمشعل لحام.

قال بتواضع، متوقفا عند كل كلمة:

«الملائكة بيضاء، تتقد بياضا، والعين التي تواجهها سوف يصيبها ذبول. وليس ثمة طريق آخر، غير أن تضحي حجرا لوأردت صحبتها.

وإذا ما بحثت عن المعجزة فعليك أن تنثر دمك فى أركان
الريح الثمانية
ليست المعجزة فى أى مكان، وإنما هى تجرى - تجرى فى
عروق الإنسان» .

هيدرا - اثينا نوفمبر ٣٩

٦ ـ قرار النسيان

«من ذا الذي سيحسب لنا تكلفة

قرارنا بالنسيان»

ج . ص

قف، أيها المار عند البحيرة الساكنة

إن البحر الجعد والسفن المعذبة

والدروب التي التفت بالجبال، وعنها النجوم تولدت

كل هذا ينتهي هنا على هذه اليابسة.

تستطيع الآن أن تشاهد البجع هادئا

انظر إليه تأمله: كله مثل نوم الليل ناصع البياض ساكن

ودون أن يلمس موضعاً ينساب على رقائق شفرة

تكاد من على سطح الماء ترفعه.

إنها مثلك، أيها الغريب، تلك الأجنحة الساكنة، وأنت مدرك لحالها

بينما تمضي عيون الأسود الحجرية تحدق فيك

القلم من حائط السجن نفذ

وما بقيت مرتسمة في السماوات ورقة شجر.

ومع ذلك، لم يكن الطير الذي ذبح صبايا القرية غير هذا البجع

أحمرُ الحليبُ على حجر الطريق بالدماء

وراحت الجياد تلقي بلا جلبة

في أحواض المياه أشكالاً مبهمة مثل رصاص منصهر.

وفجأة شدد الليل قبضته على الأعناق المقوسة
التى لم تصدح بالغناء، لأن الفعل لم يكن مجرد فعل موت
بل كان طحنا بلا تبصُّر لعظام بشر
أما الأجنحة فقد لطفت خفقاتها من فرط الهلع.

وما حدث بعد ذلك اتسم بذات الهدوء الذى تراه أمام ناظريك.
ذات الهدوء لأنه لم يبق لأية روح قائمة حتى تضعها موضع الاعتبار
فيما عدا القدرة على نقش يضع علامات على الحجر
الذى استقر الآن بأعماق الذاكرة.
ونحن أيضا انحدرنا معها، بعيدا، بعيدا ـ قف أيها المار،
عند البحيرة الساكنة حيث البجع ناصع البياض شديد النقاء
يسافر فى عقلك مثل خرق بيضاء بالية

ويوقظك على أشياء عشتها ولكن ماعدت تذكرها.
ولا تذكر أبجديتنا المنقوشة على الحجر

بل وتبقى إزاءها مندهشا أنت وغنمك

الذى يدفئ جسدك بصوفه

الآن، وأنت تشعر فى عروقك دوى الفداء.

٥٧ـ ملك أسينه

بحثنا طوال الصباح حول القلعة

بادئين من الجانب الظليل، حيث البحر

أخضر وبلا بريق ـ كأنه صدر طاووس مذبوح ـ

تلقانا مثل زمن لا منفذ فيه.

عروق من الصخر انحدرت من حالق،

عروق ملتوية، عارية، متشعبة، تتوهج

بالحياة عند ملمس المياه، تتابعها العين

جاهدة أن تفلت من وعثاء كتلة الصخر،

خائرة القوى دوما.

في الجانب المشرق شط مديد رحب

وعلى الحوائط الضخمة يبسط الضوء لآلئ.

ما من شيء حي، حتى الحمائم البرية رحلت

وملك اسينه، الذي نحاول العثور عليه

منذ سنتين

غير معروف، منسي من الجميع، حتى هوميروس

لم يذكره في الألياذة إلا بكلمة، غير مؤكدة بدورها،

ملقى به هنا مثل قناع الدفن الذهبي.

اصطدمت به لمستك، أتذكر الصوت؟ أجوف في النور

مثلما تصطدم بجرة عجفاء، وأنت تحفر في التربة،

مثلما يحدثه في البحر صوت المجاديف.

ملك اسينه تحت القناع خواء

هو معنا في كل مكان، معنا في كل مكان، تناديه:

«الأسيني.. الاسيني»

وأبناؤه تماثيل

ورغباته خفقات طيور، والريح

تسرح في فجوات أفكاره، وسفنه

راسية في ميناء مندثر،

تحت القناع خواء.

وراء العينين الواسعتين والشفتين المقوستين والخصلات

المعقوصة المحفورة على قناع وجودنا الذهبي

بقعة سوداء جوالة مثل سمكة

تراها في سكون الفجر تشق العباب

خواء معنا في كل مكان.

العصفور طار الشتاء الماضي مكسور الجناح

عن مقام للحياة مبتعداً،

والمرأة الشابة رحلت كي تلاعب

انيابب الصيف،

والروح نقبت العالم السفلي زاعقة

والبلد الذي يشبه ورقة سرو عريضة اكتسحتها

من الشمس سيول

عامر ذلك البلد بالآثار القديمة وبالأسى المعاصر.

يتمهّل الشاعر، يتطلع إلى الأحجار، ويسأل نفسه

هل يوجد حقاً

بين هذه الأطلال، بين النقاط

والتعرجات والحفر، هل يوجد حقا؟

هنا حيث يلتقي المرء في الدروب بالرياح والخرائب والمطر،

هل يوجد أولئك الذين زالوا من حياتنا على نحو غريب

أولئك الذين لم يبق منهم في لانهائية البحر سوى ظلال

وأطياف موج؟

هل يوجد

من الوجوه إيماءة أو من الحنان بادرة؟

أم لعله لم يبق سوى العبء

والحنين إلى وجود له قيمة، بدلا من حياة

نحياها الآن بلا وزن،

منكسين مثل أغصان صفصافة مروعة

مكومة في ظل يأس مقيم

بينما يجلب التيار الأصفر في انحداره الوئيد جذورا

من الطين مقتلعة

فتبدت صورة نحتها الحكم القاضي بالمرارة المؤيدة

شكلاً رخامياء

ظل في أعماق الشاعر مبهما؟

يا لابس الدروع، الشمس تصعد وقد حميت للقتال

ومن أغوار الكهف، اندفع وطواط مذعور

ارتطم بالضياء مثلما يرتطم رمح بالدروع:

«الأ سيتي.. الأ سيتي» هل بالإمكان أن يكون هذا ملك أسينه

الذي نبحث عنه بكل حرص في هذا الأكروبول

وقد لمست أصابعنا في بعض الأحيان على الأحجار لمسته.

أسينه، صيف ٣٨ ـ اثينا، يناير ٤٠

مذكرات على سطح سفين (٢)

وإلى مارو؛

في بعض الأحيان، يبدو لي أن ما أكتبه
هنا، ليس سوى رسوم وشم من تلك التي
يسم بها المسجونون والبحارة جلودهم.

ج س

٨ ـ أيام يونيه ٤١

طلع القمر الجديد على الإسكندرية
ممسكا بين أحضانه القمر القديم
بينما كنا نمضي نحو بوابة الشمس
في قلب الظلمة ـ وكنا ثلاثة أصدقاء.

منذا الذي يريد أن يستحم في مياه بروتيوس الآن؟
كنا في صبانا نتوق للتحولات
تحدونا رغبات تتلوى مثل أسماك كبار

في بحار تتضب مياهها على غير انتظار.

كنا نؤمن بسلطان الجسد

والآن، يطلع القمر الجديد محتضنا القديم،

والجزيرة الجميلة تنزف منها الدماء

جريحة، الجزيرة الوديعة ، الجزيرة المنيعة، ذات الطهر والنقاء

والأجساد مثل أغصان تكسرت أو جذور اقتلعت من أرضها.

عطشنا

حارس على ظهر جواد استحال تمثالا من رخام

عند بوابة الشمس المظلمة

ليس بمقدوره أن يسأل عن شيء: يقف حارسا

منفيا في مكان ما، هنا من حولنا

على مقربة من قبر الإسكندر الأكبر.

كريت، الإسكندرية، جنوب أفريقيا.

مايو - سبتمبر ١٩٤١

ـحاشية

وأما عيونهم فبيضاء بلا رموش

وأذرعتهم نحيلة مثل أعواد البوص.

إلهى، ليس مع هؤلاء نكون. عرفت

أصوات أطفال يندفعون عند الفجر

نازلين منحدرات خضراء مهللين

سعداء مثل النحل، ومثل الفراش

كثير الألوان.

إلهي، ليس مع هؤلاء نكون، أصواتهم

لا تبرح حتى الأفواه.

وتبقى ملتصقة بأسنانهم الصفراء.

البحر لك والرياح

وأنجم مدلاة من قبة السماء.

إلهي، إنهم لا يعرفون ما نحن

قادرون أن نكون

إذ نداوي جراحنا بأعشاب

من منحدراتنا الخضراء

وليس من منحدرات أخرى نائية،

وفي الفجر من كل صباح نلتقط ما بالإمكان أن نلتقطه

من أنفاس مبتهلين بصلوات قصار

تصل الشطئان عبر

مهاوي الذاكرة.

إلهي، ليس مع هؤلاء نكون. لكن مشيئتك

وإنما على نحو آخر فلتشأ أن نكون.

١١ سبتمبر١٩٤١

٦٠ـ شبح ا [illegible] ار

الحكايات التي رويت ذات يوم هي في
قلوبنا مثل مركب فضي ذي شراعين
مهدى في بليه بخراب كنيسة بالجزيرة
خاوية.

ج . س

شبح الأقدار يرفرف على طفل ساعة مولده،

ودوامات الرياح والنجوم تدور في ليلة من فبراير حالكة الظلمة،

والنسوة العجائز ذوات القدرة على شفاء الجروح يصعدن الدرجات التى تئن
وفى الفناء أغصان الكرمة الجدباء عارية.

فوق أرجوحة الطفل يحوم شبح الأقدار بعصابة سوداء حول الرأس، يطل
بابتسامة مبهمة، وأجفان منكسة، وصدر ناصع البياض مثل اللبن.
ثم يفتح الباب، ويدخل الربان، مبتلا بماء البحر
ملقياً قبعته على صندوق أسود.

هذه الوجوه وهذه الملابسات لاحقتك
وأنت تنفض شباكك على شاطىء البحر
ومن جديد وأنت ترقب الشق الذى يخلفه
السفين من ورائه وهو يمضى مبحراً فى الموج.
كانوا معك، فى كل بحر وكل خليج،
وكانوا هم معاناتك فى الحياة، وكانوا أيضا فرحتك.

لا أعرف الآن كيف أمضى فى القراءة:

لماذا كبلوك بالأغلال، ولماذا طعنوك بالحرية،

لماذا فرقوا فى الغابة بينك ذات ليلة وبين المرأة

التى كانت تراقب ما يجرى بعيون مذعورة، واستحال عليها أن تنطق بكلمة.

لماذا حرموك من النور، والبحر الرحيب، والخبز.

كيف حدث أن وقعنا، يا صديقى، فى حمأة الخوف؟

لم يكن ذلك قدرك، ولم يكن هذا بالنسبة لى هو المكتوب،

لم نمارس، قط بيعاً أو شراءً، هذه التجارة

من ذا الذى يأمر من وراء ظهورنا ويغتال؟

لا تسأل، ثلاثة جياد حمراء تجول البيادر

معصوبة العينين، تطأ حوافرها عظاما بشرية،

لا تسأل، انتظر فحسب: الدماء، الدماء

سوف تهب ذات صباح، مثل مارى جرجس الذى من على صهوة جواده

صرع التنين بحربته، وألقى بجثته إلى الأرض.

أول أكتوبر ٤١

٦١ـ شارع كيرت، أو "، بروريتوريا، ترنسفال

لا أستطيع أن أتغير

أشجار الجاكاراندا تدق الصناجات وترقص

ملقية حول الأقدام جليدا بنفسجي اللون.

ولا شيء غير ذلك بذي أهمية،

فيتيزبورج

صرح البيروقراطية العتيد ذاك ببرجيه التوأم وساعتيه المذهبتين

هامد مترهل مثل فرس بحر في الفضاء الأزرق.

والسيارات تجرى مسرعة

خلفياتها مثل الدلافين لامعة.

وعند نهاية الطريق، كان بانتظارنا،

يتبختر كسولاً مزهوا فى قفصه

ديك البرارى

المسمى إيفبلوكاموس نيختيميروس، هكذا

فى الصين يطلقون عليه.

ولك أن تتصور كيف رحلنا، ثقال القلوب

مودعين

أوتوكروتالوس، اللقلق

ذا النظرة التى لرئيس وزراء مهان

قابلناه بالقاهرة فى حدائق الحيوان.

أكتوبر ٤١

٦٢ـستراتيس لاسينوس
بين زهور الحب

ليس ثمة عشب، ولا نرجس. كيف اذن بإمكانك أن تحادث الموتى؟

الموتى يعرفون لغة الزهور فحسب:

ولهذا يلزمون الصمت

يرحلون ويلزمون الصمت، يلزمون صابرين الصمت راحلين

إلى ما وراء جمهرة الأحلام، إلى ما وراء جمهرة الأحلام.

لو شرعت في الغناء، سوف أصرخ

ولو صرخت ـ

زهور الحب تأمر بالصمت

ملوحة بيد بنفسجية مثل صبية أعرابية

أو أوزة تطأ بخطوها الهواء.

الأمر مؤلم . ، لايكفيني فيه مخاطبة الأحياء

لأنهم قبل كل شيء لا يتكلمون، ثم

لأنى بسؤال الموتى

أمضى قدما إلى ما هو أبعد.

وما من سبيل أخر: فى اللحظة التى يدركنى فيها النوم

يقطع الرفاق الخيوط الفضية

وتفرغ قنينة الرياح

املأها وتفرغ، املأها وتفرغ،

فأستيقظ

مثل سمكة ذهبية تسبح

فى ومضات البرق المتساقط

بينما الريح والفيضان والأجساد الآدمية

وزهور الحب مثل سهام قدرية

مسمرة إلى أرض لا ترتوى

مرتجة بهزات رأس متتابعة

كما لو كانت تحملها عربة عتيقة بالية
تنحدر مخضخضة عبر دروب مليئة بالحفر
وأحجار قديمة متهالكة.
زهور الحب، عشب الزنوج:
كيف استطيع أن أستوعب هذا المعتقد؟

أول ما خلق الله الحب
ثم يجيء النسل
واللهفة إلى النسل
يوقظها في الجسم المتنى، مثلما يوقظ الملح على الشفاه الطعم.
أول ما خلق الله الرحلة الطويلة،
ذلك البيت هناك ينتظر
بسحائب مدخنته الزرقاء
وكلبه الذي تقدمت به السن
ينتظر عودة الغائب حتى يمكنه الموت.
ولكن الموتى يجب أن يسدوا إلى العون
زهور الحب هي التي تمنعهم عن الكلام

فيلزمون الصمت مثل أعماق البحر أو مثل الماء فى أناء.

وفى قصور سيرسيه يبقى الأصدقاء:

أواه، ياعزيزى البينور! أيها الأحمق المسكين البيدور

أم أنك لا تراهم

ـ «بالله، أسدوا لنا العون!» ـ

على روابى الجزيرة المتفحمة؟

ترنسفال ـ ١٤ يناير ٤٢

٦٣ـ جنادب

امتلأ البيت بالجنادب
يدق نبضها مثل ساعات لاهثة الانفاس
يعوزها الانضباط. والساعات

التي نحياها تنبض على النحو ذاته
بينما يلزم العادلون الصمت
كما لو لم يكن لديهم ما يقال.

ذات مرة، في بيليون سمعتها
تحفر على وجه السرعة كهفا

فى الليل. أما الآن
فقد طوينا صفحة الأقدار
وتعارفنا جميعا
سواء أولئك الذين يحيون فى الشمال

أو السود عند خط الاستواء
الكل يصرخون إذا استبد بهم الألم.
الكل آنذاك جسد بلا عقل.

اتألم، وتتألمون
ولكننا لا نصرخ ولا نصيح
ولا حتى نهمس بالألم، لأن
دوران الماكينة سريع
إبان الرعب والاحتقار
إبان الموت والحياة.

وقد امتلأ البيت بالجنادب.

بروتوريا ١٦ يناير ٤٢

٦٤ ـ رجل عجوز على شاطىء النهر

«إلى نانيس باناپوتوپولوس

ومع ذلك، يجب أن نضع موضع الاعتبار كيف يكون التقدم.

لن يكون تقدمنا بمجرد أحاسيس، أو إمعان للفكر، أو الحركة، فليس في ذلك الكفاية.

بل ولن يكون تقدمنا بتعريض الجسد للخطر، إزاء فوهة قديمة ينسكب منها على الحوائط زيت مغلي أو رصاص منصهر.

مع ذلك يجب أن نضع موضع الاعتبار إلى أين يسير بنا التقدم.

ولن يكون ذلك بقدر ما نتألم، أو عذابات أطفالنا الجوعى

ولا بعمق الهوة التى تفصل بيننا وبين نداءات رفاقنا من الشاطىء المقابل،

ولا همهمات الضوء المائل للزرقة فى مستشفى مقام على عجل،

أو ببصيص أمل يلوح من عقاقير و[illegible] قريب وسادة شاب أجريت له جراحة فى الظهيرة.

ولكن يجدر أن يكون الأمر على نحو آخر.

وربما قلت أن يكون ذلك مثل النهر المديد الذى ينبثق من البحيرات الكبيرة المغلقة بأعماق أفريقية،

الذى كان ذات يوم إلها، ثم صار طريقا، ومحسنا كريما، ومصدر أحكام وأرضا بهيئة مثلث عند مصبه،

الذى لم يظل، كما علمنا القدامى من أن أهل الحكمة، على حال واحدة، وإن بقى على الدوام هو الجسد ذاته، والمجرى ذاته، والرمز ذاته، وفى ذات الاتجاه يمضى.

لا أريد سوى أن أتحدث حديث البسطاء، وأن أمْنَحَ حقا هذه النعمة،

لأننا أثقلنا أغنياتنا بالحواشي الموسيقية الزائدة حتى أ [illegible]

من فرط ما حملناها به، ساقطة

وبالغنا في تزيين فنوننا، حتى أضحت قسماتها متآكلة من فرط ما كبلناها به من فضة باذخة.

وقد آن الأوان أن ندلي بكلماتنا القليلة، لأن الروح غدا تبسط الشراع وترحل.

وإذا كان الألم من شيم البشر، فلسنا بشرا لمجرد أننا نتحمل الأم.

ولهذا، أفكر كثيرا هذه الأيام في النهر الكبير، ذلك الرمز المنساب بين عشب وخضرة، وحيوان يكلأ ويشرب، وأناس تزرع وتحصد، وقبور ضخام، ومضاجع موتى.

ذلك التيار الذي يمضي في طريقه، غير مختلف كثيرا عن دفق الدماء في شرايين البشر،

ولا عن النظرات في عيونهم عندما تشخص إلى الأمام محملقة،

في صغائر الأمور وجلائل الأشياء، على السواء، بلا ارتجافة خوف في القلوب أو وجل،

مثل عيون مسافر ألف أن يضبط على هدى من النجوم فى الليل طريقه.

وليس مثلنا نحن الذين رحنا بالأمس نحملق إلى الحديقة المسورة لبيت وسنان على الطراز العربى.

وقد مضت تلك الحديقة الرطيبة، من وراء المشربيات، تغير أشكالها، تارة تتجه إلى الاتساع، وتارة تضيق رقعتها.

وعند لمسة الظهيرة، مضينا بدورنا، أثناء تحديقنا فى الحديقة نغير شكل رغباتنا، وتتبدل خفقات قلوبنا، نحن العجين الرخو لوجود يلفظنا، ويعيد تشكيلنا،

وقد أطبقت علينا شباك أحكم غزلها بخيوط من حياة كانت من قبل كاملة، ثم أ [illegible] ترابا، وغاصت فى الرمال

تاركة وراءها مجرد تمايلات مبهمة لنخلة سامقة.

القاهرة ٢٠ يونية ١٩٤٢

٦- ستراتيس لاسينوس عند البحر الميت

«يرى المرء أحيانا على دور العبادة المقامة
في المواقع التاريخية الإشارة الواردة بشأنها
في الكتاب المقدس مكتوبة بالإنجليزية،
ومن تحتها هذه العبارة: هنا هو المكان، يا
سادة» .

خطاب س. ت من أورشليم

أورشليم، مدينة بلا حاكمين،

أورشليم، مدينة لاجئين.

في بعض الأحيان، ترى في الظهيرة

ثلة من أوراق شجر سوداء مبعثرة

تتدحرج على أسفلت الطريق.

وطيوراً مهاجرة تحت الشمس تمر

لكنك لا ترفع رأسك نحوها.

أورشليم، مدينة بلا حاكمين!

ألسن بابل المجهولة

منبتة الصلة بقواعد اللغة

بكتاب الصلوت وأعمال الرسل

كل هذا الذي علموك في الخريف

عندما ربطوا قوارب الصيد إلى الأرصفة،

ألسن مجهولة التصقت

بشفاة خربة مثل أعقاب سجائر منطفئة.

أورشليم، مدينة لاجئين!

لكن عيونهم جميعاً تنطق بالكلمة ذاتها،

وهى ليست الكلمة التى صارت إنسانا، يارب غفرانك،
ليست الأسفار لرؤية أماكن جديدة، بل هى
للفرار فى قطار أسود، حيث الأطفال
يقتاتون خطايا الآباء والقذارة
أما من هم فى منتصف العمر فيشعرون بالهوة
تتسع بين الجسد
متعثرا فى المؤخرة مثل جمل جريح.
والروح بشجاعتها التى لا تستنفد، هكذا يقولون.
وهناك أيضا السفن التى تقلهم
واقفين مثل أساقفة محنطين
فى المعابر، إلى حين ذات مساء
بهدوء فى طحالب الأعماق يرسون.

أورشليم مدينة بلا حاكمين!

إلى نهر الأردن
جلب ثلاثة رهبان

مركبا أحمرَ صغيرا

وربطوه إلى الشاطيء.

كان الثلاثة من جبل آثوس قادمين

ظلوا ثلاثة أشهر مبحرين

وإلى غصن

على ضفاف نهر الأردن

علقوا نذراً من مهاجرين.

عانوا الجوع ثلاثة أشهر

والعطش أيضا ثلاثة أشهر،

وبقوا ثلاثة أشهر ساهرين،

قادمين من جبل آثوس

من ثيسالونيك جاء

الرهبان الثلاثة المتضرعون.

كلنا مثل البحر الأسود،

على أعماق عديدة تحت مستوى البحر الأيجي.

تعال معي وسوف أريك المشهد:

فى البحر الأسود

لا يوجد سمك

ولا طحالب

بل ولا محار شائك

لا توجد حياةعلى الإطلاق.

ليس هناك كائنات

ذات أمعاء

كى تعانى الجوع

الذى يشحذ الأعصاب

فتعانى الألم.

هذا هو المكان، يا سادة!

فى البحر الأسود

الإهانة

ليست الشغل الشاغل لأحد

ولا أحد بها يكترث.

القلب والفكر
تجمدا واستحالا ملحا
مفعماً بالمرارة
وفى النهاية، يضحيان
من عالم المعادن.
هذا هو المكان، يا سادة!

فى البحر الأسود
الأعداء والأصدقاء
الزوجة والأولاد
وسائر الاقرباء، هناك
اذهب لتلقاهم.
إنهم فى عمورة
عند القاع بالأعماق
أسعد السعداء هم
لا يتوقعون
أى رسالة.

يا سادة،

إننا نواصل جولتنا السياحية

على أعماق بعيدة تحت مستوى البحر الإيجي.

يوليه ٤٢

٦٦.خط جميل

النيل، كازينو الحمام

أشرعة على النيل

طيور خرساء، وحيدة الجناح

تبحث صامتة عن جناحها الآخر.

منقبة في فراغ السماء

عن جسد غلام مرمري

مسطرة على الزرقة بحبر خفي

صرخة بلا أمل.

٦٧ـ أيام أبريل ٤٣

أبواق، عربات ترام، شتائم، زعيق فرامل

يسري إلى عقله من ذلك كله خدر، يجعله كمن يحصي أرقاما

قبل أن يغيب عن وعيه، ويضحي تحت رحمة الجرّاح.

بحذر يسير في الشوارع، حتى لا تنزلق قدمه

على قشور بطيخ ألقاها عن غير اكتراث

بدوي أو لاجئ سياسي، أو متآمر.

يتابعون تحركاته متسائلين، وكأنهم يقطفون أوراق أقحوانه:
هل ستطأها قدمه، أم لن يحدث ذلك؟

ويمضى قدما فى طريقه
يهز حزمة ضخمة من مفاتيح عقيمة
وتسترجع السماء الجافة إلى الذاكرة
أعلانات باهتة عن الشركة اليونانية للبواخر الساحلية
ونوافذ موصدة على وجوه حبيبة
وقطرات ماء صافية عند جذور شجرة دلب.

يمضى قدما إلى عمله،
بينما آلاف الكلاب الجائعة تنقض على سرواله تمزقه
وتخلفه فى عرض الطريق عاريا
يمضى قدما، متخبطا، والأصابع مصوبة نحوه
والريح تلفه ـ ريح بليدة
تقذفه بنفايات وعفن وافتراءات عديدة.

القاهرة ـ شارع عماد الدين ـ ٢٤ يونيه ٤٣

٦٨ـ الشرق ا وسط ـ الممثلون

تنصب المسارح وتفضها، حيثما تصادف أن حططنا الرحال.

تنصب المسارح ونفضها وفى النهاية تكتب الغلبة للأقدار

وتكتسحنا مثلما تكتسح المخرجين والملقنين والعازفين ومؤدى الأدوار

ويتبدد الجميع فى مهب الرياح الخمس العاصفات.

أجساد، وحشايا، وأخشاب، ومكياج،

أنغام، وأحاسيس، وأنقبة، وجواهر،

أقنعة، ومشارق، وحيتان،

صراخ، وصيحات تعجب، وشموس تشرق

اختلط الحابل بالنابل، وألقي بذلك كله معنا في غياهب الأهمال

(أين نذهب؟ وأين أنت ذاهب؟)

تعرت عروقنا، وبدت تحت الجلد نافرات

مثل خطوط على أجساد زرد أو حمر وحشيات

عاريات، ومكشوفة للأنظار تعاني الجفاف، ملتهبات

(ترى متى ولدنا؟ ومتى وورينا التراب؟)

متوترات مثل قيثار لا تكف أوتاره عن الطنين.

انظر أيضا،

هذي قلوبنا قطع من الأسفنج، يمسح بها الطريق وحلبة السوق

تمتص المرارة، وترشف دماء كل لص وأمير، على حد سواء.

الشرق الأوسط، أغسطس ٩٣

٦٩ ـ هنا بين العظام

بين العظام
أنغام موسيقية:
تعبر الرمال
تعبر البحار
بين العظام
صوت ناى
ودقّات طبلة بعيدة
ورنين أجراس خفيضة
تعبر الحقول العطشى
تعبر البحر ذا الدلافين

يا أيتها الجبال العالية، أليس بمقدروك أن تسمعينا؟
النجدة! النجدة!
يا أيتها الجبال العالية، سوف نذوى موتى، بين الأموات!

القاهرة، أغسطس ١٩٤٣

٧٠-المحطةا خيرة

قليلة هى الليالى القمرية التى تروق لى.

فيها تستطيع أن تقرأ

أبجدية النجوم بوضوح أكثر

وتستقى منها معانى وآمال-

بقدر ما يسمح لك تعبك عند نهاية النهار.

والآن، وأنا أجلس هنا فى استرخاء أفكر فى الأمر،

قليلة هى الأقمار التى بقيت عالقة بذاكرتى.

جزر هى عند انطفاء الليل لونها من شحوب العذراء الحزينة

أما فى مدائن شمالية فضياء القمر تلقى بعض الأحيان
على رعشة الدروب والأنهار وأطراف البشر
خدرا ثقيلا.
ومع ذلك، ففي مساء أمس هنا، في مرفئنا الأخير هذا
حيث ننتظر ساعة العودة إلى الديار مثلما ننتظر مشرق النهار،
مثلما في النهاية تأتي ساعة سداد دين قديم
ويسمع رنين قطع النقود تتساقط على المنضدة،
نقود رقدت سنوات وسنوات في خزانة رجل بخيل.
في هذه القرية القديمة، وراء بحر ساليرنو
حيث مرفأ عودتنا بزغ القمر
من وراء السحب على شفا عاصفة خريفية، فلمست البيوت على المنحدرات
لمعان الخزف الصقيل:
يا للحظات صمت القمر الحبيبة.

هذا بدوره سياق للتفكير، وسيلة
لتشرع في الحديث عن أمور . عليك

الاعتراف بها، في أوقات لا تستطيع ألاّ تبوح فيها، إلى صديق

هرب سرا وجاء يجلب إليك

أنباء من بيتك ورفاقك،

وتتعجل ان تفتح له قلبك

قبل أن يعدل عن قراره، فتبتلعك هذه الغربة.

قادمون نحن من بلاد العرب ومصر وفلسطين وسوريا.

تفد إلى بالنا مرارا

الدويلة الصغيرة

كوماجيني، التي مضت ترفرف مثل مصباح صغير

بينما مدن كبيرة عاشت آلاف السنين

ثم أضحت أرضنا ترعى فيها الأغنام

أو غيطانا للقمح وقصب السكر.

نحن قادمون من رمال الصحراء، ومن بحار بروتيوس

نفوس نحن تحطمت بخطايا عامة،

كل منا مكبل بمنصب مثل طائر في قفص.

الخريف المطير في هذا الركن الضيق

يلوث جراح كل مدنا

أو يلوثها هذا الذى قد تسميه على خلاف ذلك، انتقام القدر

أو مجرد عادات سيئة كالغش والخداع.

بل وقد تسميه أنانية بأن تجنى من إراقة دم الآخرين مكاسب.

يتهرأ الإنسان بسهولة فى أوقات الحروب

الإنسان لين العريكة، مثل حزمة من عشب،

شفاه وأصابع جوعانة إلى صدر أبيض

وعيون نصف مغمضة فى ضياء النهار

وأقدام على أهبة أن تجرى مهما انتابها من تعب

تلبية لنداء أدنى منفعة

الإنسان مثل العشب هش وعطشان

لا يعرف رياء، وأعصابه جذور تتطاير

عندما يأتى الحصاد

متمنياً لو أن المناجل هوت فى حقل غير حقله.

عندما يأتى الحصاد

يلجأ البعض إلى التعاويذ مستنجدا بالشيطان

والبعض يتحصن بثرواته، وآخرون يلقون الخطب.

ولكن ما الجدوى من التعاويذ، والثروات، والخطب

عندما تكون الحياة قد ابتعدت عنك وأعرضت؟

وهل كان الإنسان شيئا غير ذلك قط؟

أو ليست هذه منحة الحياة؟

إن للغراس وقت وللحصاد وقت.

سوف تكرر لى أيها الصديق القول نفسه وتعيد.

ولكن حاول أن تغير من تفكير لاجىء، أو سجين،

أو من أضحى بدوره سلعة تباع وتشترى،

لن يكون بإمكانك ذلك.

ربما فضل أن يبقى ملكا على قبيلته من أكلة لحوم البشر

مبددا قوى لا تباع ولاتشرى،

وأن يتجول فى حقول من السواسن الإفريقية،

ويسمع دقات الطبول تحت أشجار البامبو

بينما يرقص ندماؤه بأقنعة مهولة

ولكن البلد الذى يقطّعون أوصاله،

ويحرقونه مثلما شجرة الصنوبر، تراه

من النوافذ المهشمة الزجاج للقطار الذي

يمضي ركابه بلا جرعة ماء في ظلمات الليالي

أو من السفينة المحترقة التي هي وفقا للإحصاءات

على أهبة الغرق.

تغلغلت في العقول جذور كل ذلك، وما عاد بالإمكان تغييرها

بل وغرست صور مثل ما تلفظه الاشجار في الغابات العذراء من أغصانها

فتتخذ لنفسها جذوراً في الأرض تنبت اشجاراً من جديد،

وتمتد الغابات بخطى واسعة ميلاً أثر ميل.

ان عقولنا بالمثل غابة عذراء من الأصدقاء القتلى

وإذا كنت بالحكايات والأمثولات أتحدث إليك فلأن حديثي على هذا النحو يضحي أكثر رفقا بك. كما أن الرعب لا يتحدث عنه لأنه حي يسعى،

لأنه صامت، ويمضي في النمو قدما

إن جراح الذاكرة

تقطر ألما في النوم، وبالنهار.

فالأتحدث اذن عن الأبطال، فلأتحدث عن الأبطال،

وربما كان ميخاليس الذى

غادر المستشفى مفتوح الجراح،

يتحدث عن أبطال ـ تلك الليلة الليلاء

التى جرجر فيها ساقه صارخا بألمنا جميعاً، زاعقا يقول

«فى الظلمة نمضى قدما، فى الظلمة نسير إلى الأمام..»

ان الأبطال يمضون قدما إلى غياهب الظلمات.

قليلة هى الليالى المقمرة التى تروق لى.

كافادى تيرينى • أكتوبر ٤٤

٧١- الطائر المفرد

موضوع عابر عن روح شريرة، وحظ
عاثر، لماذا تجعلني أتحدث عن أشياء قد
يكون من الأفضل ألا تعرفها.

سيلينوس إلى ميداس

(أ)

«البيت بجوار البحر»

البيوت التي كانت لي أخذوها مني. شاءت الأقدار
أن تكون السنين عاثرة: حروب، ونفي ودمار،

تارة، يلقى الصياد الطيور المهاجرة
وتارة أخرى لا يجد لها أثر.
كانت مواسم الصيد في أيامي على أى حال طيبة، كثير
من تلك الطيور اصابته الطلقات•
والباقي مضى يهيم بلا أمل أويكمن مذعوراً في المآوى.

لا تحدثني عن العندليب ولا عن القبرة
ولا عن ذلك الصغير هزاز الذنب
الذي يخط بذيله في النور سطوراً.
لا أعرف الكثير عن البيوت
أعرف أن لها احوالها الخاصة، ولا أعرف شيئا غير ذلك.
تبدأ طلية، مثل الأطفال
يلعبون في الحدائق بخيوط الشمس
يغزلون للنهار شبابيك ملونة
وأبوابا في الضياء لامعة.
وما أن يفرغ المعماري من مهمته، تتغير.
تقطب الجباه، تبتسم، أو قد تعمد أيضا إلى معاندة
أولئك الذين بقوا، وأولئك الذين مضوا

وآخرين كانوا سيعودون لو امكنهم ذلك.
أو آخرين اختفوا، وقد أضحى
الوجود نزلاً فسيحاً مترامى الأطراف.

لا أعرف الكثير عن البيوت،
أذكر فحسب أفراحها وأحزانها
بعض الأحيان عندما أتوقف لأفكر،
أتابع من جديد
بجوار البحر أحياناً، فى غرف جرداء
ليس بها سوى سرير من حديد، ولا شىء آخر يخصنى
أتابع المساء ينسج خيوطه مثل عنكبوت، فيخيل لى
أن ثمة من يتأهب للمجىء، وأنهم يعدونه لذلك، يلبسونه
أردية بيضاء وسوداء، ويكسونه جواهر متنوعة الألوان
فى معيته سيدات وقورات يحطن به
رماديات الشعور، يتشحن بأوشحة من الدانتيلا الداكنة
ويتحدثن بكلمات ملساء
أو أن ثمة امرأة ــ نحيلة الخصر معقوصة الرموش،
عائدة من موانئ الجنوب،

أزمير، رودس، دمشق ، سيراكيوزا، الأسكندرية
عائدة من مدن مغلقة مثل دفوف شباك في حر الهجير
تفوح بأريج فواكه وأعشاب ذهبية ـ
تصعد الدرجات دون أن يلحظها
أولئك الذين تحت السلمات تردوا في اللوم.

تعرف كم يركب العناد البيوت
عندما تعمد إلى هتك سترها.

(ب)

البينور المنساق للشهوات

رأيته أمس واقفا بالباب

تحت نافذتي. كانت الساعة

حوالي السابعة، وبصحبته امرأة.

كانت له سيماء البينور، قبيل سقوطه

وتحطمه، ومع ذلك لم يكن مخمورا.

كان يتحدث بسرعة فائقة، بينما

راحت هي تنظر شاردة البال نحو الحاكيات

وبين الحين والحين تقاطعه كي تقول له كلمة،

ثم تشخص بصبر نافذ مثل قط إلى الناحية التي يقلون فيها الأسماك.

همس يقول وبين شفتيه عقب لفافة تبغ:

ـ «اسمعي هذا أيضا. في ضوء القمر،

تنحني التماثيل مثل أعواد البوص أحيانا

وسط الثمار الناضجات ـ تنحني التماثيل

وتضحي ألسنة اللهب أزهارا من الدفل

أعني اللهب الذي يحرق الإنسان.»

ـ «إنها الأنوار فحسب.. أطياف الليل»

ـ بل ربما هو الليل الذي انفلق، مثل رمانة زرقاء،

أو نهدين سمراوين، وغمرك بالنجوم،

وهو يشق الزمن.

ومع ذلك، فالتماثيل

تنحني أحيانا، تشطر الرغبة مثل حبة خوخ،

إلى شطرين، ويضحي اللهب

على الأطراف قبلة ونشيجاء

ثم ورقة شجرة رطبية تذروها الريح.

تنحني التماثيل، وتصبح في خفة الإنسان.

وأنت لا تنسين ذلك».

ـ «التماثيل في المتحف».

ـ «كلا، إنها تلاحقك، لماذا لا تستطيع رؤيتها؟

أعني بأطرافها المكسورة

وهيئاتها المنتمية إلى زمان آخر، هيئات لا تعترف بها

وإن كنت تعرفها

إن الأمر كما لو كنت

في نهايات شبابك تحب

امرأة ظلت على جمالها، وأنت على الدوام خائف

وهي بين ذراعيك عارية في الظهيرة،

خائف من الذكرى التي تستيقظ في أحضانك،

خائف من أن تفشي القبلة أسرارك

ومخاوف النوم المكبوتة،
تحدثك عن أشياء وددت ألا يكون لها وجود
أو أن توجد بعد سنوات من وفاتك،
وذلك أمر . لأن...»

ـ «التماثيل في المتحف. طابت ليلتك» .
ـ «..... لأن التماثيل ما عادت
بقايا محطمة، بل نحن الحطام، تتحدى التماثيل بخفة
ورشاقة... طابت ليلتك»

افترقا هنا. أخذ هو
الطريق الصاعد نحو الشمال
ومضت هي متجهة إلى الشاطيء العامر بالأضواء
حيث تغرق الأمواج في ضجيج المذياع:

المذياع

ـ «أشرعة انتفخت بالرياح
هي كل ما بقي في الذاكرة.

عطر صمت وأشجار سرو
وسرعان ما سيطيّب القرموط والشوريب وهزاز الذنب
الجرح الذي أحدثه برحيله البحار.
يا أيتها المرأة ذات اللمسة الخرساء
انصتي إلى جناز الريح.

تصنب الدن الذهبي
واضحت الشمس خرقة بالية
حول عنق امرأة في منتصف العمر..
تسعل وتسعل ولا ينقطع سعا لها
وتمضي تتنهد متحسرةً على الصيف الذي رحل،
والذهب على كتفيها والردفين
يا أيتها المرأة التي فقدت البصر
انصتي إلى الأعمى يغني.
هبط الظلام. إغلقي زجاج النوافذ،
واصنعي من بوص الأمس نايات
ولا تفتحي لأحد، مهما علت الدقات

أنهم يصيحون ولكن ليس لديهم ما يقال.

خـذى أعشاباً، أوراقـا من أشجـار الحـور، ومـن علـى الشط سواسن،

ومن البحر شقائق النعمان.

يا أيتها المرأة فقدت الصواب،

انصتى، أطياف المياه تمر...

ـ «أثينا. استمعت الجماهير

إلى الأنباء بانزعاج. يخشى

من أزمة على الأبواب. أعلن الوزير:

«ما عاد هناك وقت...

خذى أعشابا... أوراقا من أشجار الحور...

من على الشط سواسن ومن البحر شقائق النعمان...

يا امرأة...

ـ «...الحرب غلابة، وأنَّى لنا مفر»

أنا تاجر الأرواح.

«هذه القطعة من الخشب التى رطبت جبينى

ساعات الظهيرة التى أججت النيران فى شرايينى

سوف تزهو بين أيدى آخرين . خذها . إنى أمنحك إياها .

وهي، أنظر، من خشب الليمون...»

سمعت الصوت

مستغرقا أتأمل

سفينا أغرق منذ سنين

سفينا صغيرا، اسمه «الطائر المغرد» صواريه

راقدة على الجنبين محطمة، يتلاعب بها الموج فى الأعماق شاردة

مثل قرون استشعار

أو تذكارات أحلام عن وحش بحرى مهيب، نفق تحت الماء،

مبديا بين عظام الفكين عن فوهة معتمة. بينما عمت السكينة كل الانحاء.

ثم وفدت أصوات أخرى

رويدا رويدا، وتعالت همسات رخيمة

قادمة من وراء الشمس حيث الظلمة، عطشى

لقطرة من دماء ترشفها،

أصوات مألوفة، لم أكن بقادر على أى حال أن أميز بينها

ثم جاء إلى صوت العجوز، أ [illegible] يه

ينسكب فى قلب النهار هادئا

بل وكأنه لا يحرك ساكنا:

«ولو حكمتم على أن أشرب السم، لأشكرنكم

مرتضيا الشرع الذى لأنفسكم ارتضيتموه. كيف أذهب

إلى بلاد أخرى متخبطا مثل حصاة تدحرجت من مكانها.

أفضل الموت على أن أتصرف هكذا.

كان للخير سعيى، والله بالخير عليم.

بلاد الشمس أنتم، وليس بمقدوركم أن تواجهوا الشمس.

بلاد الإنسان أنتم، وليس بمقدوركم أن تواجهوا الإنسان.

الضياء

كلما مرت السنين

تزايد قضاتك، يوقعون عليك أحكامهم بالإدانة

كلما مرت السنين وتحاورت مع عددٍ من الأصوات أقل

بدت لك الشمس على غير مابدت لك من قبل

وعرفت أن الذين خلفتهم وراءك خدعوك

استبد بهم هذيان الجسد والرقصة البديسة

التى تفضى بهم إلى العرى.

الأمر مثلما بالليل تستدير عند منعطف طريق

فترى فجأة حدقتى حيوان تومضان نحوك

وتسارعان بالاختفاء من أمامك

فيشتد شعورك بعينيك

تحدق بهما فى الشمس ثم تضيع أنت فى الظلام.

إن الرداء الأغريقى الذى تماوج مثل الجبال عندما مسته أناملك

تمثال رخامى فى الضياء وان غاب رأسه فى غياهب الظلام.

وأولئك الذين تركوا الحلية ليمتشقوا السلاح

أردوا برماحهم عداء الماراثون العنيد

فرأى الدرب يلغ مبحرا فى الدماء،

الوجود يضحى مثل القمر خواء،

وحدائق النصر تذوى ويعلوها الوهن:

فى الشمس وخلف الشمس، تراهم.

أولئك الفتيان من مقدمات السفن يغطسون

يتلوون فى الماء سابحين مثل انوال الغَزالين

أجسادهم العارية تغوص فى ضياء داكنة

واضعين بين أسنانهم قطعا من النقود، يمضون سابحين

بينما تطرز الشمس بأبرة ذهبية

أشرعة وخشبا مبتلاً وألوان البحر،
لازال الفتيان حتى الآن يغوصون. بميل ينحدرون
نحو قاع البحر المغطى بالحصوات ممسكين
بأوانى خزفية صغيرة بيضاء، أوانى القرابين للأموات.

يا أيها النور الملائكي الأسود
يا ضحكات مخضبة بالدمع
ضحكات الأمواج فى مسارات البحر
يلمحك العجوز صاحب الضراعات
فى اجتيازه الحقول غير المرئية.
يا ضياء منعكسا فى دمائه كما فى مرآة،
الدماء التى منحت الميلاد لاتيوكليس وبولينيكيس.
يا أيها النهار الملائكى الأسود
المذاق الاجاج للمرأة التى تقتل بالسم الأسير
ينبثق من الموج غصنا رطبا تزينه قطرات.
غنى يا صغيرتى انتيجون، غنّى بالله غنى..
أنى لا أحدثك عن أمور ماضيات، بل عن الحب،
زينى شعرك بأشواك الشمس،

يا أيتها الفتاة المجللة بالسواد،

قلب العقرب ساد الديار

والطاغية في كيان الإنسان ولى الأدبار،

وكل بنات البحر، الحوريات والعجائز

تهرع إلى بهاء الألهة التي تشرق على الوجود:

ومن لم يحب،فى ضيائها سوف يلقى الحب:

وأنت ستجدين نفسك

فى بيت رحيب ذى نوافذ كثيرة مفتوحة

تجرين من غرفة إلى غرفة لا تدرين من أين تبدأين الاطلال على الخارج

لأن أشجار الصنوبر ستمحى من أمامك، وكذلك الجبال اللامعة

وشقشقة العصافير

وسينضب البحر، ويمضى شمالا وجنوبا حطام زجاج

وعيناك ستفرغان من ضياء النهار

والجنادب سوف تكف عن الصرير كلها معا، وعلى غير انتظار.

بوروس ،غالاتى، ٣١ أكتوبر ١٩٤٦

مذكرات على سطح سفين (٣)

إلى أهل قبرص
تذكارا وحبا

«قبرص التى صدر مرسوم من أبوللو
بأن أحيا فيها...» *

٧٢ـ آجياناپا (أ)

فلتبصر نور الشمس، هكذا ألف القدامى أن يقولوا.

وقد اعتقدت طوال هذه السنين

وأنا أسير بين جبال وبحور

وأصادف رجالا مسلحين

أنني أبصر. ومن الغريب أنني لم ألحظ

أنني لم أكن أتبينهم سوى عبر أصواتهم

وكان الدم وحده دافعهم إلى الكلام، كبش الفداء هذا

الذي أنحره، وأبسطه ذبيحة تحت أقدامهم

ولكن هذه السجادة الحمراء لم تكن هي الضياء
وأي كلام قالوه كان علي أن أتأكد منه باللمس
مثلما وأنت مطارد بالليل، يخبئونك في مربط للخيل
أو عندما تنال في النهاية جسد امرأة عميقة الأحضان
ويكون جو الغرفة ثقيلا بالروائح الخانقة
أي كلام قالوه لي كان يعني حريرا أو فراء.

الغريب في الأمر، أنني هنا أرى نور الشمس، الشبكة الذهبية
التي ترتجف فيها الأشياء مثل السمك
في شباك صيادين
يسحبها إلى الشط ملاك كبير.

٧٣ـحلم

أنام، ويظل قلبي يقظان،

يحدق في النجوم، والسماء، وعجلة القبطان،

ويعجب كيف يزهر الماء على دفة السفين.

٧٤ـ تفاصيل عن قبرص

إلى المصور دياماندى

كانت البومة الصغيرة على الدوام هناك

جاثمة على كوة الباب المفضى إلى الدير

عمياء مستسلمة لقرص الشمس العسلى

هى هكذا هنا وفى أى مكان، الآن وفى كل الأزمان:

يتراقص الخريف بهذا الإيقاع

وتنفض الملائكة غلالات السماء

ويحدق فى تراخ من السقف عند ركن من الأركان

وجه من حجر ذى حاجبين مقوسين

ثم ظهر الراهب بقلنسوة وجلباب وحزام جلدى،
مضى إلى العمل فى زخرفة قرعة الماء
بدأ بالعلق: سعف نخيل، حراشيف سمك، وحلقان
ثم وضع البطن المديمج فى كفه العريض
وأضاف رسوما عن الفلاح الغشاش والتاجر الغشاش
والطحان الغشاش وذلك الذى يغتاب الناس
ثم كارهة الأطفال والراهبة المطرودة من الدير
وأسفل كل هؤلاء، وعلى نحو يكاد يكون خافيا رسم الدودة
التى لا تنام.

كان كل هذا أداء مرتجلا. وكان حسنا.
أما عجلة البئر الخشبية - «الألاكتين»
الراقدة فى ظل شجرة الجوز
نصفها فى الماء والنصف الآخر فى الطين
فلماذا سعيت لإيقاظها؟
سمعت من قبل كم أطلقت من أنين. وتلك الصرخة
التى ندت من عروق الخشب القديم
لماذا أسمعتها صوت الوطن فهيّجت فيها الحنين؟

٧ـ باسم الآلهة أدعوك. . .

زيت على الأطراف

ربما زنخ الرائحة

مثلما على معصرة

فى الكنيسة الصغيرة هنا

مثلما على المسام الخشنة

للحجر الذى لا يدور.

زيت على شعر

مثل الحبال مجدول

وربما عطور أخرى

غير معروفة لنا

غنية وفقيرة

وتماثيل صغيرة

تعرض علينا بين أناملها

نهودا صغيرة

زيت في الشمس

ار[illegible] أوراق الشجر

عندما توقف الغريب

وامحى الصمت

بين الركبتين ثقيلٌ

وتساقطت قطع النقود:

«باسم الآلهة أدعوك..»

زيت على الأكتاف

وعلى الوسط المنثنى

والساقين الرقطاوين في العشب

والشمس مع اقتراب المساء

جريحة

بينما أحادث فى فناء الكنيسة

رجلا قعيد.

٧٦ـ هيلين

«تيفكروس:.... في قبرص هذه
المحاصرة بالبحر، حيث صدر الأمر
من أبوللو بأن اتخذها مقاما،
معطيا المدينة اسم سالاميس في
ذكرى الجزيرة وطني.

....

هيلين: لم أذهب إلى طراودة قط.
كان ذاك شبحا هناك.

....

ماذا؟ هل تعنين أننا من أجل

سحابة فحسب عانينا كل ذلك
العناء؟»

مسرحية «هيلين» ليوروبيديس

«لن تدعك البلابل تذوق طعم النوم فى بلاتريس»
يا أيها البلبل الخجول، يا من تطل من ثنايا الأوراق
يا من تغدق ألحانك الندية على الغابة،
على الأجساد المحكوم عليها بالفراق، وعلى أرواح
من يعرفون أنهم لن يعودوا إلى لقاء.
يا أيها الصوت الضرير، يا من تتحسس ظلمات الذكرى
باحثا عن خطوات وإيماءات. ولا أجرؤ أن أقول عن قبلات
ـ
وعن غضبة الأسيرة التى استحالت وحشا.

«لن تدعك البلابل تذوق طعم النوم فى بلاتريس»

بلا تريس، أين بلاتريس؟ وهذه الجزيرة، من يعرفها؟
عشت حياتى أسمع أسماء لم أسمع بها من قبل:

أسمع بالجديد من الأوطان، وحماقات البشر

والآلهة.

قدرى المتأرجح بين سيف لأجاكس آخر وسلاميتا أخرى.

قدرى هذا هو الذى أتى بى إلى هذا الشاطئ، هنا.

طلع القمر

مثلما طلعت من البحر أفروديت،

. . «كوكبة القوس والرامى»، واتجه إلى «قلب العقرب»

ليغير كل شىء.

الحقيقة، أين الحقيقة؟

كنت بدورى فى الحرب رامى سهام

وكان قدرى قدر رجل أخطأ الهدف.

أيها البلبل الصداح

فى ليلة مثل هذه، على شاطىء بروتيوس،

سمعتك الأسيرات من فتيات اسبرطه وبد أن النواح

ومن بينهن - ومنذا الذى كان يصدق ذلك؟ - هيلين!

تلك التى خرجنا فى أثرها، وعلى ضفاف سكامندرو،

بحثنا عنها، سنوات وسنوات

كانت هناك، على شفا الصحراء، وبأناملي لمستها

وتحدثت إلى.

بكت قائلة: «ليس صحيحا، ليس صحيحا ما يقال.

لم أصعد إلى سطح السفين ذى المقدمة الزرقاء.

لم أذهب إلى طروادة أرض الأبطال».

حزامها يعلو الوسط، والشمس فى شعرها ضياء، والقوام ذات القوام،

والظلال والابتسامات من فيضها فى كل مكان

وعند الكتفين والردفين والركبتين،

تنبض البشرة بالحياة

والرموش الطويلة تظلل العينين

كانت هناك، على ضفاف دلتا النيل.

ولماذا فى طراودة؟

لا شيء فى طراودة، مجرد وهم.

أراد الآلهة أن تجرى الأمور هكذا.

وباريس؟ رقد باريس مع شبح شُبِّه له كائنا من لحم وعظم.

ومضينا نحن نتناحر عشر سنوات من أجل هيلين.

عذابات كثيرة حلت باليونان.

ما أكثر الأجساد التى ألقى بها إلى فكاك البحر، وفكاك الأرض

ما أكثر الأرواح التى طحنت طحنا مثل حبات القمح.

وكم طفحت الأنهار طينا مخضبا بالدماء.

كل ذلك من أجل تموجات رداء، ندفة سحاب،

رفرفة فراشة، أو زغب من بجعة منتفضة،

مجرد جلباب خاو. كل هذا من أجل هيلين.

وأخى؟

يا أيها البلبل، البلبل، البلبل،

ما الإله؟ ما الذى ليس إله؟ وماذا بين

هذا وذاك؟

«لن تدعك البلابل تذوق طعم النوم فى بلاتريس.»

يا أيها الطائر دامع العينين،

على قبرص التى تتلقى قبلات

البحر

التى اختصونى بها لتذكيرى بوطنى القديم

حططت الرحال بها وحدى وبصحبتى هذه الاختلاقة

وهى حقا اختلاقة

لو صحَّ أن البشر لن ينخدعوا

بمكائد الآلهة من جديد،

لو صح

فى مستقبل الأيام أن رأى تيفكروس جديد أو

أجاكس أوبرياموس اخر أو هيكوبى غير سميتها السابقة

أو حتى أى شخص لا اسم له وغير معروف. رأى أى من هؤلاء

نهرا مثل سكاماندرو طافحا بالجثث

وكان غير محتوم عليه

أن يصدق من يجيئون ليخبروه

كم من متاعب احتُملتْ، وكم من حيوات

تردت فى ظلمات الهاوية

من أجل هيلين، من أجل رداء خلا من مرتديه.

٧٧ـ آغيانابا (ب)

ربيع ١١٥٦

أبيات للموسيقى

تحت أشجار الجميز العجوز
كانت الريح تلعب بجنون
مع الطير والأغصان
دون أن تبادلنا الحديث.

يا أنفاس الروح مرحبا
لك فتحنا القلوب
بالله ادخلي، واشربي
الأشواق من مهجنا.

تحت أشجار الجميز العجوز
نهضت الريح ورحلت
صوب قلاع الشمال
دون أن تلمسنا منها نسمة.

•

يا نبت السعتر، ويا أكاليل الجبال،
ضمي الصدور ضما بإحكام
وابحثي لك عن كهف، ابحثي عن عرين،
وخبئي ضياءك عن العيون.

ليست هذه هي الريح التي هبت يوم أحد السعف
ولا الريح التي سوف تهب يوم القيامة
بل هي ريح من نار، ريح من دخان
ريح حياة خالية من الفرح.

تحت أشجار الجميز العجوز
عادت الريح تهب وقد أصابها الجفاف
تضج أينما عصفت بزخم الفلورين
وتقايضنا بالذهب.

٧٨ـ ذكرى (١)

«ثم لم يعد هناك بحر»

وجدت نفسي وحيدا ممسكا بمزمار

كان الليل موحشا، والقمر منطفيء

والأرض معبقة بأريج المطر الأخير.

همست: الذكرى، أينما مستها تسبّب الألم

السماء تضاءلت، والبحر ما عاد هناك،

وما يقتلونه بالنهار يحملونه في عربات، ويلقون به

وراء التلال.

كانت أصابعى تتلاعب في شرود على هذا المزمار

الذى أعطاه لى راع عجوز، لأننى أقرأته تحية المساء.

بينما رفض الآخرون كل تحية:

يستيقظ هؤلاء من النوم، يحلقون ذقونهم، ويبدأون عملهم كل يوم فى المجازر

كما تقلم أنت الشجر أو تجرى جراحات للبشر، بمنهج محكم وبلا حسرات.

الألم بالنسبة لهم ميت مثل باتروكولوس، ولا يرتكب أحد فيما يؤديه خطأ.

فكرت أن أعزف نغمة، ثم خجلت من العالم الآخر

ذلك الذى يرقبنى من وراء الليل، وعبر النور الذى فى،

المغزول من أجساد حية، وقلوب مجردة

ومن حب هو من شيم آلهات الغضب،

كما هو من شيم الإنسان والماء والعشب والحجر.

والحيوان الذى يحدق فى عين الموت

الذى يقترب منه.

لهذا مضيت قدماً في الدرب المظلم

عائداً إلى صديقتي حيث حفرت ودفنت مزماري

وهمست من جديد: سوف يأتي البعث

فجر ذات يوم

ستتورد ضياؤه مثل توهج الأشجار في الربيع،

سيولد البحر من جديد، وستعود الأمواج تقذف

بأفروديت.

إلى خواء بيتي دلفت. نحن البذرة التي تموت.

٧٩ـ شيطان الشهوات

«ولما كان شيطان الشهوات يجتاح العالم
كله، فإنه خدع الملك، الطيب، فتردى
فى الرذيلة...»

«مذكرات ماخيراس»

كان ما كتبه جوان فيسكونتى هو الحقيقة
كيف أن الكونت تيروخاس رشا الوسطاء
ووجد ضالتها فى الأمر مع الملكة
كيف بدأ الموضوع وكيف انتهى

أضحى فى شوارع وميادين نيقوسيا
أمراً على لسان كل الصبية
كان الخطاب الذى أرسله إلى الملك فى فرنسا صحيحا
وكان المستشارون على علم كافٍ بمحتواه .
ولكنهم الآن
اجتمعوا ليشيروا
على ملك قبرص وأورشليم بما يجب أن يفعله
فصدر الأمر إليهم بمحاكمة
الملكة اليذوراء المنحدرة عن
أسرة قطلانية كبيرة،
والقطلانيون أناس لا يرحمون،
فإذا اختار الملك أن يقتص لنفسه من الملكة
فإن ـ . على القطلانيين أن يشهروا السلاح
ويأتوا لإبادة الجميع واستئصالهم من الوجود.
كانت عليهم إذن مسئوليات، ومسئوليات جسام،
فمصائر المملكة كلها رهن بما يحكمون.
بالطبع كانوا يعلمون

أن فيسكونتي مخلص وشريف، ولكنه تعجل الأمور،
وبلا روية تصرف، وعلى نحو متهور مشين
وكان الملك نزقا - فكيف غاب على فيسكونتي
ذلك؟ - كان الملك نزقا، وأمام رغبات اليثورا متخاذلاً.
يحمل في أسفاره على الدوام قميصها
يأخذه بين ذراعيه لينعم بالنوم قرير العين،
ثم يجيء فيسكونتي - دون أن يتقي الله فيما كتب -
ويخبره
أن نعجته ضبطت مع جديها -
كيف بإمكانك أن تكتب إلى حاكم شيئا من ذلك؟
كان فيسكونتي أحمق ولاشك - بالأقل كان يجب أن يذكر
أن الملك أيضا ارتكب الأخطاء،
فقد تظاهر بعفة النفس
بينما حومت ببابه الخلفي عشيقتان لا واحدة
وكم انقلبت الجزيرة رأسا على عقب عندما أمرت
اليثورا بإحضار الحامل منهما للمثول أمامها
وأمرت بوضع مطحنة يدوية على بطنها

تطحن القمح دقيقا مكيالا مكيال.

ومما زاد الطين بلة - وهو الأمر الذى لا يسعه خيال -

أن الناس كلها تعرف أن الملك من مواليد برج الجدى

ومع ذلك يمسك ذلك التعس فيسكونتى بالقلم

فى ذات الليلة التى يدخل فيها القمر مدار الجدى

ليكتب ما كتب. يكتب عن النعاج والجديان!

أن الرجل الحكيم لا يستثير الأقدار.

كلا، ليس محتما علينا أن نقول

ما العدل، بل واجبنا

أن نتقصى أهون الأضرار.

الأفضل بالمرء منا أن يموت، فالموت مقدر عليه

من أن نعرض أنفسنا ونعرض الوطن للأخطار.

ولهذا، فقد انخرط المستشارون طوال اليوم فى الجدل

ثم، وقد أوشكت الشمس على الغروب،

مضوا إلى الملك

انحنوا أمامه وقالوا إن جوان فيسكونتى

كذاب أشر، ضليل ومرذول.

مات جوان فيسكونتي جوعا في زنزانة سحيقة

ولكن بذرة العار في نفس الملك

راحت توقظ منه الحواس، مما جعله يشتهي

أن يعامل الآخرين تحت ذات الشعار.

لم تفلت امرأة من توقه إلى ارتكاب الفحشاء

وتلطخ الجميع بالعار. وتلاقى في الناس الخوف بالبغضاء

وامتلأت الأرض من حوله بالرهبة والكراهية.

وعلى هذا المنوال، وعلى سياسة «أهون الأضرار» سارت المصائر

إلى أن جاء فجر عيد «القديس أنطونيوس» وكان يوم أربعاء

فأتى الفرسان وانتزعوا الملك

من أحضان عشيقته وذبحوه ذبح الشاة

وفي أعقاب كل الآخرين جاء قائد كتيبة الترك

ووجده راقدا في دمائه على ما يقوله كاتب المذكرات،

فأخرج سيفه من غمده وبتر

قضيبه وخصيتيه. ووجه إليه الخطاب قائلا:

من أجل هذه نشرت من حولك المواك!

وكانت هذه النهاية

التى دبرها للملك بيير شيطان الشهوات.

٨٠-فى ضواحى كيرينيا

إننى أموت، فمعنى أسرى
وما الذى على الأرض يدخل البهجة؟
إلهى، أبق ضياء الشمس ذلك بعيدا عن
بصرى.

جون بيجمان

إنه عالم هوميروس هذا، وليس عالمنا.

دابليو. هـ . أودين

مشروع قصيدة

- أرسلت لها باقة زهر.

- ويسكى؟ جين؟

ـ اليوم، العيد الفضى لزواجها.

ـ احـذر الكلب

ـ سوف يقفز على مئزرتك،

فيلطخه بالطين. انهم يتساهلون معه، فأضحى يألف الناس كثيرا

ـ جين، من فضلك. إنها تعيش فى كينت الآن. سوف أذكرها

على الدوام وهى فى الكنيسة. عندما خرجنا كان المطر ينهمر، وكانت تعزف الألمان على الرصيف المقابل فرقة موسيقية، فرقة جيش الخلاص على ما أعتقد.

ـ كان ذلك فى مايو، من عام الإضراب العام.

ـ حتى الصحف لم تكن تصدر.

ـ انظر إلى الجبل، عندما تغرب الشمس فى نهاية اليوم، سوف يسود المنظر لون واحد، وتعم السكينة.

إنه جبل القديس هيلاريون. أفضله فى ضوء القمر.

ـ تكتب عن شبح يهيم بمصباح منطفىء.

ـ القديس هيلاريون؟

ـ كلا بيتها فى كينت.

ـ المكان هنا أكثر مناسبة للأشباح ـ ولا أستطيع أن أفسر ذلك ـ

أحيانا تضحى الذاكرة أكثر قسوة فى هذا الضوء، تضحى مثل عجينة جففتها الشمس...

ـ أى نوع من العجين؟

أنا أيضا ينتابنى الصداع .

ـ هل قابلت الشاعر،

أو أيا من كان، ذلك الذى أقام هنا الشهر الماضى؟

كان يسمى العاطفة إفصاحا عن شهوة كامنة:

شىء غير عادى ذاك، ولا أحد يعرف

ما الذى يقصده محب الأغريق ذاك الذى لا يؤمن بصلاح البشر.

ـ انطوائى متعجرف.

ـ مسنٌ هو أحيانا. يرتاد

الحمامات، الآن

ـ فى إيطاليا، على ما سمعت.

ـ أجل، بعض «ينابيع المياه المعدنية»

يقول أنها تنشط القوى الجنسية.

اعطيته خطاب توصية لهوراشيو، في روما

- شيء مثير للخجل هذا - كيف سمحت لنفسك بذلك.

- كيف سمحت، حقا؟

ربما بعض التجاوزات مسموح بها في السن الذي بلغناه

ربما بدافع الحاجة إلى الأفلات من ذواتنا المعادة

ربما كانت هذه الجزيرة التي تضجرني مثل نيزك من عالم آخر هي السبب.

- بدأ ينهك الحزن، يا مارجريت، ولكن ما أجمل

الشمس، والبحر، والصيف الذي ليس له انقضاء هنا.

- أواه لهذا المشهد الذي يسأل ويسأل. هل لاحظت ولو مرة كيف

تجعل المرآة وجوهنا في بعض الأحيان

مثل وجوه الأموات. أو كيف تسرق الشمس ذواتنا

وتخلع عنا قناع المساحيق كل صباح؟ أفضل

دفء الشمس دون شمس، وددت أن أبحث

عن بحر لا يعرى المرء، ازرق بلا صوت

ويغير ذلك الاستفهام السليط كل يوم.

وقد كانت ستنعشنى ملاطفات الضباب الصامتة فى اهداب الحلم .

هذا العالم ليس عالمنا، انه عالم هومبروس.

هذا أفضل وصف سمعته لهذا المكان.

اهدأ، ياريكس!

- كلا، من فضلك، لا تغيرى
الأمر اهتماما،

أعرف الطريق. أود أن يتاح لى بعض الوقت كى أشترى بعض القماش:

ثلاثين ياردة من النسيج، لأجل بستانيتا باناغى.

شىء لا يتصوره عقل! يقول إن ذلك يلزمه لتفصيل سروال رحيب يرتديه...

أثناء حديثكما تذكرت بيل ذات يوم من أيام السبت.

فى قارب على نهر التيمس.. مضيت طوال ذلك المساء، انظر إلى الدثار حول عنقه.

وكان يصفر، وهو يجدف، لحن أغنية «قله لها على أنغام القيثار»

ترى، ما الذى انتهى به الحال؟

- قتل في كريت.

ـ وسيما كان، بالغ الوسامة.. سأنتظرك يوم الثلاثاء..

كم كان التيمس يمضي في هدوء

أثناء النوم.. بين الظلال.

ـ يؤسفني أنك لا تستطيعين البقاء للعشاء.

٨١- بائع جوال من سيدون

تعرفت عليه في التو واللحظة: ابن
ا هيرميس وأفروديت محلقة النهدين هو.
وصف خريستودوروس

جاء البائع الجوال الشاب من سيدون
دون أن يخشى بوسيدون.

خصلات شعره داكنة السواد، ورداؤه بلون الأرجوان
مثبت عند الكتف بمشبك ذهبي،

يضوع جسمه بأريج المساحيق والسعتر
دخل قبرص من بوابة البحر عند فوماغوستا

وها هو يجوس في ضياء الشمس أزقة نيقوسيا
وعند فناء وقفت شابة تركية:
تشذب بأصابع من عاج عواسج متسلقة
فتتمايل خجلى تحت لمساتها.
يجتاز البائع الجوال نهر الشمس
مثل إله يسير على الأرض،

يترنم هامسا مثلما في حلم بأغنية «الورد في منديل»
كما لو كانت شفتاه القرمزيتان
تتوقان في مسيرته لتقبيل مواطئ أقدام زيوس.
يمضي في مسيرته هكذا، ثم يجلس
إلى جوار عمدان باب قوطي
حيث صور أسد مرقس
يصوب النظرات
إلى راع استبد به النوم

وقد فاحت منه

رائحة الجديان والعرق.

أسند البائع الجوال ظهره، ودس يده فى عبه

أخرج تمثالا صغيرا من الطين المحروق

راح يتأمله:

على مضجع نسائى فتى عارى الجسد،

بين هيرميس الأجوف وأفروديت الحدباء، يتقلب فى كسل.

٨٢- **أفراس

وامتطت الملكة الفرس الرائع مارجيريتا
الذى كان لزوجها الملك بيتر. وجلست
الملكة على ظهر الفرس الرائع كما تجلس
النساء. وأمرت تابعها بوتسوريللو أن
يحتفظ بمهمازيها، وقالت له «عندما
أومئ إليك، أدر قدمى كى أجلس جلسة
الرجال»

مذكرات ماخيراس

خطاب إلى ماسترو

فى دمشق ليلة عصانى فيها النوم
ظهرت لى فى الرؤيا سيدة مبجلة

من أسرة النبي.

سمعت وقع حوافر مثل دنانير فضية تتقاطر

ثم رأيتها تغذي السير على متن فرسها في اتجاه لارناكا

وبدت كما لو كانت تجتاز تلالا من الملح

وبقيت هناك بين أغصان نضيرة

أقضم نبتاً من أيكة ريحان

شعرت وخزاً في عيني، وتغشاهما شحوب

ربما كان ذلك من تأثير الملح أو ربما كان طيفها هو السبب

ثم ند من الشجيرات صوت همس يقول:

«هنا زلقت دابتي. وهذا الحجر

قصم رقبتي السامقة

وأسلمت الروح مظفرة

وبنعمة الرب ممتلئة

ما كان باستطاعة فرس تحمل كل هذا العبء

لا تنس ذلك، ولا تلق عليه اللوم».

قالت ذلك ثم اختفت. ومع ذلك حتى اليوم

لازال فرسها في مخيلتي يرعى الكلأ،

مثل الفرس الآخر الذي توقف قلبه وأدركه الموت

عندما أنزل من على ظهره نعش الأخوين

اللذين هناك في القرية البعيدة،

أطاح الجلاد، ظلماً، برأسيهما.

ولكن ماذا بوسعي أن أقول عن أعظم الجميع شأناً، في بلد

نُسِيَ فيه أولئك الذين عاشوا في حمى القلاع

مثلما يَنْسَى التراب؟

ماذا بوسعي عن دابة الملكة اليدورا ذائعة الصيت، أن أقول.

إنها لاتزال تجوب الآفاق حرة على أجنحة الشهرة

المهمازان الذهبيان بمحاذاة بطنها

وعلى السرج شمخ القوام

وعلى وقع الحوافر يرتج النهدان

الممتلئان مثل الرمان

وعندما أحضر أهل نابولي ولومباردة وجينوه

قميص الملك المقتول غيلةً مخضبا بالدماء
صائحين متهمين أخاه اللعين جوان
لنا أن نتصوركم حمحم الفرس
وكأنه ليس مجرد دابة لا تعي الأحزان
بل مثل كلب أمين.
هناك في الحظيرة
مزينة بأغلى ما تزين به الخيل من تجافيف
وحلّيَ كفلها بالذهب
- كم حمحمت مارجريتا، الفرس الأسبان.

٨٣-بينثيوس

أنام، ويظل هو يقظان،

ملأه النوم أحلاما عن فاكهة وأوراق شجر،

بينما حالت اليقظة بينه وبين التقاط حتى حبة توت.

افترسه الاثنان معا، اليقظة والنوم، ووزعا على الباخوسيات أطرافه.

٨٤ـ نيوفيتوس ا نجليستري يتحدث

في كتاباته عن قبرص

... ها هو الملك إسحاق يسجن في قلعة
اسمها ماركابو، أما الذل الذى أوقع به،
وكان بدوره ملكاً، فلم يمسس صلاح
الدين بأذى، كل ما فعله أن باع البلد
ثلاثين لقاء ألف ومائتي جنيه من ذهب.
ولهذا كان البكاء ـ كما يقال ـ كثيراً
والدخان الوافد من الغرب لا يطاق...

نيوفيتوس الانجليستري

شامخة كانت عمائر هيلاريا، وفاماغوستا، وبوفافينتو.

وكنا قد اعتدنا أن نفهم على نحو آخر مقولة:

«النصر للمسيح»

إذ رأينا ذات يوم أسوار المملكة

وقد تشوهت بالطيق وخيام الفجر

والقلاع الضخام تهدمت، وبالأرض استوت

كنرد ألقى به عزيز قوم خسر المراهنة.

بالنسبة لنا كان الجهاد من أجل عقيدة المسيح

شيئا آخر.

وأيضا من أجل ابن الإنسان الجالس فى حجر قائدة المعارك،

التى احتوت عيناها، مثل قطعتين من الفسيفساء، ذلك البحر اللجب

من الأحزان،

أحزان اليونان، وقد هدأت من روعها نظرات الطيبة فى العينين.

فليؤد الصليبيون اللوسينيانيون

الآن أدوار الميلودراما

وليختنقوا فى زخم الدخان الذى جلبوه من الغرب.

دعهم يتعاركون، وينخرطون فيما لا يقدم ولا يؤخر
من شجار، مثل مركب في الريح مطوى الشراع.
مرحبا بكم في قبرص، يا سادة
قرودا كنتم أو جديانا!

انجليسترا، ٢١ نوفمبر ٥٣

٨ـ سلامينا . قبرص

..وسـلامـيـنـا

المدينة الأم، أ٠ -

اليوم ميعشا لهمومنا

اسخيلوس - الفرس

تارة، شمس الظهيرة، وتارة حفنة من رذاذ المطر

والشاطىء ملآن بكسرٍ من قدور قديمة.

الأعمدة قليلة، والقديس أبيفانيوس وحده

يكاد ينبئ عن قوة الإمبراطورية الذهبية المطمورة فى التراب.

الأجساد الفتية الولهانة مرت من هنا،

المضايق نابضة، والأصداف وردية، والأسماك

تسبح بلا خوف في الماء

والأحضان مفتوحة للعشق، مهيأة للقاء

والرب يبسط على الموج المتدفق سيادته

ويبارك هذا العبور.

سمعت حينئذ على الحصى وقع خطوات.

لم أر وجوها. كانت عندما استدرت قد رحلت.

أما الصوت فكان مثل دبيب دودة الحرير ثقيلاً

باقيا هناك في عروق السماء،

يتردد صداه في دحرجة الموج على الحصى، مرات تلو مرات:

«ليس للأرض روافع

تحمل منها على الأكتاف، ويمضي بها حاملوها

ولا بإمكانهم، مهما نال منهم العطش،

أن يزيلوا، بنصف درهم من الماء، ملوحة البحر مترامي الأطراف.

وهذه الأجساد المخلوقة من طين غير معلوم معدنه

لها أرواح.

يجمعون عُدَداً لتغييرها

وإذ لن يتأتى ذلك، سيعاد فحسب التركيب

لو كان بمستطاع اعادة تركيبها.

لا يتأخر القمح عن النضوج

ولا يلزم وقت طويل لتختمر عجينة الأحزان،

ولاكي يرفع الشر رأسه

والعقل المريض الذي أصابه الخواء، لايحتاج إلى كثير وقت

كي يشحن بالجنون،

والجزيرة هناك...،

يا أصدقاء الحرب الأخرى،

على هذا الشاطيء الذي تجلله الغيوم

والنهار في مضيه للانقضاء، أذكركم -

أذكر الذين ماتوا في المعركة،

وأولئك الذين سقطوا صرعى بعد المعركة،

وأولئك الذين رأوا الفجر من خلال ضباب الموت

أو في العزلة الشرسة تحت النجوم،

وأحسوا من فوقهم بالعيون البنفسجية

الواسعة تسلط عليهم نظرات الدمار الشامل.

بل وأذكرُ أيضا أولئك الذين

عندما كان الحديد المتقد يشق كيان السفن راحوا يصلون قائلين:

«يارب ، اجعلنا نذكر

كيف حدثت هذه الجريمة

هذا الاغتصاب ، وهذه المكيدة

نذكر نصوبب الحب هذا، وطغيان الأنانية.

ويارب، ساعدنا أن نقتلع جذور هذه الآثام جميعاً ...»

ـ الآن، ونحن واقفون على الشاطئ المفروش بالحصى، من الأفضل

أن ننسى.

لا يجدى أن نتكلم.

من يستطيع أن يغير رأى الأقوياء؟

كلمة من سوف تكون المسموعة؟
كلٌّ يحلم على انفراد ولا يلتفت لكوابيس الآخرين.

- هذا صحيح، ولكن حامل الأنباء يجرى سريعاً
ومهما كان طريقه طويلاً، فسوف يجلب
لأولئك الذين حاولوا أن يكبلوا المضايق بالأغلال
سوف يجلب إليهم من سلاميذا النبأ الرهيب.

صوت الرب يسود الموج
والجزيرة هناك.

سلاميذا، قبرص، نوفمبر ٥٣

٨٦ـ ذكرى (ب)

لهمبوس

تكلم جالسا على حجر من رخام

أشبه ببقايا عمود عفا عليه الزمان

عن يمينه، الحقول ممتدة خواء

وعن يساره، من الجبل تنزل ظلال المساء:

«يسرى القصيد في كل الأنحاء، وصوتك

بين الفينة والفينة يبحر إلى جواره

مثل دلفين يمضى برهة في صحبة مركب ذهبى

يمخر عباب الشمس ثم يختفى من جديد

ثم يختفي، كموكب ذهبي في الشمس. القصيد في كل مكان

مثل أجنحة الريح إذ تلمس

أجنحة النوارس وهلة في مهب الرياح.

الأمر يشبه حياتنا وعنها في الوقت ذاته يختلف،

مثلما يتغير

ومع ذلك يبقى على ما هو عليه وجه

المرأة إذ تتعرى من ثيابها. هذا يعرفه

من أحب؛ في الضوء الذي يرى عليه الآخرون اشياء

يتخثر العالم. ولكن تذكر أنت

أن هاديس وديونيسيوس صنوان. »

قال هذا، ومضى في الطريق الطويل

الذاهب إلى الميناء القديم الذي اضحى

اليوم مطمورا تحت ركامات الطحالب. والغسق

تخاله عاريا مثل جسد حيوان فارق الحياة.

لا زلت أذكره:

كان جوابا يسافر على شطئان ايونية، يزور مسارح

كالمحارات الخاوية

حيث تزحف السحالي وحيدة على الحجارة الجرداء،

وسألته «هل ستمتلئ من جديد يوما ما؟»

وأجاب «قد يحدث ذلك، ساعة الممات»

وجرى إلى الأوركسترا زاعقا:

«دعوني أسمع أخي!»

وكان الصمت من حولنا قاسيا

وليس له على بلور الزرقة بصمات.

٨٧- يوروبيدس ا ثينى

ادركته الشيخوخة بين نيران طروادة

ومحاجر صقلية

أحب تصاوير البحر وكهوف الشطئان.

رأى عروق الإنسان

شباكا تنسجها الآلهة لاصطيادنا مثل ضوارى الحيوان،

وحاول أن يمزقها.

كان رجلا حاد الطبع، قليل الصحاب

وعندما حانت ساعته مزقت لحمه وافترسته الكلاب.

٨٨ـانجومى

كان السهل فسيحا منبسطا، ومن بعيد ترى،

السواعد صاعدة هابطة تحفر الأرض.

وفى السماء، ارتسمت السحب أقواسا أقواس، هنا وهناك

صوت بوق ذهبى وردى، إنه وقت الغروب.

فى العشب القليل وفى الأشواك ، تنساب

بعد سكون المطر أرق النسمات. نزل المطر

فاستردت ألوانها هامات الجبال.

توجهت إلى الناس الذين كانوا يعملون،

رجال ونساء يحفرون بالمجاريف خنادق.

بدت تحت معاولهم مدينة قديمة، حوائطها ودروبها وبيوتها

متأبية مثل عضلات مردة متحجرة،

إبداعات بائدة، شرّحتها فحوص

أثرى، أو جراح أو طبيب تخدير.

أطياف وصنائع، شفاه وبهارج، كلها فى التراب مدفونة

وستائر الألم أزيحت

عن عرى قبر ما عاد يكترث.

رنوت إلى حيث انكب الحفارون على العمل،

الأكتاف مشدودة والأذرع تدق

صمت الموت فى إيقاع ثقيل متلاحق

كما لو كانت عبر الخرائب تمر عجلة القدر.

وفجأة وجدت نفسى سائراً، وماكنت أسير

نظرت إلى الطيور، ميتة كالحجر وما عادت تطير،

نظرت إلى أثير السماء، فكان حافلاً بالتساؤلات

نظرت إلى الأجسام المنكبة على العمل. كانت ساكنة

ومن بينها وجه يَرْقَى الضياء.

تدفق الشعر الأسود على رقبة القميص، والحاجبان جناحا عصفور،

وأرنبتا الأنف

قوسان فوق الشفتين،

والجسد انبثق من بين الأذرع المجاهدة عاريا

كاشفا عن نهدى ربةٍ غير ممسوسين

فى رقصة سكنت حركاتها.

وخفضت عينى لأستوعب كل ما حولى،

فتيات يخبزن ولا يلمسن عجين

نساء يغزلن، ومغازلهن لا تدور

حملان تستقى، والسنتها تتدلى بلا حراك

على مياه خضراء تبدو ساجية

والفلاح وقف بمحراثه مسمرا.

عاودت النظر إلى الجسد الخارج من الأرض.

تجمع الناس من حوله مثل النمل

رشقوه بالحراب فلم ينجرح

لمع البطن الآن وضاء مثل القمر

وبدت لى السماء كأنها الرحم

الذى خرجت منه إلى الحياة ،والذى أيضاً استعادها إليه ـ

استعاد الأم وطفلها.

سكن القدمان سكون الرخام

وفى الوقت ذاته اختفيا عن العيان:

هذا مجرد ظن.

عادت الدنيا لتصبح كما كانت، دنيانا نحن،

دنيا التراب، دنيا الزمن

بدأت روائح النفط الخفيف

تهتاج على المنحدرات القديمة للذاكرة

نهود بين أوراق الشجر، شفاه مبللة،

وكل شئ أدركه الجفاف فوراً على امتداد السهل المنبسط،

بين يأس الحجارة، وانسحاق السطوة المتردية،

في ذلك المكان الخواء ذي الأشواك والعشب الضئيل

حيث ينساب ثعبان لا يلوي على شيء،

وحيث يحتاج الموت إلى وقت طويل.

٨-قطط القديس نيقو

ومع ذلك،

فــإن قــلــبــي يــفــنــي بــداخــلــي

بــلاقــيــثــار بــصــاحــب الــغــنــاء

أنا إلهة العقاب لم يحدث لأحد أن

علمني البكاء ومع ذلك، وا أسفاه! ضاع

مني

مــا لــلأمــل الحــلــو مــن مــضــاء،

اغاميمنون.

قال لي القبطان «يبدو هناك كهف القطة ...»

مشيرا إلى شاطئ خفيض يلوح في الضباب

كنا يوم عيد الميلاد، وكان الشاطئ خاليا من كل نسمة

أردف قائلا:

«وباتجاه الغرب هناك المكان الذى فى سالف الأزمان أنجب الموج فيه

أفروديت.

يسمون المكان صخرة اليونان.

ثلاث درجات يسارا!»

كان للقطة التى فقدتها العام الماضى عينا سالومى

وكانت لها فى مواجهة الموت نظرة خاصة

تمضى هذه الالهة الصغيرة حارسة الديار

تحدق فى وجهه تحت شمس شرقية دب البرد فى أوصالها أياما طوالْ.

امض فى طريقك أيها المسافر.

ويتمتم قائد الدفة فقال «ثلاث درجات الى اليسار»

... ربما كان صديقى

وقد نزل إلى اليابسة اعتزل الأسفار الآن

أغلق الباب على نفسه فى بيت صغير حافل بالتصاوير

يبحث بين أرجائه عن نوافذ خلف الأطر.

دق جرس السفين

مثل رنين عملات لمدينة اندثرت

وعادت تنثر صدقات من زمن غابر لتحيا من جديد.

عاد القبطان يقول «غريب

أمر هذا الرنين - ولازال الوقت نهارا.

يذكرني بذلك الآخر، من جرس الدير القديم.

والقصة رواها واحد من الرهبان،

شبه مجنون، كان يحيا غارقا في الأحلام.

في زمن الجفاف الأكبر

- أربعين عاما لم تمطر السماء -

أ - - الجزيرة كلها خراب

كانت الناس تموت وتولد الحيات

ملايين الحيات على هذه اليابسة

سامة

وغليظة مثل سيقان البشر.

كان دير القديس نيقولا في ذلك الحين يتبع

رهبان القديس باسيلى

ولم يكن بإمكانهم أن ينزلوا للعمل بالحقول

ولا أن يخرجوا للرعى بقطعانهم،

فأنقذتهم القطط التى كانوا يربونها.

فجر كل يوم يدق جرس

فتتحرك شراذمها وتمضى إلى المعركة.

طوال النهار تهاجم وتنقض حتى

يؤذن لها بوجبة العشاء.

ثم يدق الجرس

فتخرج لحرب الليل من جديد.

يقال إن منظرها كان رائعا

بعضها يعرج، والبعض فاقد الأبصار

واحدة بلا خطم، والأخرى مصلومة الأذن، وفراؤها جميعا في أسوأ الأحوال.

وهكذا بأربعة أجراس كل يوم

مضت شهور تلو شهور، وسنين تلو سنين، وولت الأزمان اثر الأزمان.

عنيدة شرسة، وعلى الدوام مثخنة بالجراح

اندثرت الحيات، ولكن ماعاد للقطط أيضا فى النهاية وجود

لم تحتمل كل ما تجرعته من ذاك السم الزعاف.

كل سفين غرق

لم يبق طافيا على السطح شيء

لا مواء ولا أجراس.

«إلى الأمام سر»

وماذا كان بوسعها تلك المسكينة

وهي تحارب وتجرع ليل نهار

دماء الثعابين

دهورا تلو دهور، سموما اثر سموم،

وجاء صوت قائد الدفة بغير أكتراث يجيب:

نحن إلى الأمام نسير!»

ث قصائد كتبت فى الخفاء

٩٠-على شعاع شمس شتاء

(أ)

من اناء صفيحى تبعثرت أوراق

فياللعقل المسكين الذى لمح على مشارف النهاية

شذرات وضيئة تنطفئ

أوراق تدور فى دوامة مع نوارس

ملأها الشتاء ضراوة .

كلما تحرر صدر

أضحى الراقصون أشجارا

واضحت الأشجار الجرداء غابة كبيرة.

(ب)

تحترق الطحالب البيضاء

تيزغ من اللجة جنيات بلا أجفان

وكانت فيما مضى تتراقص

لهبا من رخام.

اكتسى وجه البسيطة بالثلوج الآن.

( )

أورثني صحابي الجنون

بمراصد، ومكبرات،

ومناظير تقرب أشياء

من الأفضل أن تبقى نائية البعاد.

لعمرى أين ستقودنا هذه الدروب؟

ولكن ذلك اليوم الذى بدأ فيه كل هذا

ربما لم ينطفىء بعد

ربما لازال يتقد في وهدة مثل وردة حمراء

وفي بحر أثيرى عند قدمى رب العباد.

(د)

قلت منذ سنين:

«حقيقة الأمر أنى بالأعماق ضياء»

وحتى الآن، وأنت تسند رأسك

على منكب النوم العريض

بل وأيضا عندما

من على صدر البحر النشوان، يُدْفَعُ

بك إلى الأغوار

تتلمس هناك أركانا

تهرأ فيها الظلام، وماعاد يحتمل البقاء

تنشد بكل جلاء الريح المقدر له أن يثقب قلبك

كى تتدفق منه الضياء.

(ن)

أى نهر طافح الكيل هذا الذى جرفنا؟

رسبنا فى القاع.

يجرى التيار فوق رؤوسنا

وينثنى فى جريانه العيدان اللينة.

الأصوات

تحت شجرة القسطل

أضحت حصوات

تتقاذفها الصبية.

(هـ)

أنفاس قصار تلو أنفاس، ثم هبة ريح

تنفض الكتاب عن كاهلك

تمزق من أوراق الأسلاف ما أضحى غير ذى فائدة

وتطل على ثيران ضخام تركض فى المراعى

أو على أمازونات غضة الإهاب تصبب العرق

من أخاديد أجسامها التى

لا تكترث بغير التنافس على القفز والمصارعة.

نسمات ترد الروح إلى الجسد الموات فى فجر يوم

ظننت أن الشمس اشرقت فيه.

(و)

النار بالنار تشفى

وليس باللحظات تترى قطرة قطرة

بل بوهج مباغت مكتسح

مثل رغبة تواصلت بالرغبة الأخرى

وظلت بها ملتحمة

أو مثل

إيقاع موسيقى ظلت راسخة

هناك في المعزف مثل تمثال

باق في مكانه لا يتزحزح.

ليست هذه أنفاسا عابرات

بل أحكام هي أملتها الصواعق.

٩١ـ عن المسرح

(١)

أيتها الشمس، تلعبين معى

ومع ذلك، ليس هذا الذى تؤدين رقصا

كل هذا العراء

يكاد يكون دماء

غابة ضارية

ولكن مامن غابة هناك

وبعد ـ

(ب)

سمعت نواقيس

وأقبل الرسل

لم أكن أنتظر مجيأهم

بل وكنت قد نسيت حديثهم

يحملون الثمار في سلال

ثيابهم بادية الطلاوة، والأرتياح مرتسم على وجوههم

دهشت وتمتمت أقول:

«يعجبني المسرح»

وسرعان ما امتلأت المقاعد

وعلى الخشبة خفت الأضواء

كما لو أن جريمة قتل يدّبر لها في الخفاء.

(ﺟ)

وأنت عمّ تبحثين؟ بدا على محياك الأرتباك

كنت قد نهضت توا

تركت الأغطية تبرد

وغادرت حمامات الأنتقام.
سالت قطرات على كتفيك
وعلى بطنك
قدماك عاريتان تحوطهما جزازات من العشب
وفي التراب مغروستان
وأولئك الثلاثة
بوجوه هيكاتي الجسور
سعين لأخذك معهن.
عيناك محارتان فاجعتان
والحلمتان حصاتان قانيتا الحمرة ـ
لا أعرف عن الترتيبات المسرحية شيئاً.
تعالي من الآخرين الصراخ
وبقيت أنت مغروسة في التراب
تمزق الهواء بالإيماءات من حولك
جلب اليهم الخدم النصال
وبقيت أنت مثل شجرة سرو
مغروسة في التراب.
سحبوا النصال من الأغماد

وجرت لطمنك محاولات

عندئذ فحسب صحت قائلة:

«فليأت من يريد أن يخمدني،

ألست أنا البحر صاخب الأمواج؟»

(د)

كيف أضحى البحر هكذا، كيف؟

غبت بين الجبال ستين طوال

أعماني لمعان الآبار.

أنتظر عند هذا الشط الآن

أن يحط شخص هنا الرحال

أو يجنح حطام، أو تفد بقية مما كان.

ولكن ألا يجوز أن يكون البحر قد امتلأ بالجراح؟

شقه ذات مرة دلفين

وذات مرة أخرى طعنه نورس بحد الجناح.

ومع ذلك كان الموج حلوا
حين كنت ألقى بنفسى فى حضنه طفلا وأسبح
بل وأيضا في شبابى
وبينما كنت بين الحصى عن أشكال
وعن إيقاعات أبحث
حدثنى شيخ البحر، قال:
«أنا بلدك.
ربما لا أكون شخصا ذا بال
ولكن بإمكانى أن أصبح من تريدنى أن أكون».

(س)

من ذا الذى سمع فى وضح الظهيرة
صليل النصل على حجر المسن؟
أى فارس هذا الذى جاء
يحمل الشعلة والوقود؟
الكل يتنصل مما حدث
ويؤكد براءته.
بل منذا الذى مزق أحشاء
المرأة والرضيع و أشعل النار فى البيت؟

ما من وجود لجان ولا دخان هناك

منذنا الذي رحل

تدق حوافر جواده البلاط؟

الغوا عيونهم، أضحوا عميان.

ما عاد ثمة شهود على شيء.

(لك)

متى ستعاود الكلام؟

كلماتنا أولاد بشر كثيرين

تبذر وتولد مثل الأطفال

ترسّخ جذورها وتتغذى على الدماء

هي مثل أشجار السرو

تحافظ للهواء على شكله

رغم أن الهواء رحل وماعاد له وجود هناك

وبالمثل الكلمات

تحافظ للإنسان على شكله

رغم أن الإنسان رحل وماعاد له وجود هناك

ربما تسعى النجوم للكلام

تلك النجوم التى وطأ ضياؤها ذات ليلة عِرْيكِ الشديد
البجعة والقوس والعقرب
ربما تسعى إليك بالكلام هذه النجوم
ولكن أين ستكون لحظة أن تأتى الضياء إلى هنا، إلى هذا المسرح،
أين ستكون؟

( )

ومع ذلك، هناك على الشاطىء الآخر
تحت ظلال الكهف السوداء
كنت أيتها الشمس على أكتاف الطير وبعيونه
تبصرين وتتألمين
الحب عناء آخر
الشروق حضور جديد
والمخاض قيامة
ومع ذلك كنت هناك
فى جمال الزمن المتنامى تولدين من جديد
لحظة بلحظة، مثل الصمغ الذى يقطر من سيقان الشجر
مثل الهوابط والصواعد فى الكهوف بشكل الجليد المتحجر.

٩٢ـ المنقلب الصيفى

(١)

أكبر الشموس فى ناحية

وفى الناحية الأخرى القمر الجديد

مثل ذينك النهدين فى الذكرى البعيدة .

يفرق بينهما ليل ساطع النجوم

والآن طوفان الحياة .

تركض الجياد

وقد تصبب منها العرق

على جثث مبعثرة فى البيادر .

الكل يذهب إلى هناك

حتى تلك المرأة

التي رأيتها يوما جميلة

تنحني ثم على ركبتيها تنثني وما عادت تحتمل عبء السنين

حجر الطاحون يسحق كل شيء

ويصيره نجوم.

وغدا أطول الأيام.

(ب)

يرى الجميع رؤى

ولا يعترف أحد بذلك

يمضون معتقدين أنه لا أحد

رآها غيرهم.

كانت الوردة الكبيرة

على الدوام هنا

بجانبك وفي أعماق نومك

كانت دون أن تعرف لك.

ولكن الآن فحسب وشفتاك تلمسان

أوراقها النائية
شعرت بما لسقطة الراقص من ثقل جسيم
وهو يهوى إلى نهر الزمان.
وبجيشان الموج المخيف عند ارتطامه به.

لا تبدِّد إذن النفحة التى منحتها لك
وهلة الحياة الوجيزة هذه.

([illegible])

ومع ذلك، فى هذا النوم
يتردى الحلم
فى الكوابيس بيسر
مثل السمكة التى و[illegible] تحت الموجة
واندست فى وحل الأعماق.
أشبه بالحرباء عندما يغير جلدها الألوان
يعلن القوادون والعاهرات عن أنفسهم
فى المدينة التى استحالت مأخورا
بالعطن من الإغراءات.
وترتدى الأبنة التى جلبتها الأمواج

جلد البقرة

كي يعتليها فحل الثيران.

والشاعر

تقذفه الصبية بالقاذورات

وهو يرى التماثيل تقطر دما.

يجب أن تصحو من هذا النوم

أن تخرج من هذا الجلد المضروب بالسياط.

(د)

في الريح المجنونة تعلو وتهبط

دوامات الكناسة

تدور يمينا ويسارا.

تتصاعد أدخنة رفيعة قتالة

تسري خدرا في أطراف البشر

فتتعجل الأرواح

فراق الاجساد

عطشى لا تجد في أي مكان قطرة ماء.

تتخبط وتلصق هنا وهناك

طيورا تردت في صمغ الشراك

ترفرف بلا جدوى جناحيها
إلى حين لا تقوى على رفع الجناح.

يذوى البلد ويمضى إلى هزال
حتى يضحى جزءاً من طين عجاف.

(ن)

لم يعد لدى الناس الملتحفين بالأغطية المخدرة
من عطاء
سوى هذه النهاية.
فى الليلة الدافئة
كاهنة القمر
عاليا عند السطح
تبتهل عارية الصدر مكتئبة لقمر صناعى، بينما
راحت خادمتان صغيرتان تغالبان النعاس
وتقلبان فى قدر من نحاس
أكاسير فواحة عاطرة
كى ينال محبو العطور فى الغد كفايتهم.

فى زينتها وانفعالاتها الجموح
تشبه ممثلة المآسى القديمة
بل ويدأ الطلاء يتخثر على وجهها.

(س)

تحت أشجار الغار
وأشجار الدفلى البيضاء
تحت الصخرة الشائكة
والبحر الزجاجى صقيل عند أقدامنا
تذكر الرداء الذى كنت تراه
ينفك وينزلق على عرى الجسد
ويسقط حول أخمص الساقين
هامدا.
آه، لو أن هذا النعاس سقط بدوره
وسط أشجار الغار حيث يرقد الموتى.

(ص)

أنفاس شجرة الحور فى البستان الصغير
تحصى ساعاتك
ليل نهار.

البستان الصغير ساعة مائية، تشغلها السماء.

وفي ضياء القمر الساطع

تجرجر أوراقه على السور الأبيض خطواتها السوداء.

عند الحدود أشجار سرو قليلة.

ومن بعدها رخاميات وزخارف أضواء

وأناس على ما خلق عليه الناس.

ولكن هناك أيضا الطائر الأسود ينقنق

قادما كي يشرب

وتَسْمَعُ بعض الأحيان صوت اليمام.

في البستان الصغير، بستان العشر خطوات

بإمكانك أن ترى ضوء الشمس

ساقطا على زهرتي قرنفل حمراوين

وعلى زيتونة وقليل من الياسمين.

تقبل راضيا هذا الذي لديك.

والقصيدة

لا تدسها عند جذور سرو موغلة في الأرض

بل فقط تعهدها بما لديك من تراب وصخر

ولو احتجت إلى المزيد

أبحث عنه في المكان ذاته تجده.

(لك)

الورقة البيضاء مرآة متأبية
تعكس فحسب ما كنت عليه.

الورقة البيضاء تتحدث بصوتك
بصوتك أنت
وليس بالصوت الذى يحلو لك.
أغنيتك هى تلك الحياة
التى بددتها
وقد يكون بإمكانك أن تكسبها من جديد لو أردت
و تشبثت بذلك الشيء ضئيل المبالاة به
الذى إلى الخلف يلقى بك
إلى حيث بدأت.

سافرت، شاهدت أقمارا وشموسا كثيرة
لامست أمواتاً وأحياء
أحسست بألم الفتيان
وأوجاع النسوة

ومرارة الطفل غض الاهاب.
ما أحسست به ينهار فاقدا سده
ما لم تستأمن هذا الخواء.
ولعلك واجدا هناك ما اعتقدت أنه ضائع لا وجود له؛
ذلك الذي يفسر لك حقاً نبت الشباب وغرق سني العمر.

حياتك ما أعطيت
وهذا الخواء ما أعطيت
هذه الورقة البيضاء.

(ل)

كنت تتحدث عن أشياء لم يكونوا يرونها
وكانوا يضحكون.
لكنك كنت تجدف صاعدا ضد ظلمة التيار
تمضي في طريق الصواب
مغمض العينين يملؤك الاصرار
تبحث عن كلمات راسخة القرار
مثل شجر الزيتون أثيث الجذور.
دعك منهم وإن كانوا يضحكون.

فى العزلة الخانقة لهذه الأيام
فى هذا الحاضر الذى يمضى إلى زوال.
دعك منهم.

النسمات البحرية ورطوبة الفجر
لا يتوقف وجودها على طلب من أحد أو أمر.

(م)

ساعة صيرورة الأحلام حقيقة
فى ضياء الفجر الرهيف
رأيت الشفاة وردة تتفتح
أوراقها.
ومض فى السماء منجل نحيف
فخشيت الحصاد.
البحر الذى يدعونه سكينة
مراكب وأشرعة بيضاء
نسمات تهب أنفاسا لاهثة
من أشجار السرو وجبال الجزيرة
أنزلقت بشرتك فى يسر

على بشرتها الدافئة مثل

إرهاصة خاطرة سرعان ما أدركها النسيان.

فى المياه الضحلة

أخطبوط أصابه صياد. نفث حبرا

وغاص فى الأعماق.

ولكن إسأل الذاكرة كم امتدت الجزر الجميلة على مدى البصر.

كنت أنظر إليك بكل ما فى من ظلمة وضياء.

(و)

الآن تتفصدُ الدماء

وقد ازدادت البوتقة اشتعالا

فى أوردة السماء

تسعى للأفلات من الفناء

على رجاء أن تظفر بفرحة البقاء.

الضياء نبض

يبطىء ويزداد خفوتا

ويبدو كما لو كان على وشك الانطفاء.

(   )

بعد قليل ستطلع الشمس

سرت همهمات أطياف الفجر

إلى القواقع العطشى.

غرد الطائر ثلاث مرات، ثلاث مرات فحسب

وبقيت السحلية

ساكنة على الحجر الأبيض

معلقة الانظار بالعشب الجاف

حيث انسابت أفعى الشجر.

جناح أسود يرسم خطا عميقا

هناك عاليا في القبة الزرقاء.

انظر إليها. إنها ستنشق.

آلام المخاض والقيامة.

(ى)

الآن،

بقايا قلم العراف المتآكل

ولمعان البحر فى وهج الصيف

وعُرْى الحياة كلها؛

السير والوقوف والرقاد والانتفاضة

الشفاة والجزة الملساء

كل هذا يسعى إلى الاحتراق.

مثل شجرة السرو فى الظهيرة

يسيل من جذعها الصمغ على كل جانب

تتعجل أن تلد نارا

وما عادت تحتمل العذاب ..

ناد على الأولاد ليجمعوا الرماد

ويذروه.

ما حدث حدث، وبحق.

وحتى ذلك الذى لم يمض إلى الحريق بعد

يجب أن يحرق

هذه الظهيرة التى تسمرت فيها الشمس

فى قلب الوردة ذات الأوراق المائتة.

القسم الثالث: سفيريس ونسيجه الشعرى

جورج سفرياديس-

الفصل الأول: الحداثة

يختار سفيريس الطريق الشاق للتعبير عن رؤاه الشعرية. وفى بعض الأحيان يكون هذا الطريق مضنيا حقا، ليس بالنسبة للشاعر الذى يجتاز تجربة «التعبير الحديث» - التعبير غير المباشر الذى يتجاوز حتى آفاق الرموز وأطرها - بل وأيضا بالنسبة للقارئ الذى يكاد يستعصى عليه استيعاب مرامى الشاعر وتبين مضامين رسالته.

واللوحات فى قصائد سفيريس رحيبة، تمتد طولا وعرضا، من البحر إلى اليابسة، من الحياة إلى مابعد الموت - إن كان للموت بالنسبة للشاعر وجود - من المشهد اليومى العادى إلى نجاوى قلوب دفنت فى الثرى، وإن كانت لاتزال بالوجد نابضة، من السماوات الحافلة بأطياف النجوم وقدامى الآلهة إلى أعماق الأرض، حيث تجرى فى صمت مهيب آبار من المياه لازالت نقية طاهرة، لم

تصممها شفاة، ولا دنستها أنامل فانية، تحتضن أسرارا وأسرارا، وتتوق إلى التدفق لتروى بساتين، وتتمنح من الثمار والأزهار مالم تره من قبل عين، ولم تسمع به أذن. والحركة الدرامية السارية فى هذه اللوحات تخلق فيها الحكمة الرصينة بشتى صنوف الحماقة، ويلتحم الشجن الإنسانى بالتهكم المأساوى.

وفى كثير من الأحيان، لا تتسم صور سفيريس بالغموض فحسب، بل وأيضا بالفجائية والعفوية، التى تجعل تقاريب تلك الصور أمرا صعبا، إن لم يكن مستعصيا على فهم القارئ. ويكون محتما عليه أن يجهد نفسه فى أن يقيم منطقا خاصا - يواكب منطق الشاعر المغرق فى الذاتية (وإن استمسك بمفردات الطبيعة، والأماكن، والأزمان، والناس ، والأساطير، والأقدار) - كى يتوصل القارئ إلى ترويض القصيدة، والاستحواذ على معانيها.

ليس من شك فى أن صور سفيريس صور، موغلة فى الغرابة، سريعة التبدل، ويقوم تجاورها على محض الصدفة. على أن صور سفيريس مهما تغربت واتجهت إلى المعاصرة، احتذاء وتشبها بالاتجاهات الحديثة فى الشعر الأوروبى، إلا أن هذه الصور يمضى ينبض على الدوام بأعماقها التراب اليونانى. فإذا ماتحدث سفيريس فى قصيدة مثل «الطائر الغرد» عن الطبيعة، فهى الطبيعة اليونانية: البحر- السفن الغارقة - الأشجار بشتى فصائلها التى تكسو سفوح الجبال حتى قممها - تماثيل الرخام. بل وحتى عندما يتحدث سفيريس فى الطائر الغرد» وهو اسم سفينة غارقة، عن «شجرة ليمون تزهر» فى أيدى أجنبية فهو يتحدث عن «الحضارة الإغريقية» التى احتفظت بها أوروبا، ومن بعدها العالم كله - أو لم يحافظ على «شجرة الليمون»

هذه العالم الإسلامي بدوره؟ ـ وعندما يفد إلينا صوت العجوز في نهاية القصيدة يضيء بأعماقنا وجه سقراط شارب السم عن طيب خاطر، من أجل العدالة، والسكينة والتقدم.

وقصائد سفيريس حافلة أيضا بالاقتباسات والإحالات إلى شذرات من قصائد وأغان وكتابات لآخرين، قديمة وحديثة ، شعبية وكلاسيكية، من شتى اللغات والآداب. وهذا إن دل على شئ فعلى أن سفيريس لايريد أن يبدو عطاؤه صادرا من فراغ، بل هو يربط هذا العطاء بأواصر صداقة وقربى بأعمال لمبدعين آخرين.

وقد يبدو سفيريس أيضا من خلال ذلك واسع الاطلاع متنوع الثقافة، إلا أنه ما قصد ذلك لذاته في عطائه، والذي يجدر الالتفات إليه فيما يطعم به سفيريس قصائده من شذرات من أعمال الآخرين أو إحالات إليها أن كل هذا لا يطغى على نصه ولا يجور عليه. بل إنه على العكس يؤازره، ويعمق أبعاده، ويزيده انتماء وتأصيلا. فهاهي على سبيل المثال قصيدة «الغراب» تبين عن مدى حب سفيريس وارتباطه بالشاعر الأمريكي الكبير ادجار آلان بو صاحب القصيدة المشهورة بالعنوان ذاته، وقصيدة سفيريس مهداة إلى ذكرى ذلك الشاعر العظيم.

كما أن قصيدة سفيريس «الملائكة بيضاء» هي مثال آخر، ضمن العديد من الأمثلة، التي يعبر فيها الشاعر اليوناني عن ارتباطه بمبدعين آخرين، قدامى ومحدثين. وهذه القصيدة التي أدرج سفيريس عنوانها بالفرنسية، وكذلك ماورد تحت العنوان من سطور مأخوذة من رواية للكاتب الفرنسي الشهير بلزاك بعنوان «لوى لامبير» حيث يقول «وفجأة ، توقف لوى عن دعك ساقيه الواحدة بالأخرى،

وقال بصوت وئيد: الملائكة بيضاء *. كما يهدى سفيريس قصيدته هذه إلى الروائى الأمريكى هنرى ميلر صاحب روايتى «مدار السرطان» و «مدار الجدى» وقد كانت مقالة هنرى ميلر المنشورة فى الأربعينات عن سفيريس تعريفا باكرا بهذا الشاعر ** .

كما أفصح سفيريس عن ارتباطه بفنون أخرى غير الشعر والأدب مثل الموسيقى (موريس رافيل) والباليه (نيجينسكى) والتصوير (الجريكو) بل وسمى بعضا من قصائده «رسوما» وعبر عن ذلك الارتباط أكثر من مرة فى قصائده.

وربما كان نهج سفيريس فى تطعيم قصائده بأنفاس إنسانية لمبدعين آخرين من جنسيات متنوعة فضلا عن دمج الطبيعة والأساطير بشذرات من التاريخ الحديث، *** هو الخطوة الأولى التى نقلت الشاعر اليونانى من المحلية إلى العالمية، ولفتت إليه أنظار نقاد وشعراء أجانب كبار مثل ت. س. إليوت، مما أوصله فى النهاية إلى

(*) يتكرر عند سفيريس تعبير أبيض مثل نوم الليل وربما كان ذلك تأثرا بقول الفرنسيين «الليالى البيضاء» ويقصدون بها «ليالى السهاد والأرق» كما يتكرر فى شعر سفيريس وصف «عيون العميان» بالعيون البيضاء. ويبدو أن البجع صلة بأسطورة تتعلق بقتل الصبايا أو بشئ من هذا القبيل ويعمد سفيريس فى قصيدته «الملائكة بيضاء» إلى استدعاء تلك الأسطورة، وإذابتها فى أبياته حتى لا تبدو مباشرة للعيان.

وعلى أى حال فإن قصيدة سفيريس «الملائكة بيضاء» تدعونا إلى تسجيل دراية الشاعر بالألوان وتذوقها، فإن سمرة كف صبية أعرابية، تكاد تعادل اللون البنفسجى أو لون البنفسج. وبدلا من أن يقول الشاعر «يد سمراء» وهو قول معتاد يقول «يد بنفسجية» لأن الشمس إذ تلوحها تحيلها إلى درجة لونية أقرب إلى اللون البنفسجى. وسوف نرى هذا اللون فى لوحات الفنانين على وجه الخصوص.

(**) وكلمة هنرى ميلر هذه معروضة فى مقالة الأستاذ نيقولا يوسف بعنوان «سفيريس: الشاعر اليونانى المعاصر المنشورة بمجلة «الأدب» البيروتية - عدد يولية ١٩٦٧ .

(***) وعلى سبيل المثال ترد إشارة فى البيت العاشر من قصيدة «الملائكة بيضاء» إلى تقسيم بولندا بين الألمان والروس عام ١٩٣٩ .

الحصول على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٣ .وتتجلى تجريبية سفيريس وانفتاحه على الشعر في الشرق والغرب في التفاته إلى «الهايكاي» وهو أسلوب من الكتابة الشعرية عرفه الأدب الياباني، وتبناه الأدب الأوروبي في الربع الأول من القرن العشرين. وفي ديوانه «كراسة التمارين» ينسب سفيريس مقطوعاته الست عشرة القصار التي احتذت النمط الياباني إلى عام ١٩٢٩ . وهو ما يدل على معرفة سفيريس الباكرة بالاتجاهات العالمية في الكتابة الشعرية، وتحمسه لها، مما كان أحد الأسباب التي اعتبر من أجلها مجددا في الشعر اليوناني الحديث، بل وفي الشعر الأوروبي قاطبة.

وتلك الكلمات القليلة لماركوس أوريليوس التي تتصدر هذه القصائد القصار تذكرنا بقول شاعر الرومان الكبير الأكثر استقامة في كتابه (التأملات ـ الكتاب الثالث: ١ ـ ١٠) «اطرح عنك إذن كل شيء، ولا تحتفظ إلا بهذا القليل. ولاتنسى أن كلا منا لا يحيا إلا هذه اللحظات القصار التي تسمى حاضراً».

كما أن عنوان المقطوعة التاسعة من هذه القصائد التي يمكن أن نسميها «اليابانية» مستقى من عنوان قصيدة للشاعر الفرنسي بول فاليري كتبها عام ١٩١٧ .

وكما أن الهايكاي هو أسلوب لكتابة القصائد القصار استجلبه الأوروبيون من الأدب الياباني، كذلك فإن «بانتوم» الذي سمى سفيريس إحدى قصائده به هو أسلوب لكتابة القصائد استوحاه الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هوجو من الكتابات الماليزية. وعلى ذلك، فإن سفيريس يقصد بهذا العنوان إنه يكتب قصيدته على نهج «قصائد البانتوم» التي يكتبها شعراء ماليزيا، ومن بعدهم فيكتور هوجو.

على إنه لما هو جدير بالوقوف عنده أيضا ماعنون به سفيريس إحدى قصائده، وهي قصيدة «على طريقة ج. س» فعندما يقال على طريقة فلان فذلك يعني أن هناك احتذاء من جانب الكاتب لنهج كاتب آخر سبقه. ولكن عندما ما نتبين أن سفيريس عندما أشار في عنوان قصيدته إلى ج.س كان يعني جورج سفيريس ومن ثم يكون عنوان القصيدة «على طريقة جورج سفيريس» فإنه إنما يريد أن يقول بذلك إنه لا يحتذي بأحد فيما يكتب، وإن كانت أواصر الألفة بينه وبين شعراء كثيرين وطيدة*.

وعندما يقال في هذه القصيدة «وإذا رأينا في الطحالب موتى عالقين» فذلك لا يذكرنا فحسب باغاميمنون وهو يقول «إننا نرى البحر يزهر بالموتى». بل وأيضا بمشاهد كثيرة في مسرحيات الكاتب الأمريكي المعاصر يوجين أونيل (١٨٨٨ - ١٩٥٣) عن البحر، وعلى الأخص في رائعته القصيرة «حيث وضعت علامة الصليب» **

(*) ما دمنا نتصدى في هذا المقام لقصيدة جورج سفيريس على طريقة ج. س» فمن المفيد أن نشير إلى بعض ماورد في نسيجها من أماكن فهناك إشارة إلى «بليون»وهي سلسلة من الجبال في ماغنيسيا الثسالية. ويقال إن الوحش الأسطوري السينتور شيرون عاش على منحدرات تلك الجبال المكسوة بالأعشاب، كما أن ثمة إشارة إلى «سانتوريني» ونحيل القارئ بشأنها إلى قصيدة «الأولاد المراة» أما «سبتسيس» و «بوروس» و«ميكونوس» فهي جزر في بحر إيجيه يستحب السفر إليها وزيارتها.

أما «أومونيا» و «سينتاغما» فهما اسمان لميدانين من أكبر ميادين أثينا. وفي اللغة اليونانية تعني «أومونيا» الوئام والانسجام كما تعني سينتاغما الدستور.

وأخيرا فإن عمل اسخيلوس المشار إليه في القصيدة هو مسرحية «اغاميمنون»

(**) راجع ترجمتنا الباكرة لهذه المسرحية تحت عنوان ««سبع مسرحيات عن البحر» في سلسلة المسرح العالمي التي - - كان يشرف على إصدارها في القاهرة، الدكتور محمود اسماعيل الموافي قبل انتقاله إلى الكويت وإصداره السلسلة ذاتها من هناك.

واستكمالا لما تقدم من مداخل لفن سفيريس الشعرى، فإنه من المفيد أن نعود إلى استعراض دواوين هذا الشاعر في طبعاتها الأولى، وإن كنا قد فعلنا ذلك من قبل، ولكننا نضيف فيما يلي مزيداً من التفاصيل.

صدرت «نقطة التحول» بأثينا في مايو ١٩٣١ من مائتي نسخة مرقمة. وصدرت «البئر» بأثينا في أكتوبر ١٩٣٢ دون ذكر لاسم المؤلف ولكنها جاءت ممهورة بتوقيعه. وقد حملت خمسون نسخة منها أرقاما مكتوبة بخط سفيريس. كما نشرت القصيدة فيما بعد بمجلة «نيا استيا» الأدبية ذائعة الصيت في يناير ١٩٣٥ وصدرت «أسطورة التاريخ» بأثينا في مارس ١٩٣٥ من مائة وخمسين نسخة مرقمة.

ونشرت «الأولاد المرأة» بمجلة «الآداب الجديدة» في فبراير ١٩٣٦ ونشرت «كراسة التمارين» بأثينا في مارس ١٩٤٠ من ٣٥٦ نسخة مرقمة وقد سبق لقصائد هذا الديوان أن نشرت في عدة مجلات من قبل. فقصيدة «باتنوم» نشرت بمجلة «نيا استيا» في ١٥ يناير ١٩٣٢ بعنوان «ليلة على الشاطئ» وأيضا نشرت قصيدة «على لحن أجنبي» بذات المجلة في أول سبتمبر ١٩٣٢، كما نشرت «طريق سينجرو ١٩٣٠» و «هامستيد» و«نيران القديس يوانيس» بمجلة «الآداب الجديدة» السكندرية في مايو ١٩٣٥ تحت عنوان جامع هو «رسوم هامشية» كما أعطيت قصيدة «هامستيد» في ذلك النشر عنوان «مثل طائر ....» ونشرت المجلة ذاتها بعدد أبريل ١٩٣٧ قصائد «عيد غطاس ١٩٣٧» و «الغراب» و«العجوز» تحت عنوان جامع هو «رسوم ثلاثة» ثم نشرت بعدد أكتوبر ١٩٣٧ «السيد ستراتيس ثالا سينوس يصف إنسانا» أما «الثلاثاء» و «الأربعاء» من تعليقات على أيام الأسبوع

فقد نشرتا لأول مرة في ٢٩ فبراير ١٩٦٨ في فصلة ثقافية تصدر في ميلانو باللغتين اليونانية والإيطالية تحت عنوان «جورجيو سفيريس: تعليقات عن أيام الأسبوع» من ترجمة وتعليق فيليبو ماريا بونتاني. وقد طبع من هذه النشرة ألف نسخة مرقمة. ثم أعيد نشر القصيدتين في أبريل ١٩٦٨ من مائة نسخة مرقمة أيضا.

وفي تعليق لسفيريس على الطبعة الأولى من «كراسة التمارين» كتب يقول إنه إنما اختار لديوانه هذا العنوان ليكون ترجمة صادقة لما احتواه من قصائد لم تلق مكانا في الدواوين التي سبق أن نشرها أو ربما أنجزها وأرجأ نشرها، ومن قصائد عابرة مهداة إلى نفر من الأصدقاء دون تفكير في النشر ساعة إهدائها، ومن بعض التدريبات الشعرية، قد يكون بعضها أكثر اكتمالا في الشكل من غيرها. وتحت هذه الظروف، لا يكون لهذا الديوان - على حد قول سفيريس - من قيمة سوى ما لجهد متواصل متجه عبر سنوات إلى محاولة اتقان التعبير الشعري، وربما لن يسفر هذا العطاء في النهاية عن شئ سوى مادة تتيح للنقد أن يعمل فيه نقاشه.

وصدر ديوان «يوميات على سطح سفين (١) بأثينا في أبريل ١٩٤٠ من ٣١٧ نسخة مرقمة. ولم تكن هذه الطبعة تتضمّن قصيدة «اليوم الأخير» التي صدرت في نسخ معدودة موقعة من المؤلف دون أن تكون معدة للبيع. وكانت هذه القصيدة قد نشرت أول مرة بمجلة «الآداب الجديدة» بعدد يناير ١٩٤٤ . كما كانت هذه المجلة قد نشرت بعدد أكتوبر - نوفمبر ١٩٣٨ قصائد «ماثيوس باسكاليس بين الورود» و «العودة من المنفى» و «صباح خريفي جميل» و «وشمسنا» و «بيازا سان نيقولو» و «فاصل من البهجة» و «ورقة من شجر الحور» وعادت «مجلة الآداب الجديدة» فنشرت «ربيع بعد الميلاد» و «صباح» و

«الملائكة بيضاء ....» و «قرار النسيان» بعدد يوليه - ديسمبر ١٩٣٩ أما قصيدة «ملك اسيه» فقد نشرت بمجلة «كتابات يونانية جديدة» في ٢٧ يوليه ١٩٤٠ .

وصدر ديوان «مذكرات على ظهر سفين «(٢)» بالاسكندرية في صيف عام ١٩٤٤ من ٧٥ نسخة مرقمة ومصورة من مخطوطات الشاعر وموقعه منه ومزينة برسوم بقلمه. ولم تتضمن هذه الطبعة شديدة الخصوصية قصيدة «المحطة الأخيرة» بينما تضمنت ترجمة سفيريس لعمل للورانس داريل بعنوان «ميثولوجيا (ب)»، وقد أعيد طبع هذا الديوان بعد استبعاد الترجمة المذكورة وإضافة قصيدة «المحطة الأخيرة» بأثينا ونشرته دار النشر ايكاروس في ديسمبر ١٩٤٥ من ٣١٥ نسخة مرقمة. وقد تضمنت النسخ الثلاثة والثلاثون الأولى صورة شخصية لسفيريس بريشة يانيس تساروخيرس.

كما نشرت قصيدة «المحطة الأخيرة» من جديد في مجلة «الكراسة» عدد مارس ١٩٤٧ . أما «الطائر الفرد» فقد نشرتها دار إيكاروس بأثينا في مارس ١٩٤٧ من ثلاثمائة نسخة موقعة.

ثم نشرت دار إيكاروس باثينا في ديسمبر ١٩٥٥ ديوان «مذكرات على ظهر سفين (٣)»، وذلك تحت عنوان «قبرص.. التي اليها بعثت» وقد صدر هذا الديوان من ١٠٣٠ نسخة، وقد وقع المؤلف النسخ الثلاثين الأولى منها، وتضمنت رسماً للرسام يورغيوس صيقيليوتي، وقد سبق أن نشرت بعض قصائد هذا الديوان في المجلات الأدبية، فقصيدة «سلامينا.. قبرص» نشرت بمجلة «تياستيا» عدد ديسمبر ١٩٥٤، و«آغيانابا (أ)» و«آغيانابا (ب)» و«ثلاثة أفراس» و«تفاصيل من قبرص» و«باسم الآلهة أدعوك»

نشرت بمجلة «الآداب القبرصية» بعدد سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٥٤ ونشرت قصيدة «هيلين» بمجلة «نياستيا» في ١٥ أكتوبر ١٩٥٥، وفي عام ١٩٥٥ طبعت مطبعة بأثينا (هي مطبعة ميرتيذى) قصيدة «بائع جوال من ميدون» من خمسين نسخة دون ذكر أسم المؤلف على الطبعة وأن كانت القصيدة قد حملت توقيعه، وقد فعلت هذه المطبعة المثل بالنسبة لقصيدة «نيكيفورس الأنجلسترى يتحدث» وطرحت الخمسين نسخة التي طبعتها منها للتداول دون ذكر اسم المؤلف اكتفاء بتوقيعه على قصيدته، كما نشرت «قطط القديس نيقولا» أول ما نشرت ضمن أعمال لكتاب آخرين بعنوان «ثمانية عشر موضوعاً» عن دار النشر كيذروس باثينا في يولية ١٩٧٠ وأخيرا فقد نشرت «ثلاث قصائد كتبت في الخفاء» في ديسمبر ١٩٦٦ من ٢٠٥٠ نسخة موقعة.

وقد استقينا الإشارات التالية من مصادر عدة. كما أن بعض هذه الإشارات ـ التي نود أن نسميها بالمفاتيح ـ هي جهد خاص بنا وليس المقصود بها، على أي حال التفسير بل الإرشاد والتوجيه فحسب.

وبعض هذه الإشارات مستفادة مما كتبه سفيريس بنفسه عن قصائده، وبالأخص من هوامش على الطبعة السادسة من شعره (أثينا ـ نوفمبر ١٩٦٥)

كما أن بعض هذه الإشارات مستقى من إيضاحات الناقد اليوناني المعاصر جورج سافيديس، وبخاصة على قصائد ديوان سفيريس (مذكرات على ظهر سفين٣)، وقد نشرت إيضاحات الأستاذ الجامعي الكبير سافيذيس هذه في طبعة مستقلةبعنوان «قراءة متأنية» (أثينا ١٩٦٢) وأيضا ضمن مجموعة المقالات التي . - لنقاد

عديدين بعنوان «من أجل سفيريس» (أثينا ـ ١٩٦١) وقد أشرف سافيديس نفسه على جمعها ونشرها.

ويقول سافيديس، الذي كان أيضا أستاذ الأدب اليوناني الحديث بجامعة أثينا، وجامعات أجنبية أخرى، إنه بالنسبة لتعليقاته وتفاسيره لقصائد سفيريس التي ضمنها الطبعة السابعة عشرة للأعمال الشعرية الكاملة لسفيريس الصادرة عن دار النشر إيكاروس في مايو ١٩٩٢ ـ بالنسبة لتلك التعليقات والتفاسير اعتمد بالأخص على النسخة الشخصية للشاعر من الطبعة الخامسة لقصائده (يوليه ١٩٦٤) وما احتوته تلك الطبعة من تعليقات وهوامش لسفيريس نفسه على قصائده، كما اعتمد سافيديس أيضا في تعليقاته وتفاسيره تلك على انطباعاته وذكرياته التي استقاها من مناقشات وحوارات شفوية مع الشاعر الذي كانت تربطه به أواصر صداقة وطيدة مكنته من الاطلاع على كثير من مسودات قصائده وأصولها المودعة أدراج مكتبه ومن مقارنة هذه المسودات والأصول بعضها ببعض وعلى هدى من إيضاحات سيفريس نفسه عن هذه الطبعة السابعة عشرة التي عهدت دار النشر أيكاروس إلى سافيديس بمراجعتها وتحقيقها، وعلى سبيل المثال، فقد أضاف الى قصيدة سفيريس تعليقات على أسبوع ما كان ينقصها عن «يومي الثلاثاء والأربعاء» وبهذا اكتملت هذه القصيدة باكتمال تعليقات سفيريس عن أيام الأسبوع كلها(*).

(*) ومن التعليقات على هذه القصيدة تشير إلى ما يأتي:

الاثنين:

ثمة إشارة إلى خطاب كسندرا قبيل دخولها القصر حيث سيتم اغتيالها (من مسرحية «أغاميمنون» لاسخيلوس) وثمة اشارة أخرى الى خطاب كليتمنسترا التى تبرر فيه اغتيال أغاميمنون لسيره على البساط الأرجواني الذي يقود الى القصر (من مسرحية أغاميمنون لا سخيلوس)

كما أدرج سافيديس في الطبعة السابعة عشرة المشار إليها تصويبات لسيفريس نفسه على بعض قصائده مثل «البلر» وخطاب ماثيوبا بسكاليس» وستراتيس ثالاسينوس عند البحر الميت» وغيرها.

كما استعان سافيديس في تعليقاته وتحقيقاته لمحتويات الطبعة المذكورة بملاحظات لمترجمي سيفريس، ومنهم والتريزر وأدموندكيلي وفيليبو ماريا بونتاني وفيليب شيرارد وريكس وارنر.

- الثلاثاء

- السطور الأولى هي عنوان موال أمريكي شعبي.

- يرجع في البيت الثاني الى عبارة ذوميتيكوس ثيوتوكوبولوس (الجريكو) في مقدمة قصيدة البلر.

- في الحاكيات القديمة (الجرامو فونات) كانت الإبرة تصنع من الصلب.

- في البيت السابع عشر وما بعده الشاعر المقصود هو ريلكه وقد قرأ سفيريس نص ريلكيه مترجما الى الفرنسية بعنوان «شائعات العصر»

- البرورافائيلية مدرسة في التصوير الانجليزي ترجع الى أواسط القرن التاسع عشر.

- ليفياروميتي أسم خيالي لبطلة من بطلات السينما الصامتة.

الأربعاء

- الليالي البيضاء المشار اليها هي ليالي يفترض أن يمر فيها المرء بحلم متصل وقد استغرقه نوم خفيف، ولعل سفيريس يقصد بها تلك الليالي التي تهب فيها على اليونان الرياح الغربية (سافيديس) وثمة إحالة هنا الى «أسطورة التاريخ» (١٦) وثمة إحالة أخرى الى «أغاميمنون» لاسخيلوس.

الخميس

جلوريامونتدي اسم يطلق على من طبقت شهرته الآفاق

السبت

ثمة إشارة الى نيسوس وهو الثور الذي سبب قميصه المسموم وفاة هيراكليوس المروعة وقد أشير اليه أيضا في قصائد أخرى مثل «ميكينيس» وعلى طريقة ج. س»

أما عبارة «ما عدنا نريد مزيدا من هذه الحياة. أواه أواه» فهي من أغاميمنون لاسخيلوس، كما تذكرنا هذه العبارة أيضا بعبارة لصمويل بيكيت في مسرحيته «بانتظار جودو» حيث يقول البطل «كلا، كلا، هذه الحياة ما عدت أريدها».

ويضيف الناقد الكبير سافيديس أيضا أن سفيريس كان قد عهد إليه فيما مضى بمراجعة الطبعات الأولى لبعض أعماله وعلى الأخص الطبعة الثالثة لقصائده عام ١٩٦٢.

كما رجعنا في شأن هذه الإشارات إلى بعض الدراسات التي نشرت عن سيفريس باليونانية والإنجليزية، بل وأيضا العربية.

ونخص بالإعزاز في هذا المقام مقالة باكرة للأستاذ الصديق نيقولا يوسف - رحمه الله - بعنوان «سفيريس» الشاعر اليوناني المعاصر التي نشرت بمجلة الآداب البيروتية بعددها الصادر في يونية ١٩٦٧ - ولعلها الدراسة الأولى التي صدرت بالعربية عن سفيريس الذي كان آنذاك بحاجة الى تعريف القارئ العربي به.

كما التقينا بالسيدة أماليا نيقولائيدس التي عملت في مطلع حياتها سكرتيرة للشاعر سيفريس عندما كان يعمل ملحقا صحفيا لليونان بالقاهرة إبان الحرب العالمية الثانية، وقد استمعنا إلى ذكرياتها عنه، ولانطباعاتها عن كتاباته الباكرة، كما نعترف للسيدة أماليا نيقولائيدس بالفضل لمساعدتنا في فهم وترجمة بعض من قصائد سفيريس التي تضمنتها أعماله الشعرية الكاملة طبعة ١٩٩٢.

وكان أيضا مما استندنا إليه في ترجمة الأعمال الشعرية لسفيريس الترجمة الإنجليزية التي قام بها أدموند كيلي وفيليب شيرارد والتي نشرتها عام ١٩٦٩ دار النشر اللندنية «جوناثان كيب». على أن هذه الترجمة لم تتضمن أعمال سفيريس الكاملة باعتراف المترجمين.

وجدير بالذكر أيضا ما يقوله شيرارد وكيلي عن القصائد الباكرة لسفيريس وهي قصائده في الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٣، من أن هذه القصائد المنغمة والمنظومة، قد لقيت الترجمة من جانبهما،

فيما عدا ثلاث قصائد امتنعا عن ترجمتها حيث لم يكن بإمكانهما - على حد قولهما - أن يتوصلا الى ترجمة لها ترقى بها الى أن تدرج في مجموعة القصائد المترجمة لسفيريس الى الإنجليزية، وهذه القصائد الثلاث هي «تعقيب على الأحداث» و«ذكرى» و«أغنية شعبية».

ولولا الحرص على الأمانة لأقدمنا بدورنا على المثل، وأقصينا هذه القصائد عن ترجمتنا العربية «لأعمال سفيريس الكاملة» وإننا على هذا الضوء نأمل أن يلتمس القارئ لنا العذر فيما بدت عليه هذه القصائد بالعربية من ضعف، يكاد يصل بها إلى حد الانمحاء.

ويضيف المترجمان شيرارد وكيلي أنهما للاعتبارات المتقدمة ذاتها أقصيا عن مجموعتهما قصيدة سفيريس اللاحقة «نيوفيتوس الأنجلستري يتحدث»* أما نحن فقد استطعنا أن نقتنع بأن ترجمتنا لهذه القصيدة قد تستطيع أن تقنع القارئ العربي بها، وتنقل اليه ما قد يكون الشاعر اليوناني الكبير قد عنى أن يودعه قصيدته هذه.

* كان نيوفيتوس أحد الرهبان القبارسة عاش في القرن الثاني عشر الميلادي وقد ترهبن بدير في بافوس بقبرص كان يسمى أنجليسترا وقد كتب هذا الراهب كثيرا وأرخ لاحتلال ريتشارد قلب الأسد وصليبيين آخرين لجزيرة قبرص عام ١١٩١.

وفي العبارات الافتتاحية للقصيدة إشارة الى إسحاق دوكاس كومنينوس وكان امبراطورا ضعيفا وغير شرعي على قبرص، كما أن ثمة إشارة أيضا الى صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر وسورية (١١٣٧ - ١١٩٣) الذي حطم الصليبيين في معركة حطين. ويسمي نيوفيتوس في كتاباته ريتشارد قلب الأسد الوغد المحتال لأنه لم يقو على الصمود في وجه صلاح الدين، وكل ما فعله أن باع قبرص لصليبيين آخرين هم اللوزينيانيين (١١٩٢ - ١٤٨٩).

وفي القصيدة إشارة الى القديس هيلاريون والى فاماغوستا الميناء القبرصي، والى قلعتي بوفافينو وكونتزو فيندي، وكل ذلك بأسمائها اللاتينية.

كما أن في القصيدة استخداما ساخرا لبيت من مسرحية «عطيل» لشكسبير يقول فيه «مرحبا بكم، يا سادة، قردة كنتم أوجديانا».

وقد كان بإمكاننا من ذات المنطلق أن نقصي عن ترجمتنا هذه للأعمال الكاملة الشاعر سفيريس بعض القصائد الأخرى، منها على سبيل المثال قصيدة «سيارة» و«صباح خريفي جميل» وغيرهما. ولكننا التزاما بمعنى الترجمة الكاملة، وحفاظا على دلالة الأعمال الكاملة أبقينا في ترجمتنا على قصائد سيفريس كلها أيا ما كان حكمنا عليها، وذلك ليدلي القارئ بدلوه في تقييم هذه القصائد، فهذه ترجمة للأعمال الكاملة وليس لمختارات منها فحسب. وفي هذا المقام أذكر نصيحة لصديق كبير عندما أقدمت على نشر الأعمال الكاملة لكافافيس من قبل، وقد أفضيت له بأنني لا أرتاح إلى بعض قصائد هذا الشاعر، فأجابني بهدوء لا يخلو من استنكار أننا إزاء شاعر كبير مثل كافافيس - ويصدق القول ذاته على سفيريس - ليس من حقنا أن نمتنع عن ترجمة هذه أو تلك من قصائده لمجرد أنها لا تروق لنا، ذلك أن الشعراء الذين دخلوا التاريخ، أ . " قصائدهم كلها ملكا للتاريخ، وليس للمترجم إلا أن ينصاع لإملاءات التاريخ، وقد اقتنعت تماما منذ ذلك الحين بصدق نصيحة صديقي ذواقة الشعر الكبير.

ربما أوضحنا فيما تقدم الخطوط العريضة في فن سفيريس والدروب التي سلكها التعبير الشعري، موازنا فيه بين الأصالة والمعاصرة، بين التراث وتيارات الحداثة، بين النبض القومي ورياح العالمية العاتية.

الفصل الثاني : مفاتيح

ولم يبق أمامنا الآن إلا أن نلقي نظرة تحليلية عن كثب لعطاء سفيريس الذي تضمنته «أعماله الشعرية» الكاملة وسوف نقوم بذلك من خلال ثلاثة مفاتيح في شعر سفيريس هي:

أ الأماكن، ب الأيام والأزمان، جـ الأشخاص

أولا : الأماكن

إن المخيلة الإبداعية لسفيريس شديدة الارتباط بالمكان. وتلعب بعض الأماكن التي تواجد بها عبر مسيرته الإنسانية والفنية دورا ملحوظا في تشكيل قصائده، فنراه يعنى في كثير من الأحيان بإثبات

ليس فحسب تاريخ كتابة القصيدة بل أيضا المكان الذى كتبها فيها، كما أن بعض تلك الأماكن يرقى الى عنوان القصيدة فتستمد عنوانها من المكان المذكور.

وعلى سبيل المثال نجد إحدى قصائده الباكرة تحمل عنوان «شارع كيبرت، أوست، بريتوريا، ترانسفال» وهذا هو المحل الذى اتخذه لنفسه مسكنا إبان عمله سكرتيرا للسفارة اليونانية فى بريتوريا بجنوب أفريقيا عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ ومن هناك نقل الى القاهرة حيث عمل رئيسا للمكتب الصحفى لحكومة اليونان بالمنفى.

كما تحمل إحدى قصائده عنوان «ميدان سان نيكولو» وهو النطق الإيطالى لاسم الميدان المعروف ميدان سان ثيقولا فى روما وهذه القصيدة من القصائد الواردة فى ديوانه «مذكرات من على سطح سفين[1]»، وهذا العنوان بدوره يشير الى مكان كتابة قصائد هذا الديوان وهو سطح سفين.

فى ديوانه الباكر «كراسة التمارين» (أثينا ١٩٤٠) قصيدة «طريق سينجرو ـ ١٩٣٠» وقد اكتشف صديق سفيريس الأديب اليونانى الكبير جورج ثيوتوكا (١٩٠٥ ـ ١٩٦٦) الذى كان أيضا واحدا من الذين تحمسوا مبكرا لموهبته الشعرية ـ اكتشف منذ أعماله الباكرة «عبقرية المكان» المسمى ميدان سينجرو أو طريق سينجرو؛ وعلى الأخص فى كتابه «الروح الحر» عام ١٩٢٩، وقد اعتبر ثيوتوكا «هذا المكان» رمزا للحقبة الجديدة التى على جيله أن يأخذ على عاتقه

التعبير عنها. وهذا الطريق، الذى كان أرحب طرق أثينا آنذاك، ينزل من معبد زيوس الى البحر الذى يقول عنه سفيريس فى قصيدته «كلمة عن الصيف» «إنه يطهر أرواحنا من خطاياها» *وقد كان جورج ثيوتوكا قد كتب فى مؤلفه «الروح الحر» المشار إليه يقول عن طريق سينجرو إنه ينساب اول نهار منحدرا الى شاطئ فاليرون، مثل قصيدة تبحث عن شعراء جسورين يتبنون إيقاعاتها الوليدة والتى لازالت مضمرة.

وحتى الحرب العالمية الثانية كان هناك كشك لأغراض الرسوم على المركبات النازلة الى طريق سينجرو وهذا ما تشير إليه القصيدة فى بيت من أبياتها، كما تتضمن القصيدة اشارة الى أعمدة أدريانوس ودعائم هيكل آلهة الأوليمب. وهكذا جمعت قصيدة «طريق سينجرو ١٩٣٠» بين القديم والجديد، الماضى والحاضر فى صياغة متشابكة مغزولة بيد فنان ماهر آلى على نفسه أن يعبر عن الروح التى يومئ اليها طريق سينجرو، والذى دعا ثيوتوكا الذى كان طليعيا وقوميا شعراء جيله. وبالأخص سفيريس. الى تبنّى إيقاعات تلك القصيدة التى تنساب عبر طريق سينجرو، من الأكروبول الى البحر، مما هو رمز للوصال الحميم بين الماضى التليد والحاضر الرابض المتربص.

---

* وقد كان المترجم شرف الالتقاء بأعمال ثيوتوكا مبكرا، ورائعه، وترجم مسرحيته البديعة «جسر آرتا» إلى العربية. وقد نشرت ضمن سلسلة المسرح العالمى بإشراف الدكتور إسماعيل الموافى (رحمه الله) الذى أعطاها اسم «الثمن الفادح» وقد تحمس لها المخرج الفنان سمير العصفورى وقدمها على «خشبة المسرح الحديث» بالقاهرة فى أكتوبر. نوفمبر ١٩٦٦ من تمثيل حمدى غيث وناهد رشاد وآخرين ولهذه المسرحية مقدمة ضافية أوضح فيها المترجم بعض الجوانب من حياة وإبداعات ثيوتوكا.

وحتى في القصائد التي لا تنتمي عناوينها لأماكن سواء أسطورية أو تاريخية أو واقعية، لا يخلو نسيجها من إشارات لأماكن سواء أسطورية مثل هادس أو الجحيم (رفاق في الجحيم) أو تايخية مثل أسينة (ملك اسينة) وكونسوفيندى ويوفانتيو (ثلاثة أقراس) أو واقعية مثل سانتوريني ومكينيس (الأولاد العراة) وهاستيد (خمس قصائد لستراتيس ثالاسينوس) والبحر الميت (ستراتيس ثلا سينوس عند البحر الميت) و الشرق الأوسط (الشرق الأوسط - الممثلون) ولا رناكا (ثلاثة أقراص)، ومن هذه الأماكن الواقعية مالا يحدد اسمه أو عنوانه وإنما تحدده مواصفاته الطبيعية أو ماشابه ذلك، مثل «كهوف البحر» (رسوم سريعة لفصل الصيف) والبيت إلى جوار البحر (الطائر الفرد) وشاطئ النهر (عجوز على الشاطئ).

على أن من أكثر الأماكن ظهوراً في قصائد سفيريس، بل وفي عناوينها أيضاً، مدناً وبلداناً تنتمي إلى قبرص مثل أجيانابا، وانجومي، وكيرينيا، وسلاميذا، ودير القديس نيقولا ويشير الشاعر إلى هذه الأماكن لاعتبارات شتى، منها جمالها الطبيعي من جبل وشجر وبحر، أو إيماءاتها التاريخية مثل احتوائها لمواقع حربية أو بحرية جرت فيها قديماً، أو لمراكز لديانات وإن دالت واندثرت إلا أنه لازال لها مقامها في المسار الإنساني.

أما أنجومي، التي كرس لها سفيريس قصيدة بهذا العنوان في ديوانه «مذكرات على سطح سفين (٣)»، الصادر في أيثنا عام ١٩٥٥، فهي قرية في الشمال الغربي من فاماجوستا بقبرص، وإن كان سفيريس في قصيدته يكسوها بغلاف من الإيماءات إلى أساطير تاريخ قديم مبهم المعالم، شديد الإيحاء ومحركاً للعواطف.

وكذلك فإن «اغيانابا» بلد إلى جنوب فاماغوستا بقبرص، وقد كرس لها سفيريس قصيدتين هما «اغيانابا (١)، و «اغيانابا (٢)» بديوانه «مذكرات على ظهر سفين(٣)» سالف الاشارة اليه. وقد حفل هذا الديوان بقصائد من قبرص التى تحمس لها سفيريس منذ أن زارها أول مرة فى أخريات خريف عام ١٩٥٣. ويقول إن قصائد هذا الديوان ـ فيما عدا قصيدتين هما «ذكرى (١)» و«ذكرى(٢)» استلهمها من رحلته الى تلك الجزيرة. ولم تكن رحلته الى قبرص هذه مجرد زيارة عادية مما يقوم بها أناس عاديون، بل كانت بالنسبة له ـ على حد قوله ـ «اكتشافا لعالم» و«رؤيا جديدة». وقد عاد سفيريس الى زيارة قبرص عام ١٩٥٤ ثم عام ١٩٥٥ ويقول «وأنا أكتب هذه القصائد فى بيت من بيوت العز القديم بفاروسى لا يكاد ينفصل عن البحر الزمردى المترامى من حوله، أحسست بمشاعرى تصفو صفاء البلور، وأصبحت منذ ذلك الحين أكثر ألفة بالجزيرة، وأشد التصاقا بأهلها. ورحت أفكر انه اذا كنت قد وجدت فى الجزيرة كل هذه السعادة، فلأن هذه الجزيرة قد منحتنى نفسها، وأعطتنى كل ما لديها أن تعطينى، وما كان بالإمكان أن يتبخر هذا العطاء أو يذهب هباء فى إطار الجزيرة الضيق، الذى يحتم عليك الحفاظ على ما أعطيت، على نحو لا يحدث فى عواصم الدنيا الكبرى. وإنه لمن الغريب أن يكون بالإمكان أن أقول، فى عصر مثل هذا الذى نعيش فيه، إن قبرص لازالت أرضاً للمعجزات، وإن الإحساس بإمكان حدوثها لازال فى أرجاء الجزيرة يسرى».

وفي قصيدة «تفاصيل عن قبرص» يلفت سفيريس أنظارنا إلى ضرب من ضروب الفن الشعبي في هذا المكان. ويقول الشاعر إن الذي أرشده إلى هذا الفن الذي كاد أن ينقرض ويطويه النسيان بعض من شيوخ الجزيرة الذين أوغلوا في السن كثيرا وأدركوا ممارسات هذا الفن الشعبي في سالف الأوان أيام شبابهم.

هذا الفن أو هذه الصناعة الشعبية القبرصية القديمة التي يمارسها القرويون في الجزيرة هي صناعة تزيين وزخرفة القرع العسلي، فقد ألفوا إفراغ ثمار القرع العسلي من محتواه، وتجفيفه، ثم استخدامه آنية يجرون عليها رسوما وزخارف وتلاوين، يبدعون من خلالها فنا شعبيا كاد أن ينقرض من الجزيرة، ويصورون على هذه الآنية شخصيات أسطورية وأحداث بطولية، تحمل طابعا قبرصيا متميز الأسلوب والأداء.

كما تصور قصيدة «تفاصيل من قبرص» بعض مشاهد العذاب في الجحيم، تجلت على تصاوير حائطية بيزنطية في أديرة وكنائس قبرصية. ثم يستطرد الشاعر في هذا المقام إلى الحديث عن الدودة التي لا تهمد ولا تنام، وهي رمز من رموز الجحيم في تلك التصاوير الدينية.*

---

* ويشير سفيريس بالأخص في القصيدة إلى «دير القديس ماماس» وهو دير لقديس حظي من أهل الجزيرة بالتبجيل والاحترام على أننا رأينا إغفال ذكر اسم الدير في ترجمتنا للقصيدة، حيث إن هذا الاسم لا يضيف شيئا للقارئ العربي.

وإذا انتقلنا إلى مكان آخر من أماكن قبرص لقى انشغالا من سفيريس واستقر اسمه فى عنوان القصيدة ذاته، فهو «دير القديس نيقولا» أو ربما أمكن تسميته «دير القطط» وقد لعب هذا الدير ورهبانه دورا حاسما فى مصير الجزيرة. ولفهم ما نقول نقرأ ما كتبه الرحالة الفرنسى إتين دى لوزيديان فى مؤلفه «وصف شامل للجزيرة القبرصية» الذى نشر فى باريس عام ١٥٨٠ (وله نسخة مصورة عام ١٩٦٨ محفوظة فى فاماغوستا) حيث يقول: أمر أول دوق ولى جزيرة قبرص بإنشاء دير الرهبان باسم القديس نيقولا، ويتولى إدارته رهبان القديس باسيليوس، وقد علقت الهبة التى منحت لذلك الدير على شرط مؤداه أن يطعم الرهبان مائة قط على الأقل كل يوم، وذلك بإعطائها قليلا من اللحم مرتين صباح ومساء. فكان الرهبان يدقون فى كل مرة جرسا صغيرا فتاتى القطط لتناول اللحم، وذلك حتى لا يقتصر القطط على التهام الثعابين المنتشرة فى أرجاء الجزيرة، فيسرى سمها الزعاف فى أوصالها يوما بعد يوما فتموت. وقد تحقق بفضل هذه القطط ودير القديس نيقولا المذكور خلاص الجزيرة من الأفاعى السامة التى كانت الحياة بسببها على الجزيرة أمرا مستحيلاً. وقد أورد سفيريس هذه الملاحظة التاريخية بقصيدته منذ الطبعة الأولى لديوانه «مذكرات من على سطح سفين (٣)»، وحتى فى سنينا هذه لازال الدير يتولى إطعام أربعين قطا كل يوم، ولهذا فإنه يطلق على الكهف الذى شيد الدير عنده «كهف القطط».

على أن سفيريس يعمد فى قصيدته إلى إضافة جديدة لإجراء الحوار عن شئون هذه الجزيرة، وكيف تخلصت من كارثة الأفاعى

السامة، فيلمح في بعض أبيات قصيدته إلى القبطان الشاعر ديمتري أندونيو مصوراً اياه يقود سفينته باتجاه شاطيء خال من كل نسمة «باتجاه الغرب، المكان الذي في سالف الأزمان أنجب الموج فيه أفروديت» ويعني بذلك قبرص، التي تروي الأساطير ان أفروديت جاءت إلى الحياة في مياهها، وخرجت هناك كما هو معروف من محارة كبيرة بيضاء تفتحت في ضياء الشمس فجر يوم من أيام الزمن القديم.

ويحادث الربان الشاعر صديقه سفيريس قائلاً «غريب أمر هذا الرنين، ولازال الوقت نهارا. يذكرني بذلك الرنين الآخر، من جرس الدير القديم» ويشرع يحكي له قصة «دير القطط» والقصة رواها إلى سفيريس في الواقع واحد من الرهبان، وصفه سفيريس بأنه كان شبه مجنون، يحيا غارقا في الأحلام.

كما أن سفيريس قد اختار لافتتاحية قصيدته أبياتا لاغاميمنون، ترجمها الشاعر اليوناني الكبير يانيس غريباريس (١٨٧١ - ١٩٤٢) إلى اللغة اليونانية الحديثة وتجري بالآتي «ومع ذلك - فإن قلبي يغني بداخلي بلا قيثار بصاحب الغناء - أنا إلهة العقاب، لم يحدث لأحد أن علمني البكاء. ومع ذلك - واسفاه! ضاع مني ما للأمل الحلو من مضاء».

وقصيدة «على مشارف كيرينيا» - الواردة في مذكرات على سطح سفين (٣) - هي بدورها من القصائد القبرصية. وأما عن كيرينيا فقد كانت مشارفها أو ضواحيها منتجعا يؤمه على الأخص لفيف كبير من أرباب المعاشات الإنجليز. وقد نقل عن أحد المرشدين

السياحيين الإنجليز قوله إن كيرينيا القبرصية هي المكان الأمثل على شواطيء البحر الأبيض لأولئك الناس، وذلك رغم أن هذا العالم «ليس عالمهم بل هو عالم هوميروس» ويردد ذلك سفيريس ذاته في بعض أبيات في قصيدته. كما كان عام ١٩٢٦ عام البطالة الكبرى في انجلترا مما كانت معه كيرينيا هذه برخص أسعارها منتجعا نموذجيا لأرباب المعاشات الإنجليز ذوي الدخول المحدودة.

وإذا ذكرت «الأماكن» في شعر سفيريس، فإن «سلامينا» تحتل مقاما ذا دلالة بين هذه الأماكن، ذلك أن هذه المدينة الساحلية القديمة وقعت في مياهها معركة بحرية رهيبة، كانت في تاريخ الإغريق حاسمة. ففي سالف الأزمان استطاع الإغريق في معركة سلامينا البحرية أن يلحقوا بالفرس الغزاة هزيمة ساحقة، وأن يبيدوا سفن أساطيلهم عن بكرة أبيها. وفي الكلمات الافتتاحية لقصيدة سفيريس «سلامينا.. قبرص» يستعير سفيريس عن أسخيلوس قوله في مسرحية «الفرس» يصف النهاية التعسة والهزيمة المنكرة التي لقيها الفرس ألد أعداء الإغريق في معركة سلامينا البحرية «سلامينا أضحت اليوم (للفرس) مبعثا للأحزان».

وكعادته يعود سفيريس، ويمزج في قصيدته هذا القول القديم عن معركة سلامينا الضارية بما قرأه في صحيفة من صحف جنوب أفريقيا حيث كان يقيم (سبتمبر ١٩٤١) من كلمات، أشبه بترنيمة صلاة، أعدها نائب القبطان اللورد هيو بيرسفورد (الذي مات فيما بعد في معركة كريت إبان الحرب العالمية الثانية) لتدشين سفينته حيث يقول «أيها الرب، يا أبانا الحبيب، ساعدنا ألا ننسى الأسباب

الحقيقية للحروب، وهي عدم الشرف، والجشع، والأنانية، ونقصان الحب، وأن نقصي هذه الأسباب عن هذه السفينة، كي تصبح نموذجا للعالم الجديد الذي نحارب من أجله..»

وفي العبارات المستقاة من الأبيات التي ينشدها الكورس في مسرحية «الفرس» مذكرا الفرس ذوي البأس والجبروت تحت إمرة ملكهم داريوس الذي لا يرحم ولا يلين، باكيا على الخراب الذي أوقعته بهم هزيمتهم في معركة سلاميناـ في هذه العبارات يدس سفيريس بعض الآيات من إصحاح المزامير (مزامير داود) من «العهد القديم»، ليخلص إلى عجينة شعرية خاصة به تماما، سوف يستخدمها على إثر زيارته في خريف عام ١٩٥٣ لقبرص «قبرص التي صدر مرسوم من أبوللو بأن أحيا فيها...» * استخداما رمزيا ليومئ إلى احتمالات قيام حرب ضروس بسبب قبرص بين اليونان التي تنتمي إليها الجزيرة انتماء عميق الجذور وبين جارتها الشرقية، وعندئذ يحذر سفيريس في قصيدته (شديدة الإغراق في الرموز رغم وضوحها على أي حال) من أن تكون قبرص لأعداء اليونان سلامينا جديدةـ وإذا كانت سلامينا القديمة قد جرت الويلات على الفرس الغزاة في سالف الأزمان، فان سلامينا الجديدة قد تجر على من يريدون أن يؤدوا اليوم دور الفرس القديم خرابا ما بعده خراب، وعندئذ سوف يبكي الكورس هؤلاء الغزاة الجدد كما بكى من قبل في

---

* انظر الكلمات الافتتاحية لديوان «مذكرات على سطح سفين (٣)»، الذي أهداه الشاعر إلى «أهل قبرص تذكارا وحبا».

مسرحية أسخيلوس الهزيمة المنكرة التى لقيها الفرس فى معركة سلاميتا **.

بقى أن نلفت النظر فى هذا الخصوص إلى ورود ذكر لسلاميتا من قبل فى قصيدة سفيريس «هيلين» حيث ينقل سفيريس فى الكلمات الافتتاحية لهذه القصيدة قول تيكروس - فى مسرحية ليوريبيديس هيلين: .. فى قبرص هذه المحاصرة بالبحر، حيث صدر الأمر من أبوللو بأن اتخذها مقاما، مسطياً المكان الذى سوف أقيم به اسم سلاميتا كتذكار للجزيرة وطنى الأم.

ثانيا-الأيام والأزمان

فى عطاء سفيريس الشعرى مجموعة من القصائد يمكن أن يطلق عليها «الأيام» ومجموعة أخرى يمكن أن يطلق عليها «الأزمان». و«الأيام» و«الأزمان» تمتع سفيريس أمام وضع الإنسان ومسيرته على ذلك الدرب الطويل الممتد عبر ضباب يجعل التساؤل عن دور «الذاكرة» وفعاليتها فى الربط بين «القديم» والجديد وأرداء وذلك لو كان هناك «قديم» و«جديد» حقا، وكان «الماضى» و«الحاضر» و«المستقبل» وجود فعلا.

** وأيا ما كان الموقف السياسى الذى يتبناه سفيريس فى قصيدته «سلاميتا .. قبرص» فهذا الموقف لا يعنينا فى مقام هذه الدراسة، بل الذى يعنينا هو النهج الذى استخدم سفيريس فنه الشعرى كثيرا لربط التراث الاغريقى بقضايا وطنه المعاصرة دون الانتقاص من قيمة الفن فى شعره، ودون اتخاذه مجرد مطية لما هو خارج عن جوهر الشعر كفن.

وفي قصيدة «البئر أو «المستودع» أو «محارة المياه الجوفية» لو أردنا أن نتطرق إلى ترجمات لعنوان القصيدة أكثر تقريبا لمضمونها ودلالتها إلى ذهن القارىء وحاسته الشعرية - في قصيدة البئر يحاول سفيريس أن يعطينا مدلولا للزمن لا أمس فيه و لاغد. ويشدد سفيريس في قصيدته على أن «الأمل» هو ما يجعل الماء الساكن يدب فيه الموج. فيمضي قدما إلى ما يمكن أن يوصف بالمستقبل» ومن ثم تاركا وراءه «الحاضر» الذي أضحى بفعل الحركة «ماضيا» بدوره. في «البئر» إذن صورة مذهلة للزمن الساكن» زمن أقصى عنه كل فرح أو ألم أو حزن .«هنا بئر في التراب موغل الجذور. جب من الماء الخفي تجمع مثل كنوز.. والنجوم بمنأى عن الامتزاج بخفقات قلبه. كل نهار يطلع» ينفتح نور» ثم ينغلق» ولا يتسنى له أن يلمسه. العالم من فوقه يرفرف بلا رجاء. تضيء وجوه. تلمع لحظة. ثم في ظلمة الابنوس تموت» يقترب الغسق مثل عابر سبيل. ثم يهبط الليل» ومن بعده القبر يجيء..»

«تنقضي الأزمان. بل أنها بالفعل انقضت. والشموس والأقمار أيضا انقضت. بينما البئر تجمدت مثل مرآه».

إذن ها هو زمن لا امتداد له» لا بداية له ولا نهاية. زمن ساكن رهيب» يترقب» ولا يفعل شيئا سوى أن يترقب. ماذا يترقب؟ بعيون مفتوحة يترقب غرق شطآن البحر الذي يمده بزاده من المياه. هذا زمن للبئر» ليل لا يأمل في فجر. وهكذا البئر» مثل روح حر» يطعمنا الصمت في المدينة الممتدة من فوقه. في المدينة مشتعلة الأوار» دون أن يدري أهلها - سوى الشعراء منهم - بوجوده..

«إلى التراب ينحنى جسد الإنسان، كى يبقى الحب الظمآن، نحتا من الرخام تحقق بلمس الأزمان، ويسقط التمثال عاريا فى الحصن المعطاء، وبرفق يهون عليه هذا الحصن يهون الأحزان».

وهكذا نلمح فرقا جوهريا بين زمن التماثيل وزمن الإنسان. ويمضى بنا سفيريس بعيدا عن «زمن الانسان»، مدركا أن هناك أيضا زمنا آخر، ربما كان أكثر شاعرية، هو «زمن الطبيعة» أو «زمن الأكوان».

ونستطيع أن نلتقى بذلك «الزمن السرمدى» الذى ليس هو زمن الانسان، وإن كان من سعادة الإنسان بل ومن تعاسته أيضا أن يدرك ذلك العالم الذى ليس منه ولا له - نلتقى بذلك الزمن السرمدى من جديد فى قصيدة «كلمة حب» التى يبدأها سفيريس بكلمة الشاعر بيندار يقول فيها إن من الناس من يثبتون أنظارهم على أشياء بعيدة المنال، ومن هذه الأشياء بعيدة المنال ذلك الزمن السرمدى، فيجدون فى طلبه ما فى مثل هذا الزمن السرمدى من آمال، قد تكون ضربا من المحال. ولنسمع سفيريس فى قصيدته هذه، قصيدة «كلمة حب»، يقول «أسرار البحر على الشطئان تنسى. وعلى الزبد ظلمة القاع. وفجأة يومض مرجان الذكرى ببريق الأرجوان..آه، أيتها الرعشة المظلمة عند الجذور وفى الأوراق، لو كنت أنت التى ستعيدين الفجر المنسى يوما. لو تزهر فى حقل الفراق زنابق من جديد. وتصبح الروح نقية سطورها مثل أغنية مزمار.. يا أيتها الرعشة المظلمة عند الجذور والأوراق، انفضى النعاس عن عينيك. شددى قامتك، وتقدمى إلى حيث الصمت الكثيف.. يمر الزمان بالناس أملس رخوا، ويغمر

الألم جنبات الروح ويفيض بلا روية. يشق الفجر أديم السماء، ويظل الحلم متبهما بلا هوية. أسمع كما في محارة نواح العالم المضطرب. مجرد لحظات ويختفي كل هذا...

ولنتأمل زمن ثعبانين جميلين متباعدين، للفراق هما قرنا استشعار يزحفان، يبحث كل منهم عن الآخر، في ليل الأشجار، من أجل حب سري في مكامن خافية عن الأنظار. ساهران، يبحثان كل منهما عن الآخر في دأب، ولا يقربان لا ماء ولا طعام. يدوران ويتلويان، يغزل عزمهما الذي لا يلين، خيوطا يكلرها، يلفها أسورة يطوق بها الجسد الذي تحكمه في صمت قوانين القبة العامرة بالنجوم، ويتحرك في الكيان خبالا حارقاً لا رادع له. ولكن ها هو الشاعر ينتهي إلى الشك الذي لا برء منه ولا فرار إزاء كل زمن لا إنساني فيقول مختتما قصيدته «كلمة حب» ربما ما كان ثعبانا الفراق قد دارا إلا في المخيلة. (الغابة تتلألأ بالطير والغدران والزهور المتفتحة) ربما لازال بحثهما المتماوج ماضيا، مثل دوران الأفلاك المورث للشجن.

بأي زمن يحسب دوران الأفلاك؟ بأي زمن يحسب سلطان «الغريزة» الأبدي على الكائنات مثل الحيات في الغابة وأي زمن ذاك الذي يورث الشجن؟

لقد كان «لدلالات الزمن» تأثيرها على المعالجات الفنية في مجالات الأدب المختلفة، وكما تعددت معالجات الزمن في الرواية الحديثة، تعددت معالجاته أيضا في الشعر الحديث، فكل تعبير أدبي لا يفلت من ضرورة التصدي لدلالة الزمن.

وقد كان سفيريس، باعتباره على الأخص قد فتح نافذته على مصراعيها لرياح الأدب الحديث من شعر حر، ورمزية ومونولوج داخلي - بحاجة إلى تأمل دلالة الزمن فى أعماله الشعرية.

وبعد أن رأينا «الزمن السرمدى» فى «البلد» و«كلمة حب» نقف عند قصيدة سفيريس «أسطورة التاريخ» لنستخلص منها بعض الدلالات فى هذا المقام، ونكشف لديه «زمن الأسطورة».

وكلمة «ميثيستوريما» التى هى عنوان القصيدة باليونانية تعنى - كما سبق أن قلنا فى هذه اللغة «رواية». على أنه لما كانت هذه الكلمة مكونة من مقطعين الأول «ميثى» ويعنى الأساطير أو الأسطورة و الثانى «ستوريما» وتعنى «التاريخ»، فعنوان هذه القصيدة وإن كنا قد ترجمناه «أسطورة التاريخ» إلا أنه يمكن أن يترجم أيضا «برواية». وإذا توقفنا عند القصيدة بهذا العنوان فسوف نجد سفيريس يمارس فيها نوعا من «الرواية» كتبت على أى حال لتفى باحتياجات «التعبير الشعرى».

وسوف يلمس المتأمل لهذه «القصيدة - الرواية» نوعا من الأداء الروائى يسرى برهافة فى مقاطعها الأربعة والعشرين. لكنه على أى حال، أداء شديد الخصوصية رغم أنه قائم على نقاط ارتكاز ليست مجهولة لقارئ أوديسية هوميروس التى استقى منها سفيريس قصيدته.

ويتضمن المقطع الأول من «الرواية» ما يشبه المدخل أو الافتتاحية حيث تقول أبياتها الأولى «الملاك، انتظرناه ثلاث سنوات،

مترقبين شاخصين إلى النجوم... كنا نبحث عن البذرة الأولى كي تعود المأساة القديمة فتبدأ من جديد...، ويتضمن المقطع الرابع والعشرين كلمات هي خير ختام للرواية إذ تقول أبيات في هذا المقطع «هنا، تنتهي أعمال البحر، أعمال الحب. أولئك الذين سيحيون يوما هنا حيث انتهينا.. عليهم لاينسوننا، نحن الأرواح الضعيفة الراقدة بين الحشائش... فنحن الذين لم نكن نملك شيئا سنعلمهم السكينة».

وبين «المقطع الافتتاحي» و«المقطع الختامي» تترى أحداث وشخوص وأماكن يخبرنا بها سفيريس، صاحب الرواية، ليس بطريقة السرد العادي، بل بطريقة «انتقائية» تتحكم في إفرازها وترتيبها قريحة مبدعة متوقدة، ربما توخت في ذلك أيضا متطلبات فنان اكتوى بمعاينة وضع اليونان في العصور الحديثة. وقال عن ذلك «إن قدر الإنسان اليوناني، بل والإنسان بصفة عامة، قدر جد مأساوي، يلفه الأسى، ولكنه ليس في الواقع التاريخي سوى حدث قاس في أوديسية أكثر ضراوة من الأوديسية القديمة».

ثالثا: الشخصيات

قصائد سفيريس مليئة بالشخصيات، وبعض هذه الشخصيات أسطورية، وهي على أي حال قلما تذكر لذاتها بل تستخدم للأنباء بتواصل الأزمان، وأن هذه الشخصيات مازال لها وجود حتى اليوم، وإن تجردت من غلافها الأسطوري، وصارت بشرا تسير إلى جوار العاديين منهم جنبا إلى جنب.

والمذكور من هذه الشخصيات في هذا المقام «ملك أسينه» الذي قد يكون له وجود تاريخي، ولكنه لتضاؤل ما بقي لدينا من خيوط توصل إلى الاستحواذ على وجوده التاريخي، فقد خيم عليه الغموض الذي يضفي على وجوده شاعرية تسمح أيضا بالاستغراق في تأملها من منطلقات رمزية تقربها من حقائق معاصرة، مهما بعدت الشقة بينها وبين هذه الحقائق تاريخيا.

فملك أسينه هذا لم يرد له ذكر سوى في بضع كلمات محدودة لهوميروس في الأوديسية وظل اسمه مغمورا يكاد يطويه النسيان إلى أن كشفت حفريات مابين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٦ عن قلعة مطمورة في مياه البحر بالقرب من إيبذافروس حيث تقع أسينه.

ويملأ سفيريس عملية البحث عن بقايا ذلك الميناء القديم، أسينة، بالحنين إلى وجود له قيمة بدلا من حياة نحياها الآن بلا وزن، متكمين مثل أغصان صفصافة مكومة في ظل يأس مقيم. وهذا هو أمل شاعر اليونان في أن تنفض بلاده عن كاهلها خمولها في العصور الحديثة لتكتسب ما كان لها في سالف أيامها من أمجاد ورفعة. ومن أغوار الكهف يندفع وطواط مذعور، ارتطم بالضياء مثلما يرتطم بالدرع رمح. ويعلو هتاف اليونانيين المحدثين جميعا مفعما بالرجاء «الأسيني، هل بالإمكان أن يكون هذا ملك أسينه الذي نبحث عنه بكل حرص في هذا الأكروبول، وقد لمست أصابعنا بعض الأحيان على الأحجار لمسته؟»

وهكذا يستخدم سفيريس ملك أسينه استخداما يتجاوز موضعه التاريخي، ويجعل منه رمزا لرجاء قومي في بعث الأمجاد الهلينية القديمة.

ومن شخصيات سفيريس أيضا «هيليني» أو «هيلين». وفي قصيدته التي تحمل اسمها يورد سفيريس في العبارة الافتتاحية أبياتا ليوربيديس أجرى عليها تحويرا خفيفا. وهذه الأبيات تحكي عن تيفكروس أشهر رماة القوس في حرب طروادة. وعندما عاد تيفكروس إلى وطنه سلاميتا حمله أبوه مسئولية انتحار أخيه إيئياس، وطرده من سلاميتا، فأرسله أبولون إلى قبرص ليشيد هناك سلاميتا جديدة.

وفي طريقه إلى قبرص التقى تيفكروس - على حد قول يوربيديس - في مصر بهيلين التي تخبره أن باريس إنما خطف شبحها، أما هي نفسها فقد قام هيرميس بنقلها إلى فناء قصر بروتيوس حيث أقامت طوال حرب طروادة.

وتفترض قصيدة «هيلين» ما افترضته من قبل تراجيديا يوربيديس من أن من ذهب إلى طروادة مع باريس لم تكن هيليني ذاتها، بل مجرد شبحها أو طيفها، أو ربما بديل لها، أما «هيليني» ذاتها فقد حملها هيرميس إلى بلاط بروتيوس في مصر، حيث من المحتمل أن تكون قد التقت هناك بزوجها مينيلاوس بعد أن وضعت حرب طروادة أوزارها.

ويعود سيفيريس في شعره إلى الأساطير الإغريقية ويعرضها من جديد. فما الذي يضيفه الشاعر إلى هذه الأساطير المعادة؟ إنه [illegible] اليها أبعادا عصرية. يقرأها ليس بعقلية القدامى، أو بعقلية أولئك الذين يستعيدون هذه الاساطير بذاتها ولذاتها، بل إنه يقرأها قراءة مفكر مهموم بهموم هذا العصر. ولا يجد لاجترار همومه أو التنبيه إلى مآسي العصر ومخازيه أفضل من أبجدية الرموز التي

تتضمنها الأساطير الإغريقية، فشخصياتها ما عادت تحارب وتحب وتشقى من أجل ما كانت تسعد وتشقى وتحارب من أجله في تلك الأزمان الخوالي، وإنما هي تعود في قصائد سيفيريس لتحيا هموم وسعادات هذا العصر الذي تحيا فيه نحن، وكأنها تعطينا من خبراتها عبرا ومؤشرات من أجل اجتياز عقبات ومشكلات العصر.

وفي قصيدة «هيليني» على سبيل المثال يومىء الشاعر الى أن مبلغ ما قد نقتتل من أجله في هذا العصر، قد لا يكون في النهاية إلا سرابا ووهما، وما كان يستأهل بالتالي ما أفنينا فيه من العمر والجهد.(*)

أما ذلك «البائع الجوال من سيدون» فيذكرنا بأغنية شعبية قبرصية تحكي عن بائع جوال، شاب حديث العهد جاء من المدينة ويشير الشاعر الأثيني الكبير يانيس غريبا ريس(**) في إحدى قصائده الى بائع جوال مثل هذا الذي يشير إليه سفيريس. كما ذكرت سيدون في ˆ ـ تين لكافافيس الأولى قصيدة «شبان من سيدون» والثانية «العام ٣١ قبل الميلاد في الأسكندرية».

ويشير البائع الجوال من سيدون الى ليئورا أو اليئور دارجون أرملة الملك بيير الأول دى لوزنيان (راجع قصيدة شيطان الشهوات) ويقول ماخيراس مؤرخ تلك العصور أن ليئورا أمرت بأن يقتل أمامها جان دى لوزيتيان شقيق زوجها والضالع في اغتياله.

* ويقول سفيريس إنه كلما عاود قراءة بعض أبيات قصيدة «هيلين» تذكر الملصقات الدعائية في قبرص إبان الحرب العالمية الثانية، وكانت تلك الملصقات تقول حاربوا من أجل اليونان والحرية.

** انظر عن غريباريس مؤلفنا «الشعر اليوناني المعاصر» ١٩٩٥ ـ ص ١٣٢ وما بعدها.

والكلمة الافتتاحية لقصيدة بائع جوال من سيدون منسوبة ألى شاعر من طيبة المصرية هو خريستودوروس الذى عاش فى عهد الإمبراطور البيزنطى أناستاسيوس الأول (٤٩١ ـ ٥١٨ ميلادية) وللشاعر المذكور ملحمة تصور ثمانين تمثالا فى ساحة معروفة بأسم ساحة زيفكسيبوس فى القسطنطينية، وربما كان هذا مادعا الى الاسترشاد بافتتاحية من شعر هذا الشاعر إذ يخرج بائع سيدون الجوال من جيبه فى آخر القصيدة تمثالا ويمضى يتأمله.

وتدعو هذه القصيدة الى تأمل مدى سير سيفريس فى ركاب القصائد التاريخية لكافافيس.

وفى قصيدة شيطان الشهوات، يبدو على سفيريس بعض من تلك النزعة التهكمية التى عرف بها الشاعر السكندرى كافافيس. كما نلاحظ على قصيدة «ثلاثة أقراص» اقتراب سفيريس من كافافيس فى مدخله الى مادته التاريخية فى قصيدته «قيصرون»(*)

وقد أستقيت المادة التاريخية لقصيدتى سفيريس «شيطان الشهوات» و «ثلاثة أقراص» من مصدر واحد هو مدونة ماخيراس التاريخية بعنوان «تفاسير عن البلد الحبيب قبرص»(*)

ويتحدث سيفريس فى قصيدته «شيطان الشهوات» ـ نقلا عن تفاسير ماخيراس ـ عن بيير الأول دى لوزينيان ملك قبرص وأورشليم

(*) راجع ترجمتنا لهذه القصيدة فى الأعمال المنشورة الكاملة لأشعار كافافيس بعنوان «ديوان كافافيس ـ شاعر الإسكندرية (١٨٦٣ ـ ١٩٣٣) طبعة ١٩٩١ ـ ص ٢٧٠ .

(*) ولهذا المؤلف ترجمة انجليزية بقلم إى. م . داوكينز. E.M.Dawkins

من عام ١٣٩٥ إلى ١٣٩٦ كما أن الشاعر استعان فى قصيدته «ثلاثة أقراس» بما ورد فى المرجع المشار إليه، من أنه بعد أن توج الملك جيمس ملكا أرسل رجاله الى حصن بوفانيتو بالقرب من قرية كوتزوفيندى وقطعوا رأسى بيرو ويليم دى مونتوليف، ووضعوهما فى صندوق على ظهر أتان، وفى الطريق نفقت الدابة عند بلدة كافا فى قبرص فدفن القتيلان هناك(**) ولم يكن قتل الأخوين بيرو ويليم دى مونتوليف إلا لأنهما كانا قد عارضا بشدة ارتقاء جيمس عرش قبرص وأورشليم(***).

أما فى ˉ ـ ة سفيريس بعنوان «بأسم الألهة أدعوك» فإن تلك الآلهة هى «ميليتا» و «ميليكا» هذا اسم أفروديت لدى الآشوريين، وفى بعض أنحاء قبرص كانت توجد أعراف قديمة شديدة الشبه بتلك التى تحكيها القصيدة.

• ويحكى هيرودوت فى رحلاته أنه إذا ما جلست امرأة فى فناء هيكل أفروديت، التى هى إلهة قبرصية قلبا وقالبا، لم يكن يتركونها

(**) انظر أيضا كتاب سافيديس بعنوان «من أجل سفيريس أو عن سفيريس» ص ٨٤ .

(***) تشير قصيدة «شيطان الشهوات» إلى قائد كتيبة الترك وقد كانت هذه الكتيبة مؤلفة من خيالة مماليك، وكانوا عادة من الترك، يستأجرهم الصليبيون ويستعينون بهم. على أن قائد هذه الكتيبة كان على الدوام من الفرنجة. وفى قصيدة «ثلاثة أقراص» يذكر الشاعر اسم تلك السيدة النبيلة التى يشير إليها. وقد رأينا أن عدم ذكره فى الترجمة لا يفقد القارىء العربى شيئا عند تذوق القصيدة. كما أن القرية البعيدة التى يشير إليها النص العربى لهذه القصيدة يذكرها الشاعر باسمها وهى كوتسوفيندى. ولم نر داعيا إلى التزام الحرفية فى ترجمة هذه الجزئية لعدم أهميتها بالنسبة للقارىء العربى. كما أن هناك قرية أخرى مشار إليها فى النص هى بوفانيندى، وهذه تقع بأقليم كاستور فى اليونان.

تنصرف إلى بيتها إلا بعد أن يلقى غريب قطعة من النقود فى حجرها، ويرقد معها داخل الهيكل ولم يكن على الغريب إلاّ أن يقول وهو يلقى بالنقود فى حجرها «بأسم الآلهة ميليتا أدعوك» وتذكرنا هذه الأحدوثة بما روى عن ابنة الملك خوفو وما كانت تقدم عليه من أفعال من هذا القبيل كى تجمع المال ليكمل أبوها بناء مدفنه الذى عرف باسم هرم الملك خوفو، وأضحى أعجوبة من أعاجيب الدنيا السبع بعد ذلك.

ويروتياس المشار إليه فى قصيدة سفيريس بعنوان «وصف» هو العجوز الأسطورى الذى حدثنا عنه هوميروس، وقد كان دؤوبا على تغيير حياته حتى يتحاشى ايذاء من يسأله عن الغيب فيدلى اليه نبؤاته التى لا تخطئ ولا تخيب.

وسيفريس مبدع شخصيات حقا، ومن شخصياته العصرية بالأخص «ستراتيس ثالاسيتوس» و «ماثيوس باسكاليس».

وماثيوس باسكاليس أصلا هو أسم بطل الروائى والمسرحى الإيطالى ذائع الصيت لويجى بيراندللو فى روايته المعروفه «المرحوم ماتيوس باسكاليس» (١٩٠٤) وقد أستخدمها سفيريس فى قصيدته «خطاب الى ماثيوبا سكاليس» كما تعود الى الظهور أيضا فى ديوان سفيريس «مذكرات على ظهر سفين(١)» (١٩٤٠) ويمكن أن يقال عن ماثيوس باسكاليس هذا إنه اسم يستعيره الشاعر لنفسه ويوظفه لغير ما وظفه صاحبه الأصلى بيراندللومن أغراض، مثلما فى قصيدة «ماثيو باسكاليس بين الورود».

وما نقول عن ماثيوباسكاليس في هذا المقام يمكن أن يقال أيضا عن شخصية سفيريس الأخرى ستراتيس ثالاسينوس، ذلك أن ستراتيس ثالاسينوس شخصية ابتدعها سيفريس واستخدمها مثلما استخدم شخصية ماثيوبا سكاليس ليتحدث من خلالها عن أحداث وتجارب وذكريات خاصة به، وقد استخدمت هذه الشخصية في ـ تين من ديوانه «مذكرات على ظهر سفين(٢)(*)».

واسم ستراتيس ثالاسينوس أسم يتردد كثيرا في قصائد سفيريس ومن أبرز القصائد المنسوبة إليه «خمس قصائد لستراتيس ثالاسينوس»و «ستراتيس ثالاسينوس بين زهور الحب»(**) وستراتيس ثالاسينوس على مشارف البحر الميت» واللاجئون الذين يقصدهم سفيريس في قصيدته هذه بلا شك ليسوا اليهود لأن القصيدة كتبت التاريخ المعطى لها في يوليه ٤٢ ، وربما كان هؤلاء اللاجئون هم اليونانيون الذين تركوا ديارهم في أعقاب الغزو النازى لأوطانهم ونزحوا الى ديار المنفى بالشرق الأوسط، وربما كان من المفيد في هذا المقام أن نقرأ الرواية الأولى بعنوان «أريان» من ثلاثية الروائي اليوناني المعاصر الكبير ستراتيس تسيركاس التى أعطاها عنوانا مقتبسا من قصيدة سفيريس هذه على وجه التحديد، وهذا العنوان المشار إليه هو «مدن بلا حكومات» أو «مدن غير محكومة».

(*) كما استخدمها سفيريس أيضا في رواية له غير منشورة بعنوان ست ليال في الأكروبول».

(**) هذه الزهور مواسن أفريقية تتصف بلونها الأزرق واسمها باليونانية «أغابانثي» وهذا اسم مركب من كلمتين الأولى معناها الحب والثانية معناها زهور، ولهذا جاءت ترجمتنا لها «زهور الحب» وهو أيضا في هذه القصيدة اسم مجازي.

ويحين الأوان بذلك أن نتساءل عن هى شخصية ستراتيس ثالاسينوس هذه التى كثيرا ما يتقمصها الشاعر ويتحدث من خلالها؟ و«ثالاسينوس» تعني البحار أو البحراوى أو البحرى، ويمكننا أن نطلق إذن على ستراتيس ثالاسينوس أسم ستراتيس البحراوى أو ستراتيس الملاح.

وقد نستبيح لأنفسنا أن نقول ستراتيس السكندرى، وفى هذه الحالة يتجه تخميننا إلى «ستراتيس تسيركاس» السكندرى، وقد كانت تربطه بسفيريس روابط حميمة، فقد تابع سفيريس كتابة تسيركاس للثلاثيته الروائية التى أعطاها هذا الأخير عنوانا مقتبسا من قصيدة سفيريس وقد كان تسيركاس السكندرى واحدا ممن ألمت بهم الظروف السياسية فى الأربعينات الى فلسطين، وكتب عن مغامرته هناك، كمناهض للفاشية والنازية فى حركة سرية لا يتسع المقام هنا لسرد تفاصيلها ولا للأسلوب المصرى تماما الذى كتبت به والذى يدين تسيركاس بالاقدام على ممارسته لدراساته المتسعة لشاعر شاركه فى الأعجاب به ودراسته سفيريس نفسه، وتعنى به شاعر الاسكندرية الكبير كافافيس. فهل يقدر لأحد قراء هذه الكلمة أن يبحث عما إذا كان الملاح ستراتيس شخصية سفيريس، هى حقاً السكندرى تسيركاس (١٩١١ - ١٩٨٠) الذى هام على وجهه طويلا، وأهلك نفسه من أجل الأدب فوجدها فى النهاية ودخل التاريخ بذلك كواحد من أكبر الروائيين اليونانيين المعاصرين كما دخل سفيريس التاريخ كواحد من أكبر الشعراء اليونانيين المعاصرين قاطبة؟

أما «البيذور» فيحتل مكانة خاصة في شعر سفيريس، وقد كان البيذور أصغر رفاق أوديسيوس في رحلته، وكان يفتقد رجاحة العقل وتنقصه الشجاعة ومن فرط النبيذ الذي شربه في قصر كيركيس أو سيرسيه غلبه النوم فزلت قدمه وقتل هناك. وهو لنقائصه هذه لم يلق إشفاقا من هوميروس ولم يلق مقاما لائقا في ملحمة هوميروس. أما سيفريس فكان له موقف آخر من هذه الشخصية في زمن أصبح البيذور هذا رمزا للإنسان العادي الذي تهزمه عاداته ونقائصه كل يوم ولا يموت في معركة كبيرة أو من أجل هدف كبير، بل تزل قدمه ويموت ميتة لاتحيطها أمجاد ويمضي الى غياهب النسيان، ولكنه على أي حال رمز لكل منا، نحن أناس كل يوم العاديين. ولهذا فقد أولاه، سفيريس في شعره مالم يوله هوميروس من اشفاق ورثاء.

ويشير سفيريس الى البيذور في أكثر من موضع من عطائه الشعري، وعلى سبيل المثال في قصيدة «ستراتيس ثالاسينوس بين زهور الحب» وفي قصيدته الطويلة «أسطورة التاريخ» (*) وخصص بعنوان البيذور الحسي أو البيذور المنساق للشهوات المقطع الثاني من قصيدته الطويلة «الطائر الغريد» أو «السفينة الغارقة» ـ خصص سيفريس قصيدته الثانية تلك لا لبيذور الذي وصف في أوديسية هوميروس ـ كما قلنا ـ بالحمق ويضعف العزيمة أمام إغراء الشهوات حتى انتهى أمره بأن لقي حتفه من زلة قدم في قصر سيرسيه، وهو مخمور غارق في النعاس. وقد كتب سفيريس عن البيذور يقول قد تتساءلون لماذا كتبت عنه ـ أعني عن البيذور وأمثاله ـ بهذا التعاطف؟ يرجع ذلك إلى أن الناس التي تنتمي الى هذه الطائفة من

الأبطال، ولا نعني بالبطولة هنا ما عناه كارليل بها، هم أكثر الأبطال استدرارا للإشفاق. وحتى أوديسيوس، البطل الهوميروسي، أشفق على البينور عند ما رآه أول مرة بين الأموات، وذرف عليه الدموع، ولا أقول إن هؤلاء يستحقون الإعجاب وإنما أقول فحسب إنهم منديلو الشأن مغلوبون على أمرهم منساقون للعواطف والأهواء ومن ثم يستأهلون الرثاء. ويمضي سفيريس فيقول إن البينور يرمز إلى أولئك «المهزومين» الذى نقول عنهم في أحاديث كل يوم «الغلابة» وعلى أي حال فلا ننسى أن هؤلاء المساكين لم يؤتوا مكرا ولادهاء بل هم قليلو الحيلة ولا حول لهم ، بصفة عامة، ولا يجدر أن نحاسبهم حساب من أوتوا رجاحة العقل والحكمة وملكوا بين أيديهم نواصي الأمور ومقاليد القوة. إنهم فحسب سريعو الانقياد لشرور ليست متأصلة فيهم، وإنما هي وافدة إليهم مفروضة عليهم.

مرة أخرى نجد سفيريس يدفع بشخصية من الأساطير والملاحم القديمة الى العصر الحديث، ليؤكد لنا كم هي مرتبطة بنا وكم نحن أيضا مرتبطون بها، فهي منا ونحن صنو لها، فربما كان أغلبنا اليوم البينور هذا المستعبد بالشهوات والنقائص، وذلك مهما تبدلت هذه الشهوات والنقائص وتنوعت.

وفي بعض الأحيان تلقى بعض الشخصيات ميتة لا تليق بمقامها ولا بما قدمته من خدمات. ويلمح سفيريس في قصيدته «يوريبيديس الأثيني» إلى الميتة التي لقيها كاتب التراجيديا الأغريقية الكبير يوريبيديس، إذ يقال أنه قتل أثناء ممارسته صيد الكلاب البرية، وذلك إبان إقامته في بلاط أرخيلاوس ملك مقدونية.

ومن الميتات البشعة التي استوقفت سيفريس وأقام عليها قصيدة من قصائده الميتة التي لقيها بنثيوس الملك الأسطوري لأهل طيبة، الذي عرفناه من خلال «باخوسيات» يوروبيديس مستبدا ومناوئا شديد الضراوة لديانة ديونيسيوس الجديدة التي أخذت تجتاح مملكته فقد مزقته إربا إربا الباخوسيات أو حاملات القرابين اللاتي كن يعبدن ديونيسيوس أو باخوس وعلى رأسهن أم بنثيوس نفسها.

كان بنثيوس - وفقا لما أورده قاموس لاروس للأساطير الأغريقية والرومانية (طبعة ١٩٦٥) - أبنا لأخيون ولجافيه ابنة ملك كادموس وتولى من بعد والده عرش طيبة. وعندما عاد ديونيسيوس من الهند وتوغل في مملكته حاول بنثيوس مقاومة عبادة الديونيسية، فأعتزم ديونيسيوس الاقتصاص منه ودعاه الى الاشتراك في حفل من حفلاته الصاخبة على جبل كيثرون حيث مزقته الباخوسيات من نساء طيبة وقد توهمنه وحشا كاسرا نازلا اليهن من كهوف الجبل، وذلك في سورة من سورات طقوسهن التي يختل فيها العقل وينخرط الجسد في أعنف الحركات الحسية تحت وطأة النبيذ والإفراط في شرب الخمر.

وقد كانت على رأس «الباخوسيات» في ليلة قتل بنثيوس أمه أجافيه التي اقتلعت في سورة من الهوس الديونيسي رأس ابنها من جسده وإن كانت لم تدرك بشاعة فعلتها هذه إلا متأخراً، وقد أطبق الجنون عليها بعد ذلك عقابا من الآلهة على ما اقترفته يداها.

وتنتاب قارئ قصيدة «بنثيوس» شتى الانفعالات المتضارية، ويمكن أن يكون أحد هذه الانفعالات الذي يرقى به الى التفكير في

المغزى المستهدف من القصيدة هو تأمل ما يمكن أن يفضي اليه الهوس الديني من تهور وتطرف لا تحمد عقباه، وقد كانت الباخوسيات نساء يؤجج ديونيسيوس في دمائهن نشوة جنونية ويقودهن الى أفعال، ترقى الى حد «الهوس الحسي» وقد كتب عنهن يوروبيديس أبو التراجيديا الإغريقية مسرحيته بذات الاسم.

الفهرس

القسم الأول: مدخل إلى حياة سفيريس وشعره

القسم الثاني: الأعمال الشعرية / ملة لسفيريس

من مكتبة الأدب اليونانى الحديث

للدكتور نعيم عطية

- شخصيات من الأدب اليونانى المعاصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٣ .

- مختارات من الشعر اليوناني الحديث ـ مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة ـ ١٩٨٣ (ثمانون شاعراً وثلاثمائة قصيدة) .

- اطلالة على الشعر اليوناني الحديث :

  - يانيس ريتسوس (١٩٠٩ ـ ١٩٩٠) ـ ١٩٩٢ .
  - جورج سفيريس (١٩٠٠ ـ ١٩٧١) ـ ١٩٩٢ .
  - ديونيسيوس سولوموس (١٧٩٨ ـ ١٨٥٢) ـ ١٩٩٣ .

- ديوان كافافيس ـ شاعر الإسكندرية (١٨٦٣ ـ ١٩٣٣) ـ ١٩٩١ .

• الأدب اليوناني الحديث في مصر:

- نيقوس نيقولائيدس الأديب القبرصي - ١٩٩٤ .

• مختارات من الأدب اليوناني الحديث، في القصة - الهيئة المصرية للتأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٨ .

• حلم فتاة، قصص من اليونان الحديثة - روايات الهلال - أكتوبر ١٩٧٨ (١٩ قصة و ١٦ قصاصاً).

• أنطواني ساماراكي - مطلوب أمل (مختارات من أعمال أكبر قصاص يوناني معاصر ودراسة عنه) - روايات عالمية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩١ .

• إيفانجلوس أفيروف - نداء الأرض (رواية) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٥ .

- مذكرات حمامة تطير كالسهم

- غابة الفرح

• نيقوس كازندزاكي - عطيل يعود - ترجمة ودراسة - سلسلة المسرح العالمي - الكويت - العدد ١٣ .

• جورج ثيوتوكا - الثمن الفادح (جسر آرتا) - ترجمة ودراسة - سلسلة مسرحيات عالمية - أكتوبر ١٩٦٥ - قدمت على خشبة المسرح العالمي بالقاهرة في نوفمبر ١٩٦٦ من إخراج الفنان سمير العصفوري

مطابع الهيئة المصرية العامة [illegible]ب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٦٦٩ / ١٩٩٧

I S B N 977-01-5545-4



039

